قراءات في فكر الإمام الخميني قدس سره

الجزء الأول

سلسلة البحوث والأفكار

١

قراءات

في فكر الإمام الخميني قدس سره

الجزء الأول

إعداد وتأليف

الدكتور علي البغدادي

الدكتورة نوره الهيدان

المهندس حيدر القريشي

الكتاب : قراءات في فكر الإمام الخميني قدس سره
الجزء : الأول
إعداد وتأليف :
الدكتور علي البغدادي / الدكتورة نوره الهيدان / المهندس حيدر القريشي
الطبعة : الأولى
سنة الطبع : ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م
الناشر : المركز الثقافي للدراسات الاسلامية – العراق / بغداد
التنضيد الالكتروني : حسين الغراوي
عدد النسخ : ٥٠٠٠ نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

قراءات في فكر الإمام الخميني قدس سره

تشكل الكتابة عن الإمام الخميني قدس سره وفكره ونهجه مقدمة ضرورية للدخول إلى عالم واسع من الواقع الذي يغلب عليه طابع الضرورة والجدية والاهتمام ومكانة الدور، فالإمام قدس سره ليس شخصية كباقي الشخصيات التي عبرت التاريخ وانقضى ذكرها، بل على عكس ذلك، الإمام قدس سره من الشخصيات التي تركت بصماتها وآثارها وبركاتها على جوانب كبيرة ومؤثرة من حياة العالم الإسلامي.

لقد جاءت حركة الإمام قدس سره الفكرية والجهادية في جو غلب عليه الابتعاد عن الذات والقيم والهوية الأساسية فحمل لواء الإسلام والحق ليعيد الأمور إلى نصابها وليبين المواقف الصحيحة مما جعله مناراً تهتدي به العقول والقلوب قبل الأجساد.

ومن هنا شكلت السيرة الذاتية للإمام قدس سره دروساً بالغة الأهمية، وبرز دوره المتنوع وفي جميع المجالات، أما أفكاره وعقائده فهي نماذج حية للفكر الإسلامي الصحيح. والأكثر من هذا يغدو التعرف على فكر هذا الإمام الكبير حاجة ملحة وضرورية يكتسبها من أهمية التعرف إلى فكر هذا القائد الذي استطاع إحداث تحولات فكرية وسياسية في مسار الحياة العامة للمسلمين في مواقع انتشارهم الجغرافي وفي المجتمعات الدولية الأخرى.

أما التعرف على فكر الإمام فمتوقفة على ما امتازت به من خصائص وميزات انفرد الإمام قدس سره بها:

١. بداية كان الإمام قدس سره يملك معرفة دقيقة وواضحة بالإسلام ومعتقداته وأهدافه.

٢. لقد وضع الإمام قدس سره نصب عينيه مهمة إعادة المفاهيم والقيم الدينية في الحياة العملية إلى أصالتها ووجهتها الرئيسية.

٣. امتلك نهج الإمام من الصدقية والخصال الحميدة ما جعله مؤثراً في الكثير من الحالات، فما وقع كلامه في شيء إلا استوقفه ودفعه لإعادة النظر في مجمل المنظومة الفكرية المحيطة به.

٤. وامتاز خط الإمام قدس سره بتبنيه للقضايا العامة وقضايا المستضعفين، تلك التي تمتاز بجانب الحقانية...

٥. وغلب على فكر الإمام قدس سره التأسيس لمشروع تربوي وفكري يقدم المباني الأساسية للفكر الأصيل وللحياة العملية السليمة.

٦. بالإضافة إلى ذلك امتاز نهج الإمام باحترام الآخر وإعطاء أهمية خاصة للفرد والمجتمع، وبشكل عام كان الإنسان عند الإمام يمتلك مفهوماً لعلنا لم نألفه في الأنظمة الوضعية، نابعاً من القيمة العالية والسامية للإنسان.

وإذا ما أردنا التدقيق أكثر لوجدنا الكثير والكثير من المميزات التي غلبت على فكر الإمام قدس سره وشخصيته.

التوازن في نهج الإمام الخميني قدس سره

الأحداث المهمة والمؤثرة في عالمنا الإسلامي المعاصر، انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وطرد أذناب الاستكبار الأمريكي منها، والسعي لإقامة حدود الله فيها. وما كان ليتحقق هذا لولا قيادة رشيدة حازمة وصارمة من جهة، ولطيفة وحميمة من جهة أخرى؛ تعتمد العقل والعاطفة، لصالح الأهداف العليا للأمة الإسلامية، وما يخص الشعب الإيراني منها.

وأهم خصيصة في قيادة هذه الثورة، المتمثلة في قيادة الإمام الخميني الراحل قدس سره هي : التوازن في الأفكار والسلوك انطلاقاً من الأمر الواقع الذي فطر عليه الإنسان : ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾[١].

وفي الحقيقة التوازن صفة إلهية سماوية يتخلق بها الإنسان الحكيم، فكما أنّ الله تعالى شديد العقاب بالنسبة للمشركين والظالمين فهوالغفور الرحيم بالنسبة لعباده المستضعفين والتائبين : ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمَ**﴾[٢]، فإن الإنسان المسلم يوازن في شخصيته بين الخوف والرجاء.

وإذا كانت الأمنية الكبرى هي الفوز بالجنة والآخرة، فإنها لا تنافي السعي في الدنيا بجانبها الإيجابي الموصل إلى الهدف السامي : ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾[٣].

من هذه الرؤية السماوية كانت انطلاقة الإمام الراحل في مسيرته المتوازنة، الفكرية والفقهية والجهادية ....

□

---

(١) سورة النمل : آية ٨٨.

(٢) سورة الحجر : آية ٤٩ - ٥٠.

(٣) سورة القصص : آية ٧٧.

ونحن نشير هنا إلى نماذج من التوازن العملي والفكري في حركته السامية :

١. عندما نتتبع آراء الإمام الراحل وأفكاره في إدارة الشؤون الحياتية والاجتماعية نرى بصيرته الجامعة، بين مقتضيات العصر زماناً ومكاناً، والأصالة الإسلامية، فكراً وفقهاً ونهجاً، فإصراره المستمر على أعمال الاجتهاد (بالمصطلح الفقهي) الذي كان يعبر عنه تارة (بالفقه الجواهري)[1]، وهو يضمن الأصالة وتأكيده على تغير الأحكام بتبدل الموضوعات والأعراف والآداب، كما هو الحال في لعبة الشطرنج وبعض الأمور الأخرى يشكل إصراراً على المعاصرة والمعايشة المستمرة للتغيرات والتعقيدات.

٢. الإصرار على تطبيق جميع الأحكام الإسلامية والليونة أحياناً في كيفية تطبيق تلك الأحكام، مع الأخذ بنظر الاعتبار جميع القواعد الأصولية والفقهية المساعدة، كقاعدة التزاحم، الناشئ من تطبيق بعض الأحكام التي تؤدي إلى آثار سلبية تفوق مصلحة التطبيق، وكذا العمل وفق العناوين الثانوية المستندة إلى اختيارات الحاكم الفقيه في دوائر المباحات، مع ملاحظة المصلحة العامة.

هناك نماذج كثيرة نكتفي بثلاثة منها :

أ) الإيمان بالحكم الإلهي المطلق، من جهة، واحترام آراء الشعب في صياغة أو صناعة مسيرته الاجتماعية والسياسية.. في المساحة التي تفتحها الشريعة لذلك من جهة أخرى؛ فتحقيق إرادة الشعب وفق أحكام الشريعة السمحاء أمر نموذجي قدمه الإمام الراحل للعالم الإسلامي، فكانت الجمهورية الإسلامية تبتني على أصلين أساسيين. الولاية الإلهية، وحاكمية الشعب على مقدراته.

□

(١) بالاستناد إلى كتاب(جواهر الكلام) الفقهي الجامع للشيخ محمد حسن النجفي. من كبار فقهاء الإمامية في القرون الأخيرة.

ب) النشاط الثوري والإصلاحي :

من طبيعة الحركة الثورية أن تكون تغييرية جامعة، متقدمة إلى الإمام بدون التقيد بنسق خاص معين، تقلب ما كان وتحدث ما يكون، لكن الذي تحقق هو أنّ هذه الحركة الثورية تمت وفقاً لأطر منضبطة تسمح وتفسح المجال لعملية الإصلاح الجانبي المثمر، والجامع بين الحركة الثورية والحركة الإصلاحية في نسق منسجم.

ج) التوازن في السلوك الشخصي :

لقد كان الإمام الراحل من الفقهاء والعرفاء المنقطعين إلى الله سبحانه وتعالى، فهو الزاهد في الدنيا، بما فيها من مغريات، ولكنه لم يكن بعيداً عن الحياة السياسية، والنشاط الاجتماعي الذي أدى إلى الإطاحة بنظام طاغوتي عنيد، وإقامة جمهورية إسلامية، وإحياء شعب بأكمله يهديه نحو الله، ولقد كان قوياً وشديداً يقف ضد أعداء الإسلام، مهما كان سلطانهم وجبروتهم، لكنه كان متواضعاً عطوفاً أمام المستضعفين : ﴿**أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾، ويرى أنّ هؤلاء هم أولياء النعمة للقادة والمسؤولين في البلاد.

نحن نجد أنفسنا اليوم بأمس الحاجة إلى مثل هذه الشخصية النموذجية، لنتخذ نهجه نبراساً في حياتنا الفردية والاجتماعية لأداء التكليف الرسالي.

قراءة في نهج الإمام الخميني قدس سره

تتجلى أبعاد شخصية الإمام الخميني قدس سره في وعيه وذكائه وشدة اهتمامه وغيرته المتميزة على الشعب وعلى الإسلام المحمدي الأصيل إذ صرح ومنذ اليوم الأول بأنه سيتحرك بمساعدة الشعب وكان واثقا من استجابة الجماهير في جميع أنحاء إيران ، وهنا يتجسد بعد آخر في شخصية هذا الرجل على الصعيد العملي تمثل في قدرته القيادية وشجاعته السياسية وخبرته بأساليب وأهداف العدو .

بعد أحداث ١٩٦٣-١٩٦٤ في إيران نفي الإمام إلى تركيا ومن ثم إلى العراق لمدة ١٤ سنة ، وفي فترة النفي تجلت أبعاد أخرى في شخصية الإمام الراحل منها قدرته على التخطيط لبناء نموذج إسلامي يراعي متطلبات الحياة العصرية والقضايا الراهنة خاصة وأن الثورة التي قادها الإمام الخميني قدس سره لم تعتمد على وجود تشكيلات حزبية داخل البلاد ، بل كان للإمام تلاميذ وأنصار يحملون أفكاره إلى الجماهير ومع ذلك كان الإمام يوجه خطابه دائماً إلى الجماهير واستطاع خلال سنوات نفيه أن يزرع في الأذهان بذور النهضة الإسلامية أولاً ثم تمكن أن يتوغل إلى عمق الشعب ثانياً حيث كان شعبه الأرضية المناسبة لقيام تلك الثورة ، وبفضله استطاعت الحركة الثورية للنهضة الإسلامية أن تجتاز جميع التحديات التي واجهتها ولم تثن عزيمته الأحداث الكبيرة والعصيبة التي مرت بإيران وأولها الحرب الإيرانية العراقية والهجوم الأمريكي ومؤامرات الانقلاب العسكري والحصار الاقتصادي والممارسات العدوانية المختلفة .

وفي عام ١٩٦٨ تبنى الإمام فكرة ولاية الفقيه اعتماداً على ثوابت فقهية راسخة ، وهي نظرية تعطي الولي الفقيه صلاحيات في إدارة جميع ميادين الدولة وقد أعاد الإمام صياغة هذه الفكرة وفق أسس رصينة لقد اجتمعت في الإمام أغلب مزايا ومواصفات القادة العالميين لأنه كان بعيد النظر ، شديد

الوثوق بشعبه ، شديداً على أعدائه وقد اعتبر نهج الإمام الخميني النهج الأمثل لإنقاذ البلاد قبل الثورة وبعدها ، ومن أهم معالم هذا النهج : حاكمية الإسلام إذ لم يقصد من ثورته ونهضته استلام أي منصب بل أتباع الحكم الإسلامي بشكله الصحيح على صعيدين هما : الإسلام كإطار عام للنظام ، والإسلام على صعيد الفرد .

واعتمد الإمام مبدأ العدالة الاجتماعية لإيمانه بأن الطبقات الفقيرة هي صاحبة الحق في الاستفادة من مكتسبات الثورة صحيح أنه كان يقول بأن ثورته لم تكن ثورة خبز وإنما انطلقت على أساس الإيمان ، لكن هذا الأمر لا يلغي الاهتمام أولاً بالشعب وبحياته واقتصاده . وكان الإمام على اطلاع تام بالعدو وبأساليبه الإعلامية والسياسية وحريصاً على مجابهتهم والتصدي لهم ، كما كان حريصاً على إعلاء شأن الأمة الإسلامية إلى جانب بقية الأمم الأخرى في العالم فتحركت الجماهير المستضعفة في العالم وخصوصا الجماهير التي تغذت بفكر ونهج الإمام الخميني الفكر الثاقب والنهج السليم من العراق الجريح ولبنان المغتصب وفلسطين المحتل ودول أخرى كان تحركها حسب الظروف الموضوعية وانتصرت المقاومة في لبنان (حزب الله) على جرثومة الفساد (إسرائيل) وباتت قاب قوسين أو ادنى للزوال من الوجود كما تنبأ الإمام الراحل قدس سره وفي فلسطين استشعر العدو الصهيوني ان ضربات المقاومة الفلسطينية ستحرر فلسطين والقدس الشريف فنصب المكائد ليبقي على وجود هذا الكيان بفضل الاعيب القوى الكبرى وبعض الخونة من الأنظمة من خلال معاهدات السلام السرابية الذي حذر الإمام الراحل منذ ولادة معاهدة كامب ديفيد المشؤومة وبعدها من المعاهدات الخيانية التي تهدف الى بث اليأس في نفوس المسلمين في فلسطين وغيرها ولكن نهج الإمام الراحل ونظرته الثاقبة أعطت الكثير إلى الشعوب المستضعفة في فهم الاعداء والاعيبهم الشيطانية ونحن نعيش الذكرى العشرين

لرحيل الامام السيد روح الله العبد الصالح وبشائر النصر تلوح في الافق بعد تحرير لبنان وان النصر ات في العراق وفلسطين وباقي الدول العربية والإسلامية وان علامات ظهور ولي الله الأعظم مهدي أهل البيت (عج) قد حانت بعدما تهيأت الأرضية المناسبة بمنهجية الامام الراحل قدس سره الذي كان ينتقد الانتظار السلبي للإمام القائم روحي له الفداء فوضحت معالم نهج السيد الامام الراحل فهذه المفردة الإسلامية في عقيدة انتظار المصلح الذي يخلص العالم من الفساد وان حركة الشعوب المستضعفة حافز إلى ظهوره عجل الله له الفرج وسهل له المخرج ....

نهج الإمام الخميني (قدس سره) وخطه

تطلعات سماحة الإمام (قدس سره)

إنّ خط الثورة خط الإمام الذي هو خط الإسلام النقي الأصيل وخط القرآن ينبغي مواصلته والالتزام به بشكل تام.

لقد توضحت للجميع هوية الإمام الفنية بعد رحلته. ولربما لم يكن الكثيرون يعلمون أن الإمام كان ممن ينظمون الشعر العرفاني مع تلك المضامين العرفانية اللطيفة وذلك الوله والعشق الذي يختص به الإنسان العارف المتوله.

بل هو عمل أصعب من هذا بكثير، وخصوصاً أنه تم في عالم كل ما فيه يعتمد على القضايا المادية، وقد مرت حوالي (٢٠٠) سنة مليئة بالعمل والجهود المتواصلة ضد الدين وبالذات ضد الإسلام من بين كل الأديان الأخرى.

فحينما تتم إقامة حكومة إسلامية في إحدى أكثر مناطق العالم حساسية وأهمية يمكن القول عند ذلك أنه أمر شبيه بالمعجزة دون مبالغة.

وقد تمكن هذا الشخص الجليل الفذ أن يعبئ كل هذه القوى الشعبية العظيمة وساعده الله وأعانه على القيام بذلك حتى تحققت هذه المعجزة، ولم ينحرف صاحب تلك النفس اللطيفة والإرادة الصلبة ـ طوال تلك السنوات المتعاقبة ـ حتى ولو بمقدار شعرة عن الطريق القويم لا إلى اليمين ولا إلى اليسار، وهذا أمر على غاية من الأهمية.

أن سماحته يعتبر قدوة وأسوة بالنسبة للناس جميعاً ولكم كفنانين ملتزمين ومؤمنين، وبالنسبة لكل الفئات الأخرى من زوايا مختلفة، وينبغي أن نتعلم منه ونقتدي به.

إنّ قيادة الجمهورية الإسلامية تضع نصب عينيها هذه الذخيرة الشريفة وغير المتناهية تلك الصورة المشرقة والبعيدة عن متناول الأيدي لشخصية هذا القائد الكبير.

إنّ التطلعات التي أعلنها الإمام هي أسمى التطلعات وأعلاها وأقدسها، وإننا سنواصل السعي الحثيث لبلوغها فهي تطلعاتنا أيضاً. هذه التطلعات التي أعلنها الإمام هي طموحاته وأمانيه، وهي حية تماماً وتزخر بالحيوية أكثر من أي شيء آخر، وهذا ما يخشاه العالم في الوقت الحاضر.

إنّ شخصية الإمام ترتبط ـ والى حد كبير ـ بأهمية التطلعات التي كان يحملها.

هذا الشعب الذي تشاهدونه يلطم على رأسه وصدره، ويذرف الدموع، وتكاد قلوب أبنائه تغادر صدورهم من فرط الألم واللوعة، ولو كانت الدنيا كلها ملكاً لأحدهم فإنه مستعد لإعطائها لمن يعلم أنه يستطيع إبقاء الإمام على قيد الحياة للحظة واحدة أكثر... هذا الشعب مصمم على السير وفقاً لأفكار الإمام. وأن أبناءه يعشقون الإمام من أجل فكره وتطلعاته ونهجه وجهاده ومقاومته وهم سائرون على هذا النهج.

إنّ مدرسة الثورة التي أسسها الإمام تأبى أي نمط من أنماط الإسلام السفياني والمرواني.

لقد أوضح لنا الامام الفذ الجليل خلال السنوات العشر الماضية معالم الإسلام في شتى المناسك والتقلبات الحياتية، ومن خلال مواقفه المختلفة إزاء شتى الحوادث، ولم يُبق نقطة مبهمة لأحد أبداً.

إنّ الفقه الشيعي هو أحد أقوى أنماط الفقه ومناهجه، وهو يستند إلى أسس وأصول قوية للغاية، وقد نشر الامام هذا الفقه المتين ووسع من دائرة عمله على صعيد واسع وأضفى عليه نظرة عالمية ونظر إليه من زاوية عالمية وحكومية، وأوضح لنا أبعاداً ونواحي من هذا الفقه كانت مخفية من قبل.

إنّ أفضل ما يمكن أن يمدح به هذا القائد هو القول بأنه عبد الله يعمل على تشخيص تكليفه ـ فحينما يشخّص أن تكليفه الشرعي يكمن في القيام بالعمل

الفلاني فإنه يقوم به وينجزه ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يبارك له في ذلك العمل ويعينه على تحقيقه وهذا يعدّ لنا درساً كبيراً، وهذا هو الإسلام.

وأن أهمية هذه القضية تنبع من كونها تعكس مدى صلابة قائد هذه الثورة وحزمه وإخلاصه وصدقه، وهذا كله درس لنا.

إنّ ذكر الإمام الخميني واسمه يزلزل قصور القوى الطاغوتية وقلوبها لأنه كان خادم الإسلام والمسلمين ولأنه هو الذي حقق العظمة للإسلام والمسلمين عبر جهاده وجهاد شعبه.

إرشاد الإمام

استطاع الإمام (قدس سره) أن يرفع راية الإسلام المحمدي الأصيل النقي (صلى الله عليه وآله) ولواء الولاية العلوية والحسينية عالياً خفاقاً في الآفاق من خلال إرشاده وزعامته.

لقد جذب إليه أعين العالمين وجعلها تنظر إليه بإعجاب، وجعل آيات تحقيق الفرح للمستضعفين تتجسد في ملحمته الغنية بالبطولات، وبعد ارتحاله إلى الرفيق الأعلى ربط الشعب على قلبه وسار في طريقه مستبصراً وأكد عزمه وإرادته الفولاذية على مواصلة السير في طريقه .

لقد سلك الإمام نفس الطريق الذي سلكه الرسول الأعظم ـ صلى الله عليه وآله ـ من أجل إعادة الحياة إلى الإسلام، وهو طريق الثورة.

لقد ربط الإسلام هذه النهضة في فصلها بقضية عاشوراء.

ففي الفصل الأول من النهضة أي في أيام محرم من عام ١٩٦٣ تحولت الحسينيات ومجالس العزاء والمواكب والمراثي ومجالس الخطابة والوعاظ تحولت كلها إلى منابر ومنصات خطابية لبيان قضايا النهضة.

وفي الفصل الأخير الذي سبق انتصار الثورة كان شهر محرم لعام ١٩٧٨ قد شهد بأمر الإمام تكثيف الاهتمام بإقامة المجالس والمواكب الحسينية، وأطلق

مقولته المشهورة فيه (أن شهر محرم هو شهر انتصار الدم على السيف) فثار من جديد ذلك الطوفان العظيم العام والشعبي.

إنّ محبتكم هذه ومحبة هذا الشعب للحسين بن علي ـ عليه السلام ـ تضمن الحياة والبقاء للإسلام وهذا هو معنى مقولة الإمام التي جاء فيها (إن يوم عاشوراء هو الذي حفظ الإسلام وصانه) وهكذا الحال بالنسبة للأيام الفاطمية ـ أيام ذكرى وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ـ وذكرى المولد النبوي الشريف ومناسبات مواليد الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم.

نشكر الله على أن صار للنفس العيسوي لذلك العبد الصالح وتذكار الأنبياء والأولياء ـ سلام الله عليهم. دوراً يتسم بطابع الإعجاز وصار له الخلود في جبين التاريخ، أي أنه ربى أناساً أفذاذاً ذوي نفوس طيبة من خلال تربيته المشابهة لتربية الأنبياء صاروا يتلألئون كالنجوم المضيئة في ظلمات الجاهلية والمادية التي صنعها طواغيت الزمان وأباطرة التبر والقهر في العالم وفرضوها على الناس.

فطفقوا يبثّون نور الفضيلة والمعنوية فيما حولهم ويظهرون للعالم الروح الروحي والمعنوي والمثل الحقيقية.

نشكر الله تعالى أن أثمرت جهود وارث الأنبياء وسالك طريقهم وجعل الله فيها البركة، وأعطى له ولأمته جزءاً تمثّل بالنصر العظيم الذي ظل أمنية لجميع الصالحين وحكماء الإسلام، وقرن هذا النصر واتبعه بانتصارات باهرة في شتى المجالات وأهمها كلها في مضمار التربية وتزكية نفوس الشباب الذين صاروا بمثابة القواعد المتينة وحراس الثورة والنظام الإسلامي اليقظين، ومنّ عليه بفتح الفتوح الذي كان مفتاح جميع الانتصارات.

ويقيناً أن الإمام كان يتحرك بالروحية التي كان يتحرك بها الأنبياء، وكان أسلوبه أسلوب الأنبياء، وكان نهجه نهج الأنبياء، وأهدافه أهداف الأنبياء أيضاً.

إننا سنصدر هذه الثورة، وإننا لن نتردد في تصدير التوحيد وإشاعة منهج الأنبياء وعرض القيم الإنسانية النظيفة والطيبة والطاهرة، والصبر والمقاومة والإيثار.. وإشاعتها في البلدان الأخرى.

عصر سماحة الإمام الخميني (قدس سره)

لقد بدأ عصر جديد ذو خصائص متميزة عن العهود التي مرّ بها العالم من قبل وكان بدء هذا العصر الجديد متجسداً في ظهور الثورة الإسلامية في إيران وإقامة نظام الجمهورية الإسلامية في هذه المنطقة من العالم، ومع تصاعد النضال الطويل الذي خاضه الشعب الإيراني بقيادة قائده العظيم الفذ للدفاع عن الثورة الإسلامية.

وبدأ هذا العصر بكل ما فيه من خصائص متميزة، سواء شاءت القوى المادية في العالم أم لم تشأ، وسواءً أرادت أمريكا أم لم ترد. وأخذ هذا العصر يتقدم إلى الحد الذي بدأت تأثيرات هذا العصر الجديد تشاهد على صعيد الشعوب والدول الضعيفة وحتى على مستوى القوى العتيدة والكبرى.

وعندما يشهد تاريخ البشرية عصراً جديداً فلا أحد يستطيع أن يجعل نفسه بمعزل عن تأثيرات ذلك العصر ويحذر منها، وهكذا كان الحال أبان العهود السابقة التي مرّت بها البشرية.

ليس بإمكان أحد أن يجعل نفسه مصاناً من تأثيرات عصر أخذ يشق طريقه في هذا العالم وهو يستند على الأسس الإنسانية والإلهية المتينة.

إننا نريد أن نعلن هذه الحقيقة وهي أنه على الرغم من أن الكثير من شعوب العالم قد شملتها تأثيرات هذا العصر الجديد وعلى الرغم من أن الكثير من الحكومات الموجودة على ظهر الأرض هي الأخرى خضعت لتأثيرات هذا العصر بحيث تبدلّت حتى الخارطة السياسية للعالم، إلا أننا لا نتوقع أن يقر ببدء

هذا العصر المحللون والممسكون بزمام إصدار الأحكام من المقتدرين السياسيين في هذا العالم.

أنهم وإن لم يعترفوا ببدء هذا العهد الجديد لكنهم وقعوا تحت تأثيراته وهم يحسون به ويتلمسون آثاره وهذا العصر الجديد ينبغي أن يسمى (عصر الإمام الخميني).

لقد أدركت كل الأبصار النافذة ـ منذ البدء ـ إنه وبانتصار هذه الثورة العظمى بدأ عصر جديد في العلاقات الدولية وهذا العصر يجب أن يطلق عليه (عصر الإمام الخميني) وسماته وملامحه عبارة عن يقظة الشعوب وانتشار الصحوة فيما بينها، وجرأتها وثقتها بنفسها، في قبال منطق التسلط وهيمنة القوى الكبرى، وكسر أصنام القوى الظالمة، وتنامي جذور القدرة الواقعية لبني الإنسان، وبروز القيم المعنوية والإلهية.

إنّ أحد سمات العصر الجديد الذي أوجده الإمام الخميني هو هذا الاحترام لحقوق الإنسان والاحترام للحقوق العامة للشعب، واحترام المطالب المخلصة للطبقات المستضعفة والفقيرة في المجتمع، والتي كان يؤكد عليها مراراً.

لقد بدأ الامام عصراً جديداً وإننا اليوم ونحن نحمل قلوباً وأنفساً مترعة بالأسى واللوعة لفقدان ذلك الإنسان العزيز الذي لا مثيل له في الأمة الإسلامية، فإن علينا أن نؤدي أعظم وظيفة وهي أن نعرف خصائص هذا العصر الجديد الذي بدأه الإمام وجعل الشعب يسبح في أجوائه، وأن نحافظ عليها.

الثورة الثقافية

كنا نعيش حياة عادية، فأبدل الإمام ذلك الركود والخمول إلى حيوية ونشاط وصنع كيان الإنسان وصاغه من جديد. ولقد قال هو نفسه في أحد الفتوحات الكبرى التي حققتموها في جبهات القتال عندما أصدر بيانه بتلك

المناسبة إنّ فتح الفتوح هو بناء مثل هؤلاء الأشخاص والشبّان، وكان هو فاتح فتح الفتوح ذاك.

كما قال : إنّ قضية الحرب قضية مؤقتة ولكن القضية المهمة هي قضية الجامعات.

اعرفوا منزلة التعليم والتربية وأهمية عمل المعلم، وينبغي للشبان والفتيان أن يعرفوا قيمة الدراسة والبحث والمطالعة وبناء الذات التي تقع على عاتقهم هذه الأيام.

أنكم أنتم الذين تقومون بمهمة البناء في الغد القريب، وأنكم أنتم الذين تدخلون اليأس في قلب الاستكبار العالمي، وأنتم الذين تبقون على شعلة الأمل متقدة في قلوب المستضعفين بعد أن أحياها الامام وأوجد ثورتنا، أنتم الذين سوف تقومون بذلك يا جيل الشباب والفتيان في هذا اليوم وأنتم أيها المعلمون والمربّون.

هذا هو الأمر الأساسي الذي كان يؤكد عليه دائماً الامام القائد ، ويُعتبر جزءاً من محكمات الثورة وخط الإمام ومن القضايا الضرورية فيهما.

إن الناس بحاجة هذا اليوم إلى الأخلاق والى تعميق فكر الثورة لديهم، لكي يعلموا ما هو الأساس والقاعدة التي استندت إليها هذه الثورة التي قامت، فينبغي التفكير ملياً في كيفية سد احتياج الناس.

والمرجع الأفضل لذلك هو كلمات الإمام (قدس سره) وتعاليمه وإرشاداته، وبعض المؤلفات والكتابات التي أصدرها بعض كبار الشخصيات خلال هذه السنوات الإحدى عشرة، ولله الحمد.

وطبعاً فإن المهتمين في مجال البحث والتحقيق يستطيعون مراجعة القرآن الكريم والحديث الشريف في باب حاكمية الإسلام وشموليته وكونه دين الحياة.

لقد كان الإمام خلال فترة قيادته التي استمرت عشر سنوات ونيّف ـ بعد انتصار الثورة ـ يحذر المسؤولين ويحذر الشعب الإيراني طراً من الغرور والأنانية والتكبر، وكان يقول دائماً حذار من أن تكونوا أسرى لهوى النفس.

الاعتماد على الناس

إنّ لدينا في هذه الثورة عدة ثوابت ومبادئ أساسية فهمناها منذ البداية، وعلّمنا إيّاها الإسلام، وأوضحها لنا الإمام والفقيه الفذ الجليل.

أحد هذه الأصول هو أي نظام إن لم يكن مبنياً على أساس إرادة الناس وتأييدهم لا يمكن أن يكتب له البقاء والاستمرار. فالناس هم الذين يستطيعون إقامة نظام ما، وحينما يقيمونه فإنهم هم الذين يحافظون عليه، حتى لو اجتمعت كل القوى ضدهم.

فإذا لم يكن النظام نظاماً شعبياً ولا يقوم على أكتاف الناس ووفقاً لعقائدهم وعواطفهم وإرادتهم فإنه لا يمكن أن يستمر ويدوم، وهذا هو أحد الأصول التي نؤمن بها.

وهناك أصل آخر وهو إنّ فرض فكر ما أو عقيدة من نمط معين أو نظام اجتماعي على الناس ليس عملاً ناجحاً، وخصوصاً حينما يكون ذلك الفكر والعقيدة متعارضاً مع دين الناس ومنافياً لعقيدتهم.. وهو الآخر من بين أصولنا الفكرية والإسلامية، فإن ما يكتب له البقاء هو العقائد القلبية للناس وأفكارهم الدينية.

طوال فترة العشر سنوات وبضعة أشهر التي كان يعيش فيها الإمام الخميني (قدس سره) ويقوم بقيادة الأمة ومسلمي العالم ـ بعد انتصار الثورة الإسلامية ـ كان سماحته يركز في خطاباته على الحضور السياسي للشعب، أي حضور الشعب في ساحات النشاط السياسي، وهو يؤكد إنّ الناس ينبغي أن يعتبروا هذا البلد ملكاً لهم، وإن مصير هذا الشعب وهذا البلد إنما هو في أيديهم فرداً فرداً،

وأن منح العظمة والعزة لهذا البلد سوف يكون ممكناً عندما يريدون ذلك ويصممون عليه، وسيصبح استقلال البلد جذرياً وحتمياً حينذاك.

يندر أن رأينا شخصاً مثل الإمام ـ أو سمعنا به ـ يكن للناس احتراماً في أعماق قلبه ويثق بهم هكذا، لم يكن يحمل لهم محبة في قلبه فحسب بل كان إلى جانب المحبّة، الثقة والاعتماد على الناس وعلى شجاعتهم وإيمانهم وكان يثق بحضورهم الدائم ووفائهم.

وحقاً وإنصافاً إن الناس قد أدوا لقائدهم جزاء ثقته المطلقة بهم، وكان الأمر يشكل امتحاناً عجيباً سواء بالنسبة للإمام أو لكم أيها الناس، فقد كان ينظر ذلك الإنسان الفذ إلى الناس بنفس المنظار الذي كان ينظر به الأنبياء إليهم.

إنّ الأنبياء لم يهتموا بالناس اللامعين والبارزين وإنما كانوا يبحثون عن الناس المؤمنين والجماهير المحرومة. لم يكن الإمام يهتم كثيراً بالخواص، وكان يعشق عامة الناس ويتحدث إليهم ويطلب منهم ما يريد.

لقد فقد متطوعو قوات التعبئة المتحمسون المخلصون أباً عطوفاً وحقاً كانت العلاقة بينهم وبين ذلك القلب المشرق والرؤوف مثل علاقة الأب مع ابنه.

وربما لم يحدث مرة واحدة أن يرد ذكرهم وذكر أعمالهم البطولية في ساحات الحرب وفي الميادين المختلفة إلا وأثنى عليهم وعلى أعمالهم وتحدث عنها برقة ورأفة، وأعرب عن تقديره لمتطوعي قوات التعبئة وتحركهم الحماسي.

وحينما كانت تعرض على سماحته آراء الناس المنخرطين في سلك القوات الشعبية فإنه يبدي رد فعل مشوب بالمحبّة والأبوة الحانية.

مثل هذا الإنسان الذي كانت له تلك العظمة، كان يقول ـ حتى أواخر حياته ـ عندما يرد أمامه ذكر الشعب يقول إنّ الشعب خير منّا وأفضل.

كان يرى نفسه ضئيلاً في قبال عواطف الناس وإيمانهم وشجاعة الناس وتضحياتهم وينحني لهم إجلالاً وإكباراً، وكان ذلك من بين جوانب العظمة لديه.

في أثناء الحرب، كانت هناك أمور لم يكن من المصلحة ذكرها والتصريح بها جهراً، ولذلك لم تكن تُعلن على رؤوس الأشهاد، بيد أنه في ما عدا هذه الأمور، فإن كل ما يحدث يجب أن يُخبر الشعب به.

وهكذا كانت الأمور في عهد حياة سماحة الإمام (قدس سره) وحينما كان المسؤولون يزمعون على القيام بخطوة ما كانوا يستشيرونه، ومن بين التوجهات التي كان يقولها عليكم أن تقوموا بما تقومون به بشكل بحيث تستطيعون إخبار الشعب به، وبحيث يمكن تنوير أفكار الشعب به، فالمعيار هو مدى تفهم الشعب للثورة وتفاعله معها. فهذا النظام نظام شعبي.

الدفاع عن المستضعفين

إنّ شعار اجتثاث الغدة السرطانية (إسرائيل) الذي طُرح من قبل الإمام الفذ والقائد الإسلامي الكبير سماحة الإمام الخميني (قدس سره) ينبغي أن يُطرح الآن أيضاً بشدة وقوة وأن يتحول إلى صرخة عامة لكل المسلمين في الحج، على الرغم من حنق التساوميين وذوي الألاعيب السياسية.

إنّ خط الثورة هو خط الإسلام والمسلمين والدفاع عن المظلومين والمستضعفين، وهذا الخط هو الطريق الذي جعل الشعب الإيراني يتحول ـ بعد أن سلكه ومضى فيه قدماً ـ من شعب متأخر ومتّكل على الآخرين إلى أكثر الشعوب حيوية واستقلالاً في العالم المعاصر، ومن خلال دفع الشعب إلى إبداء الإيمان والمحبة والعشق حملهم هذا الخط على تقديم التضحيات المثيرة للدهشة والعجب. وهذا الخط يمثل الهوية الوطنية والثورية.

ثمة عبارة كان يلهج بها سماحة الإمام كثيراً خلال السنوات الماضية، وهي (ان هذه الثورة وهذا النظام مدين دائماً للحفاة، وأن القوة التي ستصونهما هي أولئك الحفاة والطبقات المحرومة في المجتمع).

ويقيناً أن التحرك نحو فك العقد التي يعاني منها الناس وتمهيد الطريق لحياة مرفهة وسليمة وحسنة يتمتع فيها الناس بالوفرة والرخاء وهبوط الأسعار والاستفادة من الإمكانات الموجودة، إنما هو واجب إسلامي يقع على الجميع القيام به وخصوصاً على عواتقكم أنتم المسؤولين ومدراء البلاد، وهو أمر عملي وممكن التحقيق ويعتبر من التطلعات الإسلامية حتماً.

إنّ الشعب الإيراني لم ينكص على عقبيه أثناء اشتعال الحرب وعلى الرغم من تعرضه لشتى أنواع الضغوط. ولم يتساهل أو يغض الطرف في أي قضية من قضايا الحرب، التي دامت ثماني سنوات، مراعاة واستحصالاً لرضا أمريكا والاتحاد السوفيتي.

لقد كان جميع من حوله يقولون له أن السبيل لتليين مواقف أمريكا والاتحاد السوفيتي وجعلهما يتعاملان معكم بالرأفة هو التراجع عن مواقفكم الصلبة والحازمة والمتينة والتساهل في اتخاذ الموقف منهما، ولكن قيادة الشعب الإيراني العظيمة ونفس هذا الشعب الفذ الشجاع لم يتراجعا حتى خطوة واحدة، ومن الأولى به اليوم ألاّ يتراجع.

دور المرأة في المجتمع الإسلامي

لقد كان معلم الثورة الكبير سماحة الإمام الخميني (قدس سره) يرى أن للمرأة دوراً كبيراً في الثورة سواءً في إيجادها أو في استمرارها، ويرى أن دورها في تكامل المجتمع الإسلامي وبلوغه ورشده ـ إسلامياً وثورياً ـ مهم للغاية.

لقد كان للسيدات دور بارز ومشرق في انتصار هذه الثورة واستمرارها وفي مواجهة الوقائع الكبيرة التي شهدها العقد الأخير من عمر الثورة.

خطوط التقاطع في قراءتين
(الإمام الخميني: ملامح ومنطلقات أولية في المنهجية الإحيائية)

لا يكمن المدخل الأساس لفهم متكامل لأبعاد شخصية الإمام الخميني، بمنهجية الاستعراض الترتيبي لمراحل حياته من الولادة حتى الوفاة، وإنما يكمن في استكناه إنجازه والتبصّر بمنهاجه؛ ذلك أن أنسب أرض قادرة على استجماع خصائص شخصية الإمام الراحل، تكمن في التطلع إلى نهضته، والتمعن بها نصاً ومنهجاً وإنجازاً.

لقد شهد العالم الإسلامي على خط الإحياء الديني صيحات واسعة للإصلاح ودعوات متكاثرة للنهضة خلال القرن والنصف الماضيين، بيد أن الباحث ينتهي في التحليل الأخير إلى أن أغلب تلك الصيحات، رغم إخلاص الرواد وتطلع الشعوب وتوثّبها، لم تعدوا في حياة الأمة وفي أوضاع المسلمين أكثر من أن تكون إثارات في الوعي ومواقف في الفعل والحركة، لم تبلغ مستوى الإنجاز المتكامل في خطوطه التفصيلية والعامة.

بعبارة أصرح: ظلت النهضة منذ صيحة السيد جمال الدين الأفغاني مشروعاً نظرياً في عقول الروّاد، وأمنية تنشدّ إليها المجتمعات الإسلامية، ولم تتحول إلى واقع ناجز ومتكامل إلاّ مع آية الله الإمام الخميني. فقد أتاح التوفيق الإلهي من جهة والاستعدادات التي حظيت بها شخصية الإمام الراحل وتوفرت عليها من جهة ثانية، الفرصة المؤاتية لأن يتحول سماحته إلى رمزٍ كبير للإحياء والنهضة، تعدى إنجازه المشروع النظري إلى تشييد نموذجه، كما شمل الإنجاز الأزمنة والحالات جميعاً، فدار جهده من التوعية والتحريك، إلى الثورة والانتصار، ومن ثَم بناء الدولة، ثُم خوض تجربة المواجهة لتثبيت النموذج في الداخل والسعي لتعميمه في الخارج.

وبذلك نعتقد أن أهم الكتابات عن الإمام، هي تلك التي استلهمت هذا الجانب وعبَّرت عنه. وإذا كان ثمة رغبة في أن ينفتح العالم الإسلامي على هذه

الشخصية الإحيائية التجديدية الرائدة ويستفيد منها، فليس أمامه إلاّ التعرّف على نهضتها واكتشاف منهج النهضة. بيد أن الذي يؤسى له أنه برغم مرور ما يقارب العقدين على انتصار الثورة وما يناهز الثماني سنوات على وفاة الإمام، نجد أن هذا المنحى من الدراسات لم يشق بمنهجه الإحيائي طريقه بعد، إلا من استثناءات قليلة برزت في بعض المحاولات، إذ ما تزال سُبل التغطية العاطفية والخطابية من جهة وصيغ السيرة الترتيبية لتأريخ حياة الإمام هي الأكثر طغياناً وهيمنة في هذا المضمار.

وكإشارة إلى عمل بعينه، ربما استطعنا أن ندرج كتاب الباحث اللبناني د. سمير سليمان (الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي) في مضمار هذه المنهجية. فهذا الكتاب رغم صغر حجمه (١٣٢ صفحة من الحجم الوسط) وبعض ما يرد عليه من ملاحظات في جانب الأسلوب وصيغة الآراء والتعبير بالذات، نجده أفلح في تلمس تلك المنهجية التي تدرس الإمام الخميني كرمز من رموز التجديد والإحياء الديني، وتنظر لإنجازه كنهضة محكومة بمكونات ومنهج، يمكن الإفادة منها، وبالتالي دوام خط الإمام عبر اكتشافها ورصد هذه المكونات وتعميم منهج الإمام.

ما دمنا نتناول شخصية الإمام في إطار المنهج الذي نوّهنا إليه قبل لحظة، فذلك يعني أننا نتحدث ـ في هذه الشخصية ـ عن بعدها النهضوي دوماً؛ أي تلك المكونات التي انصبّت حول الوضع الإسلامي المعاصر بهدف تغييره، وتشييد واقع مغاير مكانه يقوم على أساس الإسلام.

هذا المنهج أمضى ـ كما أشرنا ـ في التعريف بشخصية إحيائية كشخصية الإمام أعطت جميع ما تملك لله، ولدعوة الحق التي تحملها، حتى وجدنا الإمام في واحدة من خطاباته للأمة يذكر بأنه أوقف لحظات عمره لله، يبذلها في سبيل خدمة شعبه لحظة فلحظة.

إن التعريف الرُتبي لمراحل شخصية الإمام لا يفي بأبعاد إنجازه ولا يستوعبها، عدا عن أن هذا المنهج يطمس الكثير من معالم شخصيته، ويجزِّئ فكره الحركي والنهضوي، فيشضّيه في مواقف متناثرة موزَّعة على سنّي حياته.

بخلاف أسلوب تركيز الأضواء على معالم نهضته، فهذه المنهجية وإن كانت تغفل بعض التفاصيل الجزئية أحياناً، بيد أنها الأقدر على استكناه الأبعاد الكلية والعامة في شخصية الإمام وقراءتها في نطاق منظومة عضوية متواصلة ومنسجمة.

وعندما نتحدث عن النهضة كَمَعلم من معالم شخصية الإمام، فما نعنيه هو ذلك الهم الذي يحمله سماحته لأوضاع العالم الإسلامي ومشكلاته، وما يستتبع الهم من رؤى تحليلية قائمة على أساس استيعاب الإسلام من جهة، ووعي الواقع المُعاش من جهة ثانية من دون انفصال أو تعالٍ كما يحدث بالنسبة لمقتضى النخبة وحملة راية التنظير والكثرة الغالبة من روّاد الإصلاح من الذين يرضون لأنفسهم مقام التنظير وحسب.

وبعد الهمّ وتحليل الواقع يصل الدور بالإمام إلى مرحلة تشخيص الحلول المناسبة للمشكلات والسعي لتمثلها عملياً.

هذه الاضمامة المتتابعة من الأبعاد نلمسها واضحة في مدلولات النص الخميني. على سبيل المثال بين أيدينا الآن نص للإمام يحمل هذه الأبعاد ويعبّر عنها جميعاً، حيث يقول فيه سماحته وهو في معرض تدارس مشكلات المسلمين مع ممثليهم ممن حضر طهران في إحدى المؤتمرات الفريدة التي لم تتكرّر بعدئذ من حيث مستوى الحضور ونوعيته؛ مخاطبهم بقوله: "ينبغي أن نفكر في جذور المشكلات التي تعمّ المسلمين ونجد لها الحلول اللازمة؟". ثم يواصل سماحته القول بإثارة التساؤلات التالية: "لماذا ظلَّ المسلمون في أنحاء العالم يرزحون تحت سطوة الحكومات والقوى الكبرى؟ ما هو السبيل لحلٍ موضوعي لهذه المشكلة؟

أين يكمن سرّ قدرة المسلمين للتغلب على هذه المشكلات لتُحرّر ـ بالتالي ـ القدس وأفغانستان وسائر بلاد المسلمين؟".

وعندما يتحوّل للجواب يعبّر الإمام من مواقع خبرته بمشكلات المسلمين عن جزء أساس من أفكاره في الحركة والنهضة، حين يقول: "تكمن مشكلة المسلمين الأساسية في الحكومات المسيطرة على مقدراتهم. إنها الحكومات التي أدت بالمسلمين إلى هذا الوضع الذي هم عليه الآن. إن مشكلة المسلمين لا تكمن في الشعوب؛ فهذه الأخيرة قادرة على حل مشاكلها بفطرتها الذاتية؛ بل تكمن بالحكومات المتسلّطة على رقابهم.

يستمر الإمام في نصوص ومواقف أخرى بمعالجة مشكلة السلطة في إطار منظومته الإحيائية النهضوية التي جسّد معالمها الكبرى على أرض إيران، حيث امتحن أفكاره واختبر مقولاته الممتدة من الثورة إلى الدولة، مع كل ما رافق هاتين المحطتين الكبيرتين وما سبقهما وتلاهما من محطات ومراحل.

البُعد النهضوي بوصفه بُعداً كاشفاً لمعلم آخر من معالم شخصية الإمام، نلمسه راكزاً في تلك الأصالة النازعة دوماً صوب الفعل والحركة والتغيير، والبعيدة كل البعد عن الجمود والتحجّر والانغلاق.

خصلة رجحان الفعل والعمل على الكلام يشير إليها نص نادر يقول فيه الإمام: "لست من الذين يطلقون الكلام على عواهنه، ولا من الذين إذ قال سكت عن متابعة ما يقول".

كان حيوياً يحذر من الكسل والانكماش واليأس. وهذه السمات النابضة بالفاعلية نجدها واضحة جلية في نص يوحي فيه سماحته: "ينبغي للأشخاص الموجودين في البلاد الإسلامية، من أولئك المعتقدين بالإسلام الذين تنبض قلوبهم من أجل شعوبهم، ويريدون خدمة الإسلام، أن يقوم كل واحد منهم

ببعث شعبه من داخله، لكي تعثر شعوبهم ـ بالتالي ـ على ذواتها التي فقدوها؛ فالشعوب التي فقدت ذواتها فقدت بلادها".

هو جدل محكم يصدر عن فكر إحيائي ـ نهضوي ثاقب، فالنص يجمع على صعيد تعبير واحد، بين استنهاض الشعب من داخله وبعثه ليستملك ذاته المفقودة مجدداً، وبين كون حالة فقدان الذات مساوية لفقدان البلد ومساوقة للتبعية والذوبان والضياع.

لا نحتاج إلى عناء كبير لإثبات صوابية هذا التحليل؛ فبين يدينا عالمنا الإسلامي الذي يسهل قراءة وقائعه وأوضاع المسلمين فيه من خلال العلاقة المتبادلة التي حددها النص الخميني بين الشعب وذاته، وبين الذات والبلد. وإلا هل ما يشهده العالم الإسلامي سوى دليل آخر على فقدان الأمة لذاتها؟ وهل وجدتم شعباً مستلباً ضائعاً يفلح بتشييد نهضة وإقامة عمران حضاري حقيقي؟

وما دمنا نثير مسألة الذات فعلينا أن نلحظ في قراءتنا لأبعاد معينة من منظومة فكر النهضة عند الإمام، إن قضية استعادة الأمة لذاتها لا تقوم في أطروحة الإمام على بدائل مفتوحة لا عدَّ لها وحصر، كما هي قضية لا تتحمل التجريب لأنَّ الخطأ فيها يعود ـ بل عاد فعلاً ـ بتبعات مفجعة. وإذا كان فكر الإمام يرفض بداهة أن يكون تبني الغرب أساساً كخيار استنهاضي للأمة، فإن شرط الاستعادة لديه أن تتم بالإسلام وللإسلام.

الإسلام هو هوية ذات الأمة المقطوعة. وفي غير ذلك ستظل مشكلات العالم الإسلامي على حالها، حتى لو تم ـ فرضاً ـ بناء الذات على أساس التغريب وما سواه من تيارات الحضارة الغربية واتجاهات الفكر المعاصر. وفي ذلك يصرح الإمام: (إن مشكلاتنا ستظل قائمة على حالها حتى نعود للإسلام".

إذا كانت صورة الإسلام قد تماهت وتشاكلت مع إسلامات، رفعتها عوائل وبيوت، وتنادت بها سلطات وعواصم، فإن الإسلام الذي ينادي به الإمام

ويجعله شرطاً لاستعادة ذات الأمة، إنما هو إسلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول في تتمة النص الآنف: (حتى نعود إلى الإسلام؛ إسلام رسول الله، وسوف لن نتمكن من حلّ قضايانا فيما لو لم نرجع إلى الإسلام).

من شروط الاستنهاض العملي المرتبط بالواقع أن لا يقتصر على التحليل والتنظير، ولا على مجرد الهتاف والشعار. وهذا المَعلَم نجده هو الآخر واضحاً في شخصية الإمام ونهضته. فعن البعد الشخصي نجد الإمام ـ وهو قلما يتحدَّث عن نفسه ـ يقول: (إني لستُ ممّن إذا قال قولاً تركه هدراً. وإذا وجدت أنَّ مصلحة الإسلام تقتضي أن أصدر حكماً فسوف أجدّ في إنجازه بكل طاقاتي، ولن أقف مكتوف اليدين إزاءه؛ بل أقف بوجه الظلم دون وجل).

هذه نقطة كاشفة في صفة قرن القول بالعمل في تكوين شخصية الإمام. وهي بنفسها نجدها في المواقف النهضوية. على سبيل المثال نعرف جميعاً أنَّ الإمام هو الذي أعلن الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك يوماً للقدس، وطلب من المسلمين في إيران وخارجها الاحتفاء بهذه المناسبة. بيد أنه يعود بشخصه ليرفض مجرد الاحتفال والاقتصار على الهتاف والشعار، ويحث على الحركة والفعل التغييري. يقول: "إن الاكتفاء بالاحتفال بيوم القدس عن طريق إطلاق الهتافات وعقد الاجتماعات... لا يمكن أن يقف حائلاً بوجه الحكومات؛ وقد تؤدي هذه الأعمال الغرض المطلوب لكنها لا تكفي لوحدها".

ما نسعى إليه ونبتغي ترسيخه في دراسة شخصياتنا هو تجاوز النهج الذي يقتصر على الاحتفاء بكلمات التمجيد والتبجيل وذكر المؤلفات، لنضعها في مدارها الواقعي، كونها رموزاً ريادية لم يقتصر إنجازها على مدّ وعي الأمة بالفكر، وإنما تركت في وجودها بصمات مؤثرة.

وزبدة هذه المحاولة تتمثل بالنظر لهذه الرموز الريادية. إنها شخصيات كبيرة في خطّ الإحياء الذي عمّ العالم الإسلامي منذ أكثر من مائة عام، وبالتالي فإن

همة الباحث ينبغي أن تنصرف لاستقصاء معالم الفكر الإحيائي النهضوي لدى هؤلاء، واكتشاف نظرياتهم في قضايا الأمة ومشكلاتها الحضارية.

من مزايا هذا المنهج أنه يوفر للأمة فرصاً أوفر للتعامل الخصب مع فكر أولئك وإنجازاتهم، وهو يمنح الحيوية لفكرهم بعد أن يصاغ على شكل نظريات إزاء قضايا الواقع.

كما أنه يكسر الحصار المنهجي المفروض على رجالنا ويتجاوز الإقصاء والإلغاء الذي يمارس ضدّهم على أساس الانتماء المذهبي.

وحين نتحدث في نطاق المسلمين، يمكن أن نتفق على مفهوم عريض للإحياء يتألف من حسٍّ عميق بالواقع المعاش ومرارته، وتجاوزه نحو الأفضل، شرط أن يستند التغيير إلى رؤية فكرية تحليلية لعلل الواقع المعاش، إلى جوارها رؤية فكرية ينطلق منها برنامج يترسم منطلقات التغيير. وقد تمارس الشخصية الإحيائية بعض منطلقات فكرها في التغيير لو أُتيحت لها إمكانات ذلك، وقد تموت وتختفي من الساحة ويبقي فكرها الإحيائي مناراً لعمل الآخرين.

ولا ريب أن الإمام الخميني تميز من بين رموز الإحياء الإسلامي خلال أكثر من قرن، أنه توفر على البعدين في زمن واحد، فهو صاحب نظرية أو مشروع في الإحياء، وقد استطاع في الوقت ذاته أن ينفذ مشروعه عملياً ويحوله إلى إنجاز متحقق على أرض الواقع.

وعند هذه النقطة تكمن أهمية دراسة شخصية الإمام الخميني كرائد إحيائي يمثل مشروعه العملي إنجازاً قائماً بالفعل، وصاحب نهضة يمكن التوفر على اكتشاف عناصرها العامة التي تستحق التعميم في ساحات المسلمين المختلفة.

عندما ينتهي الدارس من بعض التحديدات المنهجية التي تتناول إمكانية الإحياء الإسلامي ومعناه، يقف حيال إنجاز الإمام وأمامه قراءتان إيجابية

وسلبية "إذا صحَّ التصنيف". والأساس في هذا التصنيف أن الممارسة الإحيائية تتجه للإسلام تارة وللواقع تارة أخرى.

فالشخصية الإحيائية تستلهم من الإسلام عوامل الإحياء وممكناته وتدفع بها إلى المسلمين، وهذا ما نسميه بالجانب الايجابي من الإحياء، في حين تتجه للواقع وتعالج العقبات التي تحول دون فاعلية هذا الدين وامتداده وعطائه، وهذا هو الجانب السلبي الذي يشهد صراعاً ومعارك محتدمة مع جميع العوامل المعوّقة لانطلاقة الدين، سواء عبّرت عن نفسها بصيغة عوامل تعويق داخلية أو تحديات وعقبات خارجية يفرضها الوضع الحضاري الراهن للأمة الذي يشهد استعلاء الغرب وضغوطات حضارته المادية.

والواقع أن الإمام خاض معركة ضارية في الجبهتين معاً، ذلك أن مهمة إحياء الدين ونفض الغبار عما لحقه من ركام التخلف والجمود بفعل عوامل معروفة، لم تكن أقل قسوة من ضراوة المعركة على الجبهة الثانية؛ جبهة الواقع في معوقاته الداخلية وتحدياته الخارجية، إن لم تكن أشدّ منها كما صرّح الإمام أكثر من مرّة.

نعرف أن هذه المحاولة محفوفة بأسئلة أساسية ومهمة عن إمكان الإحياء ومعناه وتاريخيته في حياة المسلمين، ثم مداه وأدواته. كما نعرف أن دراسة مثل هذه لشخصية الإمام الخميني تحتاج لجهود كبيرة وتقصّي واسع لمئات الخلفيات والمواقف وألوف النصوص والوقائع، بيد أن الذي لا نشكّ فيه أنها ستعود بمعطيات مهمة على وعينا وواقعنا.

خط الإمام الخميني (قدس سره)

خط الإمام الخميني (قدس سره) كما يعرفه سماحة الإمام القائد (دام ظله الوارف) هو : فهمه الأصيل للإسلام كرسالة إلهية، ومنهجه العملي في التعاطي مع قضايا الإسلام والأمة.

وهذا يعني أن لخط الإمام بعدين:

البعد الأول: فهم الإمام النظري للإسلام بما هو عقيدة وفكر وشريعة وقيم وأخلاق وخط سير وسلوك على الله.

والبعد الثاني: المنهج العملي للإمام في التعاطي مع قضايا الأمة المعاصرة وأحوالها وأوضاعها وشجونها وآمالها وآلامها، وطريقته وأسلوبه العملي في مواجهة التحديات والأخطار والمحن والفتن التي يواجهها الإسلام والأمة من قِبَل الاستكبار العالمي وغيره.

إن أهم أركان هذا الخطر وميزاته وخصوصياته حسبما يشير سماحة الإمام القائد (دام ظله الوارف) هي:

أولاً : الربانية والارتباط بالله سبحانه وتعالى ارتباطاً وثيقاً قائماً على أساس العبودية الحقيقية لله تعالى، والإخلاص له، والتوكل عليه في كل الحالات،وهذا هو قوام الخط وأساسه الأول.

ثانياً : التقيد الكامل بالتكاليف والمسؤوليات الإلهية والعمل على امتثالها وتطبيقها مهما كانت النتائج.

ثالثاً : الإصرار على الالتزام بالإسلام المحمدي الأصيل وتحطيم حاجزي التحجر والالتقاط في الفهم والعمل الإسلامي.

رابعاً : التأكيد على ارتباط الحاكمية والقيادة بالولي الفقيه في عصر غيبة الإمام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) ووجوب التفاف الناس حول قيادته والتقيد بأوامره والمسؤوليات والتكاليف التي يحددها للأمة.

خامساً : الصمود في مواجهة نفوذ القوى الأجنبية المستكبرة وعدم مساومتها، والثبات السياسي على المواقف المبدئية تجاه كل القضايا السياسية.

سادساً : الاهتمام بالجانب الروحي والمعنوي، والعمل على بناء الذات على التقوى، والصمود في مواجهة وساوس النفس الإنسانية أو (سلطة شيطان النفس) على حد تعبير الإمام القائد.

يقول الإمام القائد (دام ظله الوارف) عن الخصوصيتين الأخيرتين:

(هذان الأمران المهمان وهذان الميدانان للصراع ـ أي الصراع مع قوى الاستكبار والصراع مع النفس ـ لم يكن الإمام يفصلهما عن بعض، كان يقف في الساحة الاجتماعية والسياسية في مقابل الشيطان الأكبر وشياطين القوى المستكبرة، وكان يجاهد في ساحة النفس الإنسانية نفسه ويصرّ على العمل العبادي وبناء الذات وتزكية النفس وتهذيبها).

سابعاً : التبني المستمر لقضايا المستضعفين في العالم الإسلامي، بشكل جاد، والدفاع عن مواقعهم وقضاياهم بكل الوسائل الممكنة، والعمل على إنقاذهم ورفع الحرمان عنهم وتأمين العدالة الاجتماعية.

ثامناً : الإصرار على وحدة المسلمين ومحاربة محاولات بث الفرقة بين الشعوب الإسلامية.

تاسعاً : التوجه الخاص للصراع مع الكيان الصهيوني الغاصب والمحتل للقدس، فإن قضية الصراع مع العدو الإسرائيلي كانت تحتل مكاناً في منطق وطريقة وتخطيط الإمام (قدس سره).

يقول الإمام القائد (دام ظله الوارف): (ففي نظر الإمام تعتبر قضية الصراع مع الصهاينة من الأصول والثوابت التي لا يجوز غض النظر عنها من قِبَل الشعوب الإسلامية بأي وجه من الوجوه، وذلك لأن الإمام قد شخَّص بدقة

الدور الإرهابي والمخرّب والهدّام لهذا الكيان الغاصب قبل سنوات من الثورة).

عاشراً: إعطاء الأهمية لقدرات الشعوب واعتبارها عنصراً أساسياً في أية حركة تغييرية. (فقد كان الإمام يخاطب الشعوب ويتكلم معها، وكان يعتقد أن تحولات العالم الكبيرة إذا حدثت بأيدي الشعوب فلن تقبل الهزيمة والانكسار، وتستطيع الشعوب أن توجد تحولاً في الدنيا وتغير المحيط الذي تعيش فيه).

الحادي عشر: إيجاد علاقات صحيحة مع الدول على مستوى العالم باستثناء الدول المستكبرة كأمريكا مثلاً (فالعلاقة مع أمريكا مرفوضة لأنها دولة مستكبرة ومعتدية وظالمة، وهي في حالة حرب وصراع مع الإسلام) على حدّ تعبير الإمام القائد (مد ظله الوارف).

لقد تميز خط الإمام من خلال هذه الخصوصيات عن سائر الخطوط السياسية المعاصرة، وبرز كخط إيماني سياسي جهادي واضح المعالم والاتجاه، واستقطب هذا الخط دون سائر الخطوط جماهير الأمة.

ونحن بحاجة دائماً إلى شرح وبيان معالم هذا الخط وأركانه وخصوصياته من أجل أن نحاكم أعمالنا وسلوكنا وأداءنا على أساسه، لأنه عندما يكون الخط واضحاً لدينا نستطيع أن نحصّن المسيرة الإسلامية إيمانياً وفكرياً وثقافياً وسياسياً وفي الالتزام والأداء.

خط الإمام

من أهم مكاسب الثورة الإسلامية ظهور خط سياسي إسلامي، يعبر عن مواقفنا الإستراتيجية السياسية والجهادية، ويرتبط بمواقعنا وأصولنا الفكرية والإيمانية، وذلك هو خط الإمام الخميني (قدس سره)، قائد الثورة الإسلامية الكبرى في عصرنا ومؤسس الجمهورية الإسلامية.

ولا شك أن ظهور خط الإمام حدث سياسي هام، يستحق دراسات واسعة وتحقيقية، فلأول مرة في العصر الحاضر يكون لجهادنا السياسي، خط سياسي محدد المعالم، واضح الاتجاه.

وقد ظهر مصطلح (خط الإمام) لأول مرة عند احتلال السفارة الأمريكية، من قبل الطلبة المسلمين، الذين سموا أنفسهم بـ (الطلبة السائرين على خط الإمام) ومنذ هذا التاريخ دخل هذا المصطلح في قاموس الثورة، إلاّ أن مضمون خط الإمام، والمحتوى السياسي والفكري، لهذا المصطلح كان موجوداً في عمق الثورة، قبل ذلك بزمان بعيد.

الإمام روح الله الخميني قدس سره

ولد الإمام الخميني قدس سره عام ١٣٢٠ للهجرة (١٩٠٢/٩/٢١ م) بمدينة "خُمين" - ٣٤٩ كلم جنوب غربي "طهران" - في بيت عُرف بالعلم والفضل والتقوى.. ولم تمضِ على ولادته ستة أشهر حتى استُشهد والده آية الله السيد مصطفى الموسوي على أيدي قطّاع الطرق، المدعومين من قِبل الحكومة آنذاك، وكان استشهاده (رحمه الله) في الحادي عشر من ذي القعدة عام ١٣٢٠ للهجرة. وهكذا، تجرّع الإمام الخميني قدس سره منذ صباه مرارة اليتم، وتعرّف على مفهوم الشهادة.

مرحلة الطفولة

أمضى الإمام فترة طفولته وصباه تحت رعاية والدته المؤمنة السيدة "هاجر"، التي تنتسب لأسرة اشتُهرت بالعلم والتقوى، وكفالة عمّته الفاضلة "صاحبة هانم"، التي عُرفت بشجاعتها وقول الحق.

وفي سن الخامسة عشرة، حُرِم الإمام من نعمة وجود هاتين العزيزتين.

مرحلة الدراسة والتدريس

درس سماحة الإمام في مدينة "خُمين" حتى سن التاسعة عشر مقدّمات العلوم، بما فيها اللغة العربية والمنطق والأصول والفقه، لدى أساتذة معروفين. وفي عام ١٣٣٩ للهجرة (١٩٢١ م) التحق بالحوزة العلمية في مدينة "آراك"، وبعد أن مكث فيها عاماً، هاجر إلى مدينة "قم" لمواصلة الدراسة في حوزتها.

وفضلاً عن مواصلة دراسته على يد فقهاء ومجتهدي عصره، إهتم بدراسة علم الرياضيات والهيئة والفلسفة. وفي الوقت الذي اهتم فيه بكسب العلوم، حرص على المشاركة في دروس الأخلاق والعرفان النظري والعملي في أعلى مستوياته لدى آية الله الميرزا محمد علي شاه آبادي، على مدى ست سنوات.

وفي عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) بدأ الإمام الخميني الراحل قدس سره بمزاولة التدريس، أي منذ أن بلغ سن السابعة والعشرين من عمره، درّس سماحته بحوث الفلسفة الإسلامية، والعرفان النظري والعملي، وأصول الفقه، والأخلاق الإسلامية.

الأسرة والأبناء

إقترن سماحة الإمام الخميني قدس سره عام ١٩٢٩ م بكريمة آية الله الحاج الميرزا محمد الثقفي الطهراني، وكانت ثمرة هذا الإقتران ثمانية أبناء هم: الشهيد آية الله السيد مصطفى الخميني، وابن اسمه "علي" توفي في سن الرابعة، والسيدة "صديقة مصطفوي" عقيلة آية الله "إشراقي"، والسيدة "فريدة مصطفوي" عقيلة السيد "الأعرابي"، والسيدة "فهيمة - زهراء - مصطفوي" عقيلة الدكتور السيد "البروجردي"، وبنت اسمها "سعيدة" توفيت ولها من العمر سبعة شهور، وحجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، وبنت اسمها "لطيفة" توفيت وهي طفلة.

ومع أنّ سماحة الإمام قدس سره كان يعتمد طوال حياته السياسية وجهاده على الله، ويتوكل عليه فحسب، ويستمد العون منه وحده، ويواصل خطواته بوحي من ثقته بإيمانه، إلاّ أنّ الدور الفعال والمؤثر لولده السيد مصطفى - إلى جواره - طوال مراحل النهضة الإسلامية، لم يكن خافياً على أحد.

ونظراً لهذا الدور الذي كان يضطلع به السيد مصطفى في تنظيم طاقات الثورة، وجمع الأخبار والمعلومات اللازمة، وإيصال نداءات قائد الثورة السرّية إلى الآيات العظام والعلماء وزعماء الفصائل السياسية، وإيجاد قنوات الإتصال والتواصل مع العناصر الثورية، ألقت عناصر نظام الشاه القبض عليه وأُودع السجن، ثم تم نفيه بعد إطلاق سراحه، كوالده الإمام إلى تركيا، ومن ثم إلى العراق.

ولا شك أنّ الذي مهّد الطريق لاستشهاده عام ١٩٧٨ لم يكن غير دوره الفاعل في النهضة الإسلامية ومواصلتها.

ومن تلك اللحظة التي استُشهد فيها، ألقت المشيئة الإلهية المسؤولية التي كانت ملقاة حتى ذلك التاريخ على عاتق السيد مصطفى الخميني، على كاهل شاب لا يقلّ عن أخيه حنكة وتدبيراً، ألا وهو السيد أحمد الخميني.

ورغم أنّ السيد أحمد كان يبدو قبل هذه الحادثة المؤلمة متفرغاً لدراسته الحوزوية، إلاّ أنه في الحقيقة كان يتحمل مسؤوليات أخيه ذاتها في الحوزة العلمية بمدينة "قم" وسائر أنحاء إيران.

ففي الوقت الذي تحوّل بيت سماحة الإمام بالنجف الأشرف إلى منطلق لتصدير الثورة وقيادتها، فإنّ كُلاً من إدارة شؤون البيت، وتنظيم لقاءات قائد الثورة، وتسهيل قنوات اتصال المناضلين الضرورية مع النجف، وتقديم التقارير الواردة عن اتساع النشاطات الثورية في إيران، وإبلاغ أوامر الإمام إلى المناضلين، وكذلك توفير قنوات الإتصال الواسعة مع الفصائل المناضلة في الداخل، كل ذلك، كان يتحمل مسؤوليته السيد أحمد الخميني.

كان السيد أحمد، سواء في المراحل الحساسة لنضال الشعب الإيراني المسلم، أم خلال هجرة قائد الثورة إلى فرنسا، أو أثناء عودته إلى أرض الوطن، ومن ثم مرحلة انتصار الثورة، كان المستشار الأمين، والمدبّر الواعي، والسياسي المحنّك ذا الأفق البعيد، والمجاهد الذي لا يكلّ أو يملّ، والنصير المعتمد والمريد المخلص في خدمة والده، والذي قد كرّس كل جهده وهمّه لإحراز رضى شيخه على طريق نيل رضى الله.

إنّ الدور الفريد والنادر الذي لعبه السيد أحمد، إلى جوار المشعل المتّقد لوجود الإمام العزيز، كان منشأ بركات يمكن مشاهدة آثارها في كل مرحلة من مراحل تاريخ الثورة الإسلامية.

وبعد رحيل سماحة الإمام، كان حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني حاضراً في العديد من المؤسسات السياسية والثقافية لخدمة الثورة ونظام الجمهورية الإسلامية، وكان لا يألو جهداً في إسداء النصح وأداء الواجب.

وبوصفه أحد الوجوه البارزة للثورة، كان موضع ثقة واستشارة القيادة ومسؤولي النظام.

أخذ السيد أحمد على عاتقه مسؤولية الإشراف على مؤسسة (تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره)، بدافع المحافظة على تراث قائد الثورة الإسلامية الكبير، ونشر أفكاره وآرائه، ولم يألُ جهداً في استبدال المرقد الطاهر لسماحة الإمام إلى مركز إشعاع للثورة الإسلامية.

وحينما ودّع السيد أحمد الدنيا الفانية، بسبب عارض قلبي ألمّ به في ١٩٩٤/٣/١٧ م، كانت مؤسسة (تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره) ومجمع الحرم المطهّر لسماحة الإمام قدس سره، قد حققا المكانة والمنزلة التي تليق بهما.

وبناءاً على الوصية التي تركها الفقيد السيد أحمد الخميني، أُوكلت سدانة الحرم المطهّر لسماحة الإمام، ومهمة الإشراف على مؤسسة "تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره" إلى ولده البكر سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الخميني، لكي يبقى طريق الإمام مشعّاً دائماً، وتبقى ذكرى هذا العزيز خالدة أبداً.

إنّ أسلوب حياة الإمام الخميني قدس سره، وبساطة عيشه، ولكونها نابعة من معتقداته الدينية، بقيت ثابتةً لم تتغير في مختلف مراحل حياته، وطوال مسيرة جهاده السياسي الحافلة بالأحداث.

لقد دُهِش الصحفيون الأجانب ومراسلو وكالات الأنباء العالمية، الذين سُمح لهم بعد رحيل الإمام بزيارة محل إقامة سماحته، دُهِشوا لمشاهدتهم البيت المتواضع، ووسائل المعيشة البسيطة لقائد الثورة الإسلامية الكبير، وإنّ ما رأوه لا

يمكن مقارنته بأي وجه مع نمط حياة رؤساء البلدان والزعماء السياسيين والدينيين في عالم اليوم..

إن أسلوب حياته وبساطة معيشته يعيدان إلى الأذهان الصورة التي كانت عليها حياة الأنبياء والأولياء والصالحين.

مرحلة النضال والثورة

إبتدأ الإمام الخميني قدس سره جهاده في عنفوان شبابه، وواصله طوال فترة الدراسة بأساليب مختلفة، بما فيهما مقارعته للمفاسد الاجتماعية والانحرافات الفكرية والأخلاقية.

ففي عام ١٩٤٣ م، ومن خلال تأليفه ونشره لكتاب "كشف الأسرار" قام سماحته بفضح جرائم فترة العشرين عاماً من حكم رضا شاه - والد الشاه المخلوع - وتولى الرد على شبهات المنحرفين دفاعاً عن الإسلام وعلماء الدين. كما أثار في كتابه هذا فكرة الحكومة الإسلامية، وضرورة النهوض لإقامتها.

وانطلق الإمام الخميني قدس سره في نضاله العلني ضد الشاه عام ١٩٦٢ م، وذلك حينما وقف بقوة ضد لائحة "مجالس الأقاليم والمدن"، والتي كان محورها محاربة الإسلام، فالمصادقة على هذه اللائحة من قِبل الحكومة آنذاك كانت تعني حذف الإسلام كشرط في المرشحين والناخبين، وكذلك القبول باستبدال اليمين الدستورية بالكتاب السماوي بدلاً من "القرآن المجيد".

بيد أنّ سماحته هبّ لمعارضة هذه اللائحة، ودعا مراجع الحوزات العلمية وأبناء الشعب للانتفاض والثورة.

وعلى أثر برقيات التهديد التي بعث بها الإمام إلى رئيس الوزراء وقتئذ، وخطابات سماحته التي فضحت الحكومة، وبياناته القاصمة، وتأييد المراجع لمواقفه، انطلقت المسيرات الشعبية الحاشدة في كلٍّ من مدينة "قم" و"طهران"

وسائر المدن الأخرى، مما اضطُر نظام الشاه إلى إلغاء اللائحة والتراجع عن مواقفه.

ودفعت مواصلة النضال الشاه لارتكاب إحدى حماقاته التي تمثّلت في مهاجمة المدرسة "الفيضية" بمدينة "قم" في الحادي والعشرين من آذار عام ١٩٦٣م، وما هي إلاّ فترة وجيزة حتى انتشر خطاب سماحة الإمام وبياناته حول هذه الفاجعة في مختلف أنحاء إيران.

وفي عصر العاشر من محرّم الحرام عام ١٣٨٣ للهجرة (١٩٦٣/٦/٣م) فضح الإمام الخميني قدس سره عبر خطاب حماسي غاضب، العلاقات السرّية القائمة بين الشاه و"إسرائيل" ومصالحهما المشتركة.

وفي الساعة الثالثة من بعد منتصف ليل اليوم التالي، حاصرت القوات الحكومية الخاصة بيت الإمام قدس سره، وتم اعتقاله وإرساله مكبّلاً إلى "طهران".

انتشر خبر الاعتقال بسرعة خاطفة في مختلف أنحاء إيران. وبمجرّد أن سمعت الجماهير نبأ اعتقال الإمام قدس سره نزلت إلى الشوارع منذ الساعات الأولى لفجر الخامس من حزيران ١٩٦٣، وراحت تعبّر عن استنكارها لعمل الحكومة في تظاهرات حاشدة، أعظمها تظاهرة "قم" المقدسة، التي شهدت أكبر هذه الاستنكارات، والتي هاجمتها قوات النظام بالأسلحة الثقيلة، وكان نتيجتها سقوط العديد من المتظاهرين مضرّجين بدمائهم.

ومع إعلان نظام الشاه الأحكام العرفية في "طهران"، اشتد قمع تظاهرات أبناء الشعب في تلك الأيام، حيث قتلت وجرحت قوات الحكومة العسكرية الآلاف من أبناء الشعب الأبرياء.

وكانت مذبحة الخامس من حزيران ١٩٦٣ م بدرجة من القسوة والوحشية، وأخذت تتناقل أخبارها وسائل الإعلام العالمية والمحلية.

وأخيراً، ونتيجة لضغط الرأي العام واعتراضات العلماء وأبناء الشعب في داخل البلاد وخارجها، اضطر إلى إطلاق سراح الإمام بعد عشرة أشهر تقريباً من المحاصرة والاعتقال.

واصل الإمام جهاده عبر خطاباته الفاضحة للنظام، وبياناته المثيرة للوعي. وفي هذه الأثناء، تأتي مصادقة الحكومة على لائحة "الحصانة القضائية" التي تنص على منح المستشارين العسكريين والسياسيين الأمريكيين الحصانة القضائية، لتثير غضب قائد الثورة وسخطه، فما أن يطّلع الإمام الخميني على هذه الخيانة حتى يبدأ تحركاته الواسعة، ويقوم بإرسال مبعوثيه إلى مختلف أنحاء إيران، ويعلن لأبناء الشعب عن عزمه بإلقاء خطاب في العشرين من جمادى الآخرة عام ١٣٨٣ هـ.

ألقى سماحة الإمام خطابه الشهير في اليوم المعلن، دون أن يعبأ بتهديد النظام ووعيده، فانتقد لائحة الحصانة القضائية، وحمل بشدة على الرئيس الأمريكي وقتئذ.

أما نظام الشاه، فقد رأى أنّ الحل الأمثل يكمن في نفي الإمام إلى خارج إيران.

ومرة أخرى حاصرت المئات من القوات الخاصة والمظليين بيت الإمام، وذلك في سَحَر يوم الثالث من تشرين الثاني عام ١٩٦٤ م.

وبعد اعتقال سماحته، اقتيد مباشرة إلى مطار "مهر آباد" بطهران، ومن هناك، وطبقاً للاتفاق المسبّق، تم نفيه أولاً إلى مدينة "أنقرة" (تركيا)، ومن ثم إلى مدينة "بورساي" التركية.

وقامت قوات الأمن الإيراني والتركي المكلّفة بمراقبة سماحة الإمام، بمنعه من ممارسة أي نشاط سياسي أو اجتماعي.

□

مرحلة الإبعاد والنفي

إستغرقت إقامة الإمام بتركيا أحد عشر شهراً، وخلال هذه الفترة، عمل نظام الشاه بقسوة لم يسبق لها مثيل على تصفية بقايا المقاومة في إيران.

مثّلت الإقامة الجبرية في تركيا فرصة اغتنمها الإمام في تدوين كتابه المهم "تحرير الوسيله"، حيث تطرّق لأول مرة آنذاك في كتابه هذا - الذي يمثّل الرسالة العملية لسماحته - إلى الأحكام المتعلقة بالجهاد، والدفاع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمسائل المعاصرة.

في يوم ١٩٦٥/١٠/٥ م يُنقَل سماحة الإمام برفقة ابنه السيد مصطفى، من تركيا إلى منفاه الثاني بالعراق، ليقيم في مدينة "النجف الأشرف".

ومن منفاه في "النجف" كان سماحة الإمام، فضلاً عن انشغاله بتدريس الفقه لمرحلة "البحث الخارج" وعرضه للأسس النظرية لمبدأ الحكومة الإسلامية، التي حملت عنوان "ولاية الفقيه"، كان يتابع بدقة الأحداث السياسية التي تشهدها إيران والعالم الإسلامي، رغم كل الصعوبات الموجودة، وكان حريصاً على إيجاد قنوات الإتصال مع الثوريين في إيران، ومع عوائل شهداء انتفاضة الخامس من حزيران، والسجناء السياسيين بشتى السبل.

وقد وفّر وجود الإمام في العراق الفرصة لأن يكون على اتصال مباشر بالمؤمنين والطلبة المسلمين الموجودين خارج البلاد بنحو أفضل من السابق.

وكان لذلك دور كبير في نشر أفكاره وأهداف النهضة على المستوى العالمي، فأثناء اعتداءات الكيان الصهيوني والحروب العربية الإسرائيلية، بذل الإمام الخميني قدس سره جهوداً كبيرة في الدفاع عن نهضة المسلمين الفلسطينيين ودول خط المواجهة، من خلال اللقاءات المتعددة التي كان يجريها مع زعماء الفصائل الفلسطينية المناضلة، وقيامه بإرسال المبعوثين إلى لبنان، وإصدار فتواه التاريخية

المهمة التي اعتبرت تقديم الدعم العسكري والإقتصادي لثورة الشعب الفلسطيني والبلدان التي تتعرض للاعتداءات الصهيونية، واجباً شرعياً.

وكان ذلك من جملة النشاطات التي تصدر لأول مرة من أحد مراجع الشيعة الكبار.

لقد حافظت بيانات سماحة الإمام، الباعثة للوعي ونداءاته، للعزائم والهمم، التي تناولت الأحداث الداخلية لإيران، على إبقاء مشعل النضال متقداً دائماً، في الوقت الذي كان الشاه يعيش ذروة جبروته، وكان يحضّر للاحتفال بمرور ألفين وخمسمائة عام على تأسيس الإمبراطورية الشاهنشاهية، وكان منهمكاً في إيجاد نظام الحزب الواحد في البلاد، حزب "رستاخيز" (البعث).

كانت خطابات الإمام ونداءاته تشحذ الهمم وتبعث الأمل في مثل هذه الظروف، وتزيد من عزم المناضلين ومقاومتهم، الذين كانوا يتعرضون في غياهب السجون إلى أشد أنواع التعذيب الوحشي على أيدي أفراد "السافاك"، وهم يمضون فترات أحكامهم الطويلة.

ذروة الأحداث وانتصار الثورة الإسلامية

مثّلت شهادة آية الله السيد مصطفى الخميني (رضوان الله عليه) - الابن الأكبر للإمام قدس سره - في ١٩٧٧/١٠/٢٣ م، ومراسم العزاء التي أقيمت في إيران، نقطة الانطلاق لانتفاضة الحوزات العلمية ثانية، وانتفاض المجتمع الإيراني المؤمن. ومما يثير الحيرة والدهشة أنّ الإمام الخميني قدس سره وصف هذا الحادث المؤلم بأنه من الألطاف الإلهية الخفية.

وفي غضون ذلك، بادر نظام الشاه إلى الانتقام من الإمام والشعب، بنشره مقالاً في إحدى الصحف اليومية الرسمية للبلاد، يسيء إلى الإمام الخميني قدس سره، فأثار المقال استنكاراً واسعاً بين صفوف أبناء الشعب، وقاد إلى اندلاع انتفاضة

التاسع عشر من "دي" (١٩٧٨/١/١٩ م) في مدينة "قم"، والتي قُتل فيها العديد من طلبة العلوم الدينية.

ومرة أخرى تندلع الثورة من مدينة "قم" وتعمّ مختلف أنحاء البلاد في فترة قياسية، وقد ساعدت مراسم إقامة مجالس التأبين في اليوم الثالث والسابع والأربعين من رحيلهم إحياءاً لذكرى شهداء الانتفاضة الأخيرة، في كلٍّ من مدينة "تبريز" و"يزد" و"جهرم" و"شيراز" و"أصفهان" و"طهران"، ساعدت في بروز انتفاضات متتابعة أخرى.

وطوال هذه الفترة، كانت نداءات الإمام الخميني قدس سره المتتالية، وأشرطة التسجيل المتضمنة لخطابات سماحته، التي كان يدعو الناس فيها إلى الثبات والاستقامة ومواصلة النضال والثورة حتى تداعي أركان السلطة وتشكيل الحكومة الإسلامية، كانت تسجَّل وتوزَّع على مساحة واسعة من إيران من قِبل أنصار الإمام وأتباعه.

عجز الشاه، رغم لجوئه إلى ارتكاب المجازر الجماعية، عن إخماد شرارة الثورة التي اندلعت.

ولم يتمكن الشاه رغم إعلانه الأحكام العرفية في إحدى عشرة مدينة، واستبدال رئيس الوزراء ومسؤولي المناصب العليا، أن يترك أي تأثير للحيلولة دون اتساع رقعة الثورة، إذ كانت البيانات الفاضحة للنظام والأوامر الجهادية التي كان يصدرها الإمام الخميني قدس سره تُحبط كافة المناورات والدسائس السياسية والعسكرية التي كان يلجأ إليها الشاه.

وفي اللقاء الذي جمع وزيرَي خارجية إيران والعراق في نيويورك، قرر الطرفان إخراج الإمام الخميني من العراق.

وفي ١٩٧٨/٩/٢٤ م حاصرت القوات البعثية منزل الإمام في "النجف الأشرف"، وأبلغت الإمام بأنّ مواصلة إقامته في العراق منوطة بإيقاف نشاطاته السياسية، والتخلي عن النضال.

وأصرّ الإمام على مواصلة نضاله، ولم يركن للضغوطات البعثية، مما دفعه إلى ترك (النجف الأشرف) في ١٩٧٨/١٠/٢٤ م، بعد ثلاثة عشر عاماً من النفي، متوجهاً إلى الكويت، إلاّ أنّ الحكومة الكويتية، وبطلب من نظام الشاه، منعت الإمام الخميني قدس سره من دخول أراضيها.

وبعد أن تشاور الإمام مع ابنه حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني (رضوان الله عليه) قرّر الهجرة إلى باريس.

وصل سماحته باريس في ١٩٧٨/١٠/٦ م، وفي اليوم التالي انتقل للإقامة في منزل أحد الإيرانيين بـ"نوفل لوشاتو" (ضواحي باريس).

وفي غضون ذلك، قام مبعوث قصر "الإليزيه" بإبلاغ الإمام طلب الرئيس الفرنسي "جيسكار ديستان"، بضرورة اجتناب أي نوع من النشاط السياسي، فكان رد الإمام حازماً، إذ صرّح بأنّ هذا النوع من المضايقات يتعارض مع ادعاءات الديمقراطية، وأنه لن يتخلى عن أهدافه حتى ولو اضطره ذلك إلى التنقل من مطار إلى آخر ومن بلد إلى آخر.

إنّ فترة الأربعة أشهر من إقامة الإمام في باريس، جعلت من "نوفل لوشاتو" أهم منبع خبري عالمي، فقد أضحت حوارات الإمام ولقاءاته المختلفة مع حشود الزوار الذين كانوا يتدفقون على "نوفل لوشاتو" من مختلف أنحاء العالم، سبباً في أن يتعرف العالم أكثر فأكثر على أفكار الإمام وآرائه بشأن الحكومة الإسلامية والأهداف القادمة للثورة.

أما الشعب الإيراني، فقد صعّد من حدّة تظاهراته، مستلهماً توجيهات سماحة الإمام قدس سره وإرشاداته.

ونتيجة لاتساع رقعة الاضطرابات، شُلّت حركة المراكز والمؤسسات الحكومية؛ ولم تجدِ نفعاً كل محاولات الشاه في تغيير رئاسة الوزراء، وإعلان تأسفه عن أعماله السابقة، وإطلاق سراح السجناء السياسيين، إلى غير ذلك..، لم تجدِ نفعاً في إخماد جذوة الثورة والحيلولة دون تنامي أحداثها.

في هذه الأثناء، أعلن قائد الثورة الإسلامية للشعب عن تشكيل مجلس قيادة الثورة وتعيين أعضائه، وقرّر الشاه بدوره الخروج من البلاد في ١٩٧٩/١/١٦ م، تحت ذريعة المرض والحاجة إلى الراحة.

أثار خبر فرار الشاه من البلاد موجة من البهجة والسرور بين صفوف أبناء الشعب، وزاد من عزيمتهم على مواصلة النضال حتى إسقاط النظام، كما أوجد قرار الإمام في العودة إلى البلاد موجةً من الفرح والأمل في قلوب أبناء الشعب، مما قاد أعداء الثورة إلى ارتكاب حماقات ذليلة، حيث قام نظام الشاه - بعد التشاور والتنسيق مع الحكومة الأمريكية - بإغلاق مطارات البلاد بوجه الرحلات الخارجية.

تدفقت حشود أبناء الشعب إلى "طهران" من شتى أنحاء البلاد، لتلتحق بالتظاهرات المليونية التي قام بها أبناء مدينة "طهران"، والتي كانت تطالب بفتح المطارات.

وانصاع نظام الشاه لمطالب الشعب، وفتح مطار "مهر آباد" بطهران، ووصل قائد الثورة الإسلامية إلى أرض الوطن في الأول من شباط عام ١٩٧٩ م، بعد أربعة عشر عاماً من النفي.

كان استقبال الشعب الإيراني المنقطع النظير للإمام الخميني قدس سره بدرجة من العظمة أجبر وكالات الأنباء الغربية على الإعتراف به، حتى أنّ بعضها قدّر عدد المستقبلين ما بين أربعة ملايين إلى ستة ملايين شخص.

وأعلن قائد الثورة عن تشكيل الحكومة المؤقتة، رغم وجود حكومة الشاه، والتي ما زالت تمارس مهامها.

وفي ١٩٧٩/٢/٥ م، وبتعيين رئيس الوزراء، كُلّفت الحكومة المؤقتة بالتحضير لإجراء الاستفتاء العام وإقامة الانتخابات.

وفي الثامن من شباط ١٩٧٩ م، بايع منتسبو القوة الجوية الإمام الخميني قدس سره في محل إقامته بالمدرسة العلوية بطهران.

وفي التاسع من شباط، وحيث توجهت قوات الحرس الشاهنشاهي الخاص إلى قمع انتفاضة منتسبي أهم قاعدة جوية بطهران، أخذ أبناء الشعب ينزلون إلى الشوارع لحماية القوات الثورية.

وفي العاشر من شباط عام ١٩٧٩ م، راحت مراكز الشرطة والمؤسسات الحكومية تسقط الواحدة تلو الأخرى بأيدي أبناء الشعب.

ولكي يتسنى لحكومة الشاه تنفيذ الانقلاب العسكري الذي تم التخطيط له بمساعدة المستشارين الأمريكيين المقيمين بطهران، أصدر الحاكم العسكري لطهران بياناً أعلن فيه عن زيادة عدد ساعات منع التجوال حتى الساعة الرابعة عصراً.

في غضون ذلك، دعا الإمام الخميني قدس سره أبناء مدينة "طهران"، خلال بيان أصدره، للنزول إلى الشوارع وإحباط المؤامرة الوشيكة الوقوع، وإلغاء الأحكام العرفية عملياً.

ونزلت الجموع، من النساء والرجال الصغار والكبار، إلى الشوارع وراحت تقيم الخنادق، وما أن أخذت تتحرك أُولى دبابات الشاه وحاملات الجنود من معسكراتها، حتى بادر أبناء الشعب إلى إيقافها وتعطيل عملها، وبذلك تم القضاء على آخر جيوب القوات التابعة لنظام الشاه.

وفي فجر الحادي عشر من شباط ١٩٧٩ م، أشرقت شمس انتصار الثورة الإسلامية.

تشكيل الحكومة الإسلامية ومكتسباتها

لم يكن تحقق وعود الإمام الخميني قدّس سرّه وانتصار الثورة الإسلامية في إيران، مجرّد حادثة داخلية قادت إلى تغيير النظام السياسي، بل كانت الثورة الإسلامية زلزالاً مدمراً للعالم الغربي، كما وصفها كثير من المسؤولين الأمريكيين والإسرائيليين والأوروبيين في مذكراتهم التي نُشرت فيما بعد.

وهكذا، ومنذ صبيحة الحادي عشر من شباط (فبراير) ١٩٧٩ م، بدأ عدائهم للنظام الإسلامي الفتيّ، بشكل سافر وواسع وشامل.

كانت أمريكا تقود جبهة الأعداء، التي ساهم فيها بشكل فاعل كلٌ من الحكومة الإنكليزية والعديد من الدول الأوروبية الأخرى، جنباً إلى جنب مع كافة الأنظمة العميلة للغرب، كما انضم الإتحاد السوفيتي السابق والبلدان الدائرة في فلكه - بسبب امتعاضهم من سيادة الدين في إيران - إلى الأمريكيين، وناصروهم في الكثير من مواقفهم العدائية ضد إيران.

وكان الإمام الخميني قدّس سرّه يطمح، من خلال إعلان التعبئة العامة للشعب الإيراني لإعمار البلاد، إلى تجسيد مثال المجتمع الديني السليم والمتطور، وبوحي من ذلك، أعلن عن تشكيل مؤسسة "جهاد البناء" التي هيّأت الأرضية لحضور الكوادر المتخصصة والطاقات الثورية في المناطق المحرومة والقرى والأرياف، لتبدأ خلال فترة وجيزة عمليات شق الطرق، وإنشاء المراكز الصحية والعلاجية، وتأسيس شبكات المياه والكهرباء على نطاق واسع.

ولم يمضِ سوى شهرين على انتصار الثورة، حتى أعلن الشعب الإيراني، في واحدة من أكثر الانتخابات حريةً في تاريخ إيران، عن تأييده بنسبة ٩٨.٢ بالمائة لإقامة نظام الجمهورية الإسلامية في إيران.

وتلت ذلك الانتخابات السياسية لتدوين الدستور والمصادقة عليه، وإقامة انتخابات الدورة الأولى لمجلس الشورى الإسلامي.

في هذا الظرف بالذات اشتد تصعيد أمواج الفتن ووتيرة الضغوط الخارجية، وكانت أمريكا تسعى عن طريق طابورها الخامس، إلى إنهاء النظام الإسلامي بمشكلاته الداخلية، والتمهيد لإسقاط النظام عبر إثارتها للفتن والاختلافات.

ومن أُولى الحروب التي لجأ إليها أعداء الثورة لإضعاف نظام الجمهورية الإسلامية: اغتيال وجوه الثورة وشخصياتها المهمة.

وخلال فترة وجيزة غُيِّبت وجوه بارزة، في طليعتها العلامة الشهيد آية الله مرتضى المطهّري (عضو مجلس قيادة الثورة)، والدكتور محمد مفتّح، والفريق قرني (رئيس هيئة الأركان)، والحاج مهدي عراقي وآية الله قاضي الطباطبائي.

إنّ أمريكا ليست فقط لم تستجب لمطالب الشعب الإيراني المشروعة، الداعية إلى تسليم الشاه، وإعادة الأموال والودائع الإيرانية المجمّدة في أمريكا، والتي بلغت اثنتين وعشرين مليار دولار، بل وضعت إمكانات واسعة تحت تصرّف مسؤولي نظام الشاه الفارين، لتمكينهم من تنظيم تشكيلاتهم في الخارج، وإشهار عدائهم للنظام الإسلامي.

ونتيجة للعداء الأمريكي الصارخ دفع غضب الشعب الإيراني مجموعة من الطلبة المسلمين الإيرانيين إلى اقتحام السفارة الأمريكية في طهران، واعتقال الجواسيس الأمريكان بعد القضاء على مقاومة حراس السفارة من الأمريكيين.

أيد الإمام الخميني قدس سره الخطوة الثورية للطلبة، ووصفها بأنها ثورة أعظم من الثورة الأولى، وقام الطلبة السائرون على نهج الإمام بنشر الوثائق التي عثروا عليها في السفارة بالتدريج في أكثر من سبعين كتاباً حملت عنوان "وثائق وكر التجسس الأمريكي في إيران".

وقد كشفت هذه الوثائق، المسلَّم بصحتها، النقاب عن أسرار التجسس والتدخل الأمريكي الذي لا حدود له في كلٍّ من إيران وبلدان العالم، وأظهرت للعيان الكثير من عملاء أمريكا وأدواتها وجواسيسها، وأساليب التجسس والتحركات السياسية الأمريكية في مناطق العالم المختلفة.

مثّل احتلال السفارة الأمريكية، التي عُرفت في ثقافة الثورة الإسلامية بـ"وكر التجسس"، فضيحة كبرى للحكومة الأمريكية، وحقق للشعب الإيراني مكاسب عديدة لعل أبرزها - فضلاً عن ضمان استمرار الثورة - تحطيم الغرور الأمريكي، وبث الأمل في نفوس شعوب العالم الثالث بإمكانية مواجهة القوى الكبرى وإلحاق الهزيمة بها.

إنّ هزيمة المخططات الأمريكية التي استهدفت الإطاحة بنظام الجمهورية الإسلامية، بدءاً بالحظر الاقتصادي والعزلة السياسية التي فُرضت على إيران، ومروراً بعملية صحراء "طبس"، وانتهاءاً بمحاولات تجزئة البلاد عن طريق دعمها للتنظيمات المعادية للثورة؛ كل ذلك دفع الحكومة الأمريكية للتفكير في اختيار الخيار العسكري.

وهكذا، بدأ الجيش العراقي في ١٩٨٠/٩/٢٢ م، بإيحاء من الحكومة الأمريكية ودعم القوى الكبرى، عدوانه العسكري الواسع على امتداد ١٢٨٩ كم من الحدود المشتركة مع إيران. وتزامناً مع تقدّم هذه القوات، قامت الطائرات العراقية، في الساعة الثانية من عصر ذلك اليوم، بقصف مطار "طهران" والعديد من المدن الأخرى.

قوبل خبر شن العراق للحرب ضد إيران، رغم أهميته القصوى، بصمت مطبق من قِبل المحافل الدولية والقوى العالمية كافة. بيد أنّ ما يثير الإعجاب ويبعث على التأمل إلى حد كبير، ردود الفعل الأولية التي صدرت عن الإمام

الخميني قدس سره، التي عكستها بياناته وخطاباته التي تطرّقت إلى اعتداء الجيش العراقي من أبعاد مختلفة.

أصدر الإمام على الفور أمر المقاومة. وفي أول تحليل له خلال خطاب ألقاه، اعتبر أمريكا المسبّب الأساس لهذه الحرب والمحرّك لصدّام والداعم له، وطمأن الشعب الإيراني بصريح العبارة بأنه إذا ما هبّ لردّ العدوان من أجل رضى الله، بوصفه واجباً شرعياً، ستكون هزيمة العدو حتمية، رغم كل العوامل الظاهرية التي كانت تشير إلى عكس ذلك.

حدّد الإمام الخميني قدس سره في اليوم التالي من بدء الهجوم العراقي، عبر بيان وجّهه للشعب الإيراني ضم سبعة بنود مقتضبة إلاّ أنها دقيقة وشاملة، حدّد الخطوط العامة للطريقة التي ستدار بها الحرب وشؤون البلاد في ظروف الحرب. وفي الوقت ذاته، أتم الحجة على الشعب العراقي وجيشه، عبر بيانات عديدة أصدرها. ومن يومها مارس إشرافه وقيادته لدفاع الشعب الطويل الشاقّ على مدى ثماني سنوات، بحكمة نادرة.

استقبل الشباب الإيراني الثوري أمر الإمام الداعي إلى التعبئة العامة، وتشكيل جيش العشرين مليوناً، بحفاوة بالغة. ويومها أوجدت صور تدريب قوات التعبئة وإرسالهم إلى جبهات القتال في إيران أجواء مفعمة بالمعنويات. كما أنّ الانتصارات المتلاحقة التي حققها مقاتلو القوات الإسلامية قد أظهرت للعيان الضعف والإرباك الذي دبّ في صفوف العدو.

وشيئاً فشيئاً أسفرت أمريكا وحلفائها الأوروبيون عن وجوههم المتسترة وراء الحرب، وبدأت أنواع الأسلحة المتطورة - التي كانت عملية الحصول عليها، حتى في ظروف السلم، شاقةً للغاية وتستغرق وقتاً طويلاً من المباحثات والتنازلات - بدأت تنهال على العراق بسرعة مدهشة وتوضع تحت تصرّف صدام.

ونتيجة لذلك، لم يتوانَ العراق عن ارتكاب أفظع الجرائم الوحشية، من قبيل القصف الجوي المكثّف للمدن والقرى، وتدمير المراكز الاقتصادية، وإطلاق الصواريخ المدمرة بعيدة المدى على المناطق السكنية، التي كانت تخلّف وراءها مئات الضحايا من النساء والأطفال. وكل ذلك يتم على مرأى ومسمع من المنظمات الدولية التي تدّعي الدفاع عن حقوق الإنسان، دون أن تنبس ببنت شفة.

ولم تتمكن المساعدات الواسعة والشاملة التي كانت تقدّم لصدام، من تغيير مجرى الحرب والموقف في جبهات القتال لصالحه، بل كان الموقف يسير بوتيرة متسارعة لصالح القوات الإسلامية.

وتزامناً مع تصعيد وتيرة قصف المناطق السكنية وإطلاق الصواريخ البعيدة المدى، لجأت أمريكا إلى التدخل المباشر في الحرب، إذ توجهت حاملات الطائرات الأمريكية والإنجليزية والروسية باتجاه الخليج الفارسي للتواجد على مقربة من مسرح العمليات.

وكانت أمريكا تعتقد بأنّ الخيار الوحيد المتبقي هو تدويل الحرب ودفع البلدان الأخرى للتدخل المباشر. ولهذا لجأت إلى ما عُرف فيما بعد بحرب الناقلات، وكانت مهمة القوات الأجنبية الموجودة في مياه الخليج الفارسي، تتلخص في منع تصدير النفط الإيراني وتوقيف السفن التجارية وتفتيشها، ومن ثم الحؤول دون وصول السلع الأساسية إلى الجمهورية الإسلامية. وخلال هذه الأحداث، تعرّضت العديد من السفن التجارية وحاملات النفط الإيراني إلى القصف الصاروخي والحملات الجوية الأمريكية. كما أضرمت القوات الأمريكية النيران في العديد من آبار النفط الإيرانية ومنصاتها في مياه الخليج الفارسي. وفي آخر ممارساتها العدوانية أقدمت الحكومة الأمريكية على ارتكاب جريمة يندى لها جبين الإنسانية، إذ قامت حاملة الطائرات الأمريكية "وينسن" في

تموز عام ١٩٨٨ م بإطلاق صاروخين باتجاه طائرة مدنية إيرانية كانت تحمل على متنها ٢٩٠ راكباً من النساء والأطفال والرجال، وإسقاطها في مياه الخليج الفارسي وقتل جميع ركابها.

ومن الحوادث المؤلمة التي شهدتها هذه المرحلة، المذبحة التي ارتكبها أفراد النظام السعودي بحق الإيرانيين من حجاج بيت الله الحرام. ففي يوم الجمعة، السادس من ذي الحجة ١٤٠٧ للهجرة (١٩٨٧/٨/٢ م)، وفيما كان أكثر من مئة وخمسين ألف حاج يسيرون في شوارع مكة للمشاركة في مراسم البراءة من المشركين، هجم عليهم فجأة من كل حدب وصوب أفراد الشرطة السعودية بلباسهم العسكري والمدني، بعد أن تم إغلاق جميع المنافذ، هجموا عليهم بمختلف أنواع الأسلحة، وأمعنوا في قتلهم وجرحهم وضربهم والانتقام منهم، وقد استُشهد في هذه الواقعة ما يقارب ٤٠٠ حاج من الحجاج الإيرانيين واللبنانيين والفلسطينيين والباكستانيين والعراقيين وحجاج بقية البلدان، والذي قدّر بأكثر من خمسة آلاف حاج، كما أُلقي القبض على العديد من الأبرياء.

إنّ حشود القوات الغربية في الخليج الفارسي، وما شهدته الشهور الأخيرة من حرب الثماني سنوات، لم يأتِ اعتباطاً، إنما جاء في وقت أظهرت القوات الإسلامية تفوّقها التام، مما أجبر العدو على الانسحاب إلى ما وراء الحدود في معظم المناطق التي كان يحتلهما من قبل، وبعد أن شارفت الحرب على اجتثاث جذور الفتنة من المنطقة. وكاد سقوط صدام على أيدي القوات الإسلامية أن يعلن للعالم هزيمة قوى عالمية عديدة في مواجهتها للثورة الإسلامية. ولهذا تركّزت مساعي أمريكا ومجلس الأمن - خلافاً لما كان عليه موقفهما في السابق - في سدّ الطريق أمام تقدّم المقاتلين الإيرانيين، والحؤول دون سقوط صدام. وجاء بيان الإمام الخميني، الذي عُرف ببيان قبول القرار ٥٩٨ (٢٠ تموز ١٩٨٨ م) ليجسّد حكمة الإمام وقيادته الفذة بأبهى صورة. إذ تطرّق إلى نتائج الحرب

المفروضة وأبعادها بصراحة ووضوح، وحدّد الخطوط العامة لمستقبل النظام والثورة الإسلامية في مختلف المجالات، بما فيها المواجهة مع القوى الكبرى والتمسك بأهداف الثورة وتطلعاتها.

وهكذا تنتهي حرب الثماني سنوات دون أن يظفر مشعلو فتيلها في تحقيق أي واحد من أهدافهم. ومرة أخرى يبرهن الشعب الإيراني النبيل في ظل قيادة الإمام الحكيمة، على حقّانيّته وسلامة مسيرته، وأن يجعل أمنية تجزئة إيران الإسلامية وهزيمتها حسرة في قلوب أعدائها.

إنّ أخطر جرائم صدام وأعظم خياناته مع البلدان التي تتستّر برداء العروبة والإسلام، التي شجّعته على العدوان وقدّمت له مختلف أنواع الدعم والمساعدة، فضلاً عن هدر الطاقات العظيمة الإنسانية والاقتصادية لكلا البلدين، هو أنه بشنّه لهذه الحرب المقيتة تنفيذاً لأوامر أسياده، قد قضى على الجهود التي بُذلت على طريق توحيد الأمة الإسلامية، وتحقق ثورة الإسلام العالمية، إذ كانت الظروف قد تهيّأت تماماً لتحقيقها بعد سقوط الشاه.

وما أن استتبّ السلام نسبياً، أصدر الإمام الخميني بياناً في ١٩٨٨/١٠/٣ م من تسعة بنود، حدّد فيها لمسؤولي الجمهورية الإسلامية النهج الذي ينبغي اتّباعه في مسيرة إعادة بناء البلاد وإعمارها. وتكفي القراءة المتأنية لهذه البنود لاستشفاف عمق نظر الإمام وأصالة القيم التي يؤمن بها.

ومن المواقف المهمة الأخرى التي صدرت عن الإمام الخميني قدس سره في الأشهر الأخيرة من عمره المبارك، والتي تستحق التأمل، الرسالة التي بعث بها سماحته إلى "غورباتشوف"، آخر رؤساء الإتحاد السوفيتي السابق. ففي هذه الرسالة التي بعث بها في ١٩٨٩/١/١ م أشار الإمام، ضمن تحليله للتحولات التي شهدها الإتحاد السوفيتي، إلى عجز النظام الماركسي الإلحادي عن إدارة المجتمع،

وأعلن بأنّ مشكلة الإتحاد السوفيتي الأساسية تكمن في عدم إيمان قادته بالله؛ وحذّرهم من الانقياد إلى النظام الرأسمالي الغربي، وأن لا تخدعهم أمريكا.

وفي جانب آخر من الرسالة، وضمن تطرّقه إلى المسائل الفلسفية والعرفانية العميقة، وإشارته إلى فشل الشيوعيين في سياساتهم المعادية للدين، طلب الإمام الخميني قدس سره من السيد "غورباتشوف" أن يؤمن بالله وبالدين بدلاً من عقد الآمال على التوجهات المادية للغرب.

ومن الحوادث المهمة والمؤلمة التي شهدتها الشهور الأخيرة من عمر الإمام، طباعة ونشر كتاب "الآيات الشيطانية" من قِبل إحدى دُور النشر الغربية. وإذا ما نظرنا إلى حقيقة التأييد الغربي الرسمي لمؤلف هذا الكتاب - سلمان رشدي - ندرك أنّ هذا الدعم مثّل بداية فصل جديد من الهجوم الثقافي الغربي ضد القيم والمقدسات الإسلامية، إذ إنّ الكتاب استهدف الطعن بالأصول الإسلامية، والإساءة إلى المقدّسات، التي كان التحمس للذود عنها سبباً في توحد نهج الحركات الإسلامية التي ظهرت في العقود الأخيرة وانسجام أهدافها وتطلعاتها.

أصدر الإمام الخميني قدس سره بتاريخ ١٩٨٩/٢/١٤ م بياناً، إنطلاقاً من الحقائق المسلّمة بها، وعلى ضوء المعتقدات الإسلامية التي تحظى بتأييد مذاهب المسلمين، واستلهاماً من فتاوى علماء الإسلام الكبار التي تحتفظ بها الكتب الفقهية للفرق الإسلامية، أكد فيه ارتداد سلمان رشدي والحكم عليه، وعلى ناشري الكتاب المطّلعين على محتواه، بالقتل.

ومع صدور حكم الإمام، وقف المسلمون، بشتى مذاهبهم ولغاتهم وقومياتهم، بصفوف مرصوصة في مواجهة الهجوم الغربي، الذي أعدّ له مسبّقاً.

وقد أظهرت هذه الحادثة للعيان، تماسك المجتمع الإسلامي ووحدة الأمة الإسلامية تجاه الأخطار التي تهدّدها، وأوضحت بأنّ المسلمين - رغم اختلافاتهم الداخلية - متى ما توفرت لهم القيادة الحقيقية بإمكانهم - بوصفهم

طليعة حركة الإحياء الديني - أن يضطلعوا بدور مصيري في رسم مستقبل العالم.

كما استطاع الإمام الخميني قدس سره في السنوات التي أعقبت انتصار الثورة الإسلامية، رغم المؤامرات المتلاحقة لأعداء الإسلام، وفي مقدّمتهم أمريكا، التي استهدفت إسقاط الحكومة الإسلامية في إيران، وفرضت حرب الثماني سنوات على الشعب الإيراني المسلم، استطاع الإمام، عبر توجيهاته وقراراته، بتشكيل المؤسسات الثورية والمراكز الحيوية، وإعادة تنظيم التشكيلات الموروثة عن النظام السابق، أن يمهّد الأرضية لخدمات واسعة وقيّمة للشعب الإيراني.

إنّ تشكيل مؤسسات من قبيل مؤسسة "جهاد البناء" و"لجنة الإمام الخميني للإغاثة" و"مؤسسة ١٥ خرداد" و"مؤسسة الإسكان" و"مؤسسة شهداء الثورة الإسلامية" و"مؤسسة المستضعفين" و"نهضة محو الأمية" و.. التي شملت بخدماتها أقصى نقاط إيران وأكثر القرى والأرياف المحرومة، هي من جملة الإنجازات التي تحققت في حياة الإمام الخميني قدس سره.

كما أنّ تشكيل كلٍّ من "لجان الثورة الإسلامية" و"قوات حرس الثورة الإسلامية"، وإعادة تنظيم "جيش الجمهورية الإسلامية في إيران"، ودور هذه الكيانات في المحافظة على الأمن، وردّ عدوان النظام البعثي، وإحباط مؤامرات الأعداء، تعدّ من الإنجازات المثيرة والباهرة للثورة الإسلامية.

ومن جملة الأمور التي تحققت بتأكيد سماحة الإمام ومتابعته لها شخصياً، التحول الذي شهدته الحوزات العلمية، وإعادة النظر في مناهج المدارس والجامعات، وإقامة دورات جامعية جديدة بمستويات مختلفة، وإنشاء الجامعات ومراكز التعليم العالي في المناطق المحرومة، وتوسيع مدى بث مؤسسة الإذاعة والتلفزيون إلى أقصى نقطة في البلاد، وتقديم خدمات الاتصالات إلى أبناء هذه المناطق.. علماً أنّ تشكيل المجلس الأعلى للثورة الثقافية وتولّيه مسؤولية

الإشراف على برامج الدورات الجامعية وتدوين المناهج الدراسية للجامعات، وإعداد الأساتذة الجامعيين، وتنظيم القبول في الجامعات، هي من جملة الخطوات التي تمّت المباشرة بها منذ أوائل انتصار الثورة الإسلامية.

وبعد عشرة أعوام من تجربة نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، بعث سماحة الإمام الخميني قدس سره بتاريخ ١٩٨٩/٤/٢٤ م رسالة إلى رئيس الجمهورية وقتئذ (سماحة آية الله الخامنئي) أوكل فيهما إلى لجنة من أصحاب الرأي والخبراء مسؤولية دراسة وتدوين التعديلات اللازمة في الدستور على أساس محاور حدّدها في الرسالة، وذلك بدافع إصلاح وتكميل تشكيلات النظام الإسلامي.

إنّ مثل هذا القرار ونظائره يشير بوضوح إلى أي حدّ كان هاجس ترسيخ وتقوية أركان الحكومة الإسلامية يشغل فكر الإمام قدس سره، وكيف أنه كان ينتهز كل فرصة ليمهّد الأرضية ويعبّد الطريق أمام تطبيق الأحكام الإسلامية على أحسن وجه.

الرحيل

رغم أنّ الإمام الخميني قدس سره كان قد شارف على التسعين من عمره الشريف، إلاّ أنه لم يتوانَ لحظة عن السعي على طريق رقيّ المجتمع الإسلامي، وكان يعتبر أحد أكثر الزعماء السياسيين نشاطاً في العالم.

فإضافة إلى اطّلاعه اليومي على أهم أخبار وتقارير الصحافة الرسمية، وقراءة عشرات الملفات الخبرية الخاصة، والاستماع إلى أخبار الراديو والتلفزيون الإيراني، كان يحرص على الاستماع للإذاعات الأجنبية أيضاً.

كان سماحة الإمام يؤمن بشدة بالبرمجة والنظام والانضباط في الحياة، فقد كانت لديه ساعات معيّنة من الليل والنهار يتفرغ فيها للعبادة والتهجد وتلاوة

القرآن، كما أنّ رياضة المشي، وفي ذاته ذكر الله والتأمل والتدبّر، كانت جزءاً من برنامجه اليومي.

كذلك كان سماحته حريصاً على اللقاء بطبقات الشعب، لا سيما الطبقات المحرومة والمستضعفة، فحتى الأسابيع الأخيرة من عمره المبارك كان لديه كل أسبوع لقاء مع عوائل الشهداء؛ ولم تؤثر نشاطاته اليومية المكثفة، ولا حضوره المستمر اجتماعات مسؤولي النظام الإسلامي، دون ذلك.

ومع أنّ الإمام الخميني قدس سره كان يعاني من مرض القلب، وكان قد مكث فترة في مستشفى القلب بطهران عام ١٩٧٩ م، إلاّ أنّ سبب رحيله من هذه الدنيا الفانية كان مرض جهازه الهضمي، إذ أُجريت له عملية جراحية بناءاً على نصائح الأطباء.

وبعد عشرة أيام من معالجته في المستشفى، ودّع الإمام قدس سره هذه الدنيا الفانية في الساعة العاشرة وعشرين دقيقة من مساء يوم السبت الثالث من حزيران عام ١٩٨٩م، وفي اليوم التالي نُقل جثمانه الطاهر إلى مصلّى طهران الكبير ليتسنى للشعب الإيراني، المنجب للشهداء، إلقاء النظرة الأخيرة على قائده الكبير.

وشيّعت الملايين من النساء والرجال والشيوخ والشباب من مختلف أنحاء إيران، الجثمان الطاهر للقائد العظيم، بمشاعر من الحزن والألم التي لا توصف، وكان الحضور المليوني في هذه المراسم بدرجة أثار حيرة ودهشة وكالات الأنباء الغربية التي قدّر بعضها عدد المشيّعين بأكثر من سبعة عشر مليون شخص، وُوري جسده الطاهر الثرى بالقرب من "جنة الزهراء"، مقبرة شهداء الثورة الإسلامية.

أعلنت الجمهورية الإسلامية في إيران الحداد العام أربعين يوماً في رثاء قائدها، وأينما كنت تنظر تشاهد السواد ومواكب العزاء التي كان ينظمها المفجوعون برحيل المدافع عن القيم الإسلامية.

وفيما بعد أضحى المرقد المقدّس لهذا العزيز مزاراً لكل المسلمين والأحرار ودعاة الإستقلال والحرية في شتى بقاع الأرض.

الإمام الخامنئي واستمرار المسيرة

لم يشهد التاريخ الإسلامي السياسي المعاصر حدثاً فريداً وبارزاً كحدث انتصار الثورة الإسلامية المباركة بقيادة الإمام الخميني، حيث استطاع قلب المعادلات وتغيير أحد أهم وأبرز الأنظمة السياسية التي تحمل لواء العداء للإسلام وقوانينه.

وكان في طليعة نتائج هذه الثورة أنها قدّمت للعالم إنموذجاً رائعاً، كما قدّمت له أطروحة قانونية فريدة لم يعرف لهما العالم من قبل مثيلاً.

هذه الأطروحة تجسّدت في إعادة بعث الروح من جديد للنظرية الإسلامية في مجال الحكومة والولاية - التي هي معتقدنا - إكمالاً للدين وإتماماً للنعمة الإلهية الكبرى على البشرية.

ولا يختلف اثنان في أنّ إعادة طرح الإمام الخميني سرّه لشكل النظام السياسي الإسلامي، من خلال طرحه لنظرية ولاية الفقيه، قد لعب دوراً مهماً وبارزاً في إغناء الفكر السياسي، وتذكير الأمة بالدور الكبير للفقيه والحاكم والولي، وقيادة الأمة في عصر الغَيبة.

هذا وقد جاء تشكيل الإمام سرّه للدولة الإسلامية في إيران بعد فترة طويلة من غياب الإسلام عن مسرح الأحداث السياسية في العالم، مما أكسب هذه الدولة بالمبادئ والأفكار والأسس التي قامت عليها لوناً خاصاً المستوى الإسلامي العام، باعتبار أنها قد حققت الحلم الذي طالما انتظرناه، وأشعلت النور الذي طالما أملناه.

وفي ظل غياب الإمام ورحيله إلى الرفيق الأعلى، ظهر نور مشرق بالأمل، أضاء على الأمة كلها، وكان بمثابة عزاء للأمة في مصابها، ولا زال ذلك هو

الرمز المنير سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظلّه)، قائد الأمة وولي لأمرها، وخليفة للإمام الراحل، فالرجل الذي اختاره كبار علماء الأمة لهذه المهمة الصعبة، وهذا الحمل الثقيل، هو امتداد حقيقي للإمام الراحل قدس سره، لشخصية الإمام، ولفكر الإمام، ولخطه الأصيل؛ الأمر الذي حمل السكينة والطمأنينة تجاه مستقبل الثورة الإسلامية المباركة.

فالإمام الخامنئي (دام ظلّه) هو ابن الإمام البارّ، وتلميذه، وأحد أقرب أصحابه إليه، ولعل ثلاثين عاماً من العلاقة المتينة كافية لتجعل آية الله الخامنئي بضعةً للإمام الخميني قدس سره، حيث ستبقى الثورة تستلهم فكر الإمام وخطاه، وسيبقى فكر الإمام هو فكر الثورة، وخطه خطها.

وكما قال سماحة السيد القائد في أول بيان له بُعيد انتخابه:

"إنّ أية حادثة وأية غاية لن تتمكن من فصل فكر الإمام وتعاليمه عنا، لأنها جزء من وجودنا، وأنا في مسؤوليتي الخطيرة الجديدة ألتزم وأتعهد بتطبيق تلك التعاليم الإلهية بحذافيرها".

الآثار والمؤلفات

ترك الإمام الخميني قدس سره بعد رحيله عشرات الكتب والمصنفات القيّمة في البحوث الأخلاقية والعرفانية والفقهية والأصولية والفلسفية والسياسية والاجتماعية، وإنّ العديد منها لم يرَ النور حتى الآن.

ومما يؤسَف له أنّ عدداً من رسائل الإمام ومؤلفاته النفيسة فُقِدت أثناء تنقلاته من منزل مستأجر إلى آخر وخلال مداهمات أزلام "السافاك" المتكررة لمنزله ومكتبته الشخصية.

وفيما يلي فهرس بعناوين مؤلفات الإمام الخميني قدس سره وتصانيفه، نوردها طبقاً لتاريخ تأليفها، علماً أنّ أي واحد من هذه المصنّفات بحاجة إلى شرح مسهب للتعريف به :

- شرح دعاء السحر.
- شرح حديث رأس الجالوت.
- حاشية الإمام على شرح حديث رأس الجالوت.
- الحاشية على شرح الفوائد الرضوية.
- شرح حديث جنود العقل والجهل.
- مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية.
- الحاشية على شرح فصوص الحكم.
- الحاشية على مصباح الأنس.
- شرح الأربعين حديثاً.
- سر الصلاة (صلاة العارفين ومعراج السالكين).
- آداب الصلاة.
- رسالة لقاء الله.
- الحاشية على الأسفار.
- كشف الأسرار.
- أنوار الهداية في التعليقة على الكفاءة (جزءان).
- بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر.
- رسالة الاستصحاب.
- رسالة في التعادل والتراجيح.
- رسالة الاجتهاد والتقليد.
- مناهج الوصول إلى علم الأصول (جزءان).

- رسالة في الطلب والإرادة.
- رسالة في التقية.
- رسالة في قاعدة مَن مَلَك.
- رسالة في تعيين الفجر في الليالي المقمرة.
- كتاب الطهارة (أربعة أجزاء).
- تعليقة على العروة الوثقى.
- المكاسب المحرّمة (جزءان).
- تعليقة على وسيلة النجاة.
- رسالة نجاة العباد.
- الحاشية على رسالة الإرث.
- تقريرات درس الأصول لآية الله العظمى البروجردي.
- تحرير الوسيلة (جزءان).
- كتاب البيع (خمسة أجزاء).
- الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه.
- كتاب الخلل في الصلاة.
- الجهاد الأكبر أو جهاد النفس.
- تقريرات دروس الإمام الخميني قدس سره.
- توضيح المسائل (رسالة عملية).
- تفسير سورة الحمد.
- الاستفتاءات.
- ديوان الشعر.
- الرسائل العرفانية.
- الوصية السياسية الإلهية.

- هذا ويضم أرشيف مؤسسة "تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره" في الوقت الحاضر:
- ١١٢٦ خطاباً.
- ٤٧٠ حكماً.
- ٣٦٧ رسالة موجهة إلى شخصيات سياسية ودينية أجنبية.
- ٤٢٠ رسالة موجهة إلى شخصيات إيرانية.
- ٣٥٠ بياناً (وسوف ترى النور بالتدريج في مجموعة كاملة تحمل عنوان "الكوثر").

وتعدّ المجموعة المؤلفة من ٢٢ جزءاً التي حملت عنوان "صحيفة النور"، مضافاً إليها كتاب "مفتاح الصحيفة"، وهو بمثابة فهرس لأجزاء الصحيفة الاثنتين والعشرين، أشمل مجموعة صدرت حتى الآن ضمت أحاديث سماحة الإمام الخميني قدس سره وبياناته وأحكامه ورسائله.

أضواء على شخصية الإمام الخميني قدس سره ومنهجه

أن منهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) في السياسة والإدارة والحركة والمقاومة والجهاد والثورة والإصلاح لا ينفصل عن تكوين شخصيته ، وتكوين شخصيته لا ينفصل عن منهجه العرفاني في الحياة . فالمنهج العرفاني هو الذي صنع شخصية الإمام الخميني الاستثنائية المتميزة ، حتى قيل أنه الشخصية الأولى في عصر الغيبة الكبرى من جهة الكمال الإنساني الروحي والمعنوي ، وشخصيته هي التي صنعت منهجه في السياسة والإدارة والحركة والمقاومة والثورة والإصلاح ..

يوجد بعدين مهمين لفكر الامام الخميني قدس سره وهما: البعد الفكري والروحي من جهة ، والبعد العملي في السلوك والسياسة والإدارة والحركة والمقاومة والثورة والإصلاح من جهة ثانية ، حيث يعتبر هذا الجمع من أهم سمات منهج الإمام الخميني الذي يرى بأن السلوك العلمي ما هو إلا مقدمة للسلوك العملي ، وأن الحقائق العرفانية في عالم الملكوت ، لها مظاهر في عالم الواقع والمادة ، وأنها تمثل مباني للتغيير الاجتماعي والارتقاء بالحضارة الإنسانية على كافة الأصعدة والمستويات ، وقد نتج عن ذلك ما عرف بالسياسة المعنوية في منهج الإمام الخميني قدس سره ، التي تتميز بالاستقامة والصبغة الروحية والأخلاقية من جهة ، والقدرة على الفعل والتأثير والإنتاج من جهة ثانية ، فهو منهج روحاني وفاعل في دوائر المقاومة والثورة والإصلاح والبناء والتعمير والإدارة للدولة ، تدخل فيه المعنويات والأخلاق في السياسة والإدارة والمقاومة والثورة والإصلاح وتلبسها لباسها النوراني الملكوتي الزاهي الجميل ، لتكون المقاومة والثورة كما الدولة صور من صور العبودية الجماعية على طريق الكمال العبودي لرب العالمين ذي الجلال والإكرام ، وهذا ما يتميز به منهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) من بين سائر المناهج الإسلامية وغير الإسلامية ،

ومن بينها بالطبع مناهج الفقهاء (رضوان الله تعالى عليهم) من أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام). إن الإمام الخميني (قدس سره الشريف) رأى في نفسه حقيقة الفقر والنقص والفناء الوجودي ، ورأى في ربه ذي الجلال والإكرام حقيقة الغنى والكمال والبقاء ، فارتبط معه برابطة العشق وسعى للذوبان الكامل فيه ، فكان يجاهد نفسه بحق من أجل أن لا يرى لها وجودا على الصعيد الفكري والروحي والعملي خارج دائرة هذا النور الرباني الملكوتي الأنور ، لأن كل خروج عن دائرة هذا النور ، هو ظلم من الإنسان لنفسه ، ونقص في شخصيته ودرجته الوجودية في الحياة وفي كماله الإنساني ، وضياع في عالم الظلام والشقاء، عالم إبليس وإخوانه من شياطين الجن والإنس . وقد نجح الإمام الخميني (قدس سره الشريف) في بلوغ درجة عالية وعظيمة من السلوك والقرب من الله ذي الجلال والإكرام في ظل الرياضة الروحية وتهذيب النفس ، وهي درجة قد تميز بها بصورة استثنائية وتقدم بها على كثير من العباد من غير المعصومين في عصر الغيبة الكبرى ..

والنتيجة : أن فكر الإمام الخميني وأخلاقه قبس من هذا النور، ومنهجه في السياسة والإدارة والحركة والمقاومة والثورة والإصلاح وإدارة الدولة وبنائها وكل علاقاته وسلوكه ومواقفه هي قبس من هذا النور .. أن باستطاعتنا في حالة استثنائية لا نظير لها لدى غير المعصومين (عليهم السلام) أن نقرأ المنهج العرفاني لدى الإمام الخميني (قدس سره الشريف) من خلال الممارسة والسلوك والنشاط الذي يقوم به على كافة الأصعدة في الحياة ، وليس من خلال البيان الكلامي : الخطاب والكتاب فحسب . وهنا نشير إلى نقطة في غاية الأهمية بحسب فهمنا لمنهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) الذي تميز به عن غيره من مناهج الفقهاء العظام (رضوان الله تعالى عليهم) ونجح من خلاله في تهذيب نفسه وبناء شخصيته الاستثنائية ومواجهة التحديات والصعوبات التي واجهته في الحياة على

كافة الأصعدة والمستويات ، ونجح في قهر الشاه الطاغية وإسقاطه ، وإقامة الجمهورية الإسلامية في إيران ، ومواجهة جميع قوى الاستكبار وفي مقدمتها أمريكا الشيطان الدموي الوقح ، ونجح في تغيير المعادلات الدولية وقلب موازين القوى على الساحة الدولية والإقليمية ، وأعاد للإسلام مجده الغابر وللمسلمين ثقتهم بأنفسهم وبدينهم ، وأصبح رمزا وقدوة حسنة للمجاهدين الأبطال يستلهمون من أقواله وأفعاله الصدق والإخلاص في المقاومة والتضحية والفداء .

أن المنطلقات المسؤولة عن عملية الدفع والتحريك في منهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) في جميع الميادين وعلى كافة المستويات هي منطلقات عرفانية بامتياز ، ويمثل الفقه فيه عامل الضبط بامتياز ، في مقابل مناهج أخرى يمثل الفقه فيها عامل التحريك والضبط معا ، حيث وضع الفقه في غير موضعه ، فالدفع والتحريك للإرادة هما من وظيفة العقيدة ، أما الفقه فوظيفته الضبط وليس التحريك في الأساس ، ووضع الفقه في موضع العقيدة ليقوم بعملية الدفع والتحريك للإرادة والنشاط في الحياة ، هو وضع الشيء في غير محله ، ولهذا جاءت هذه المناهج باهتة وضعيفة وغير قادرة على الفعل والتغيير والإنتاج الذي يتناسب مع عظمة منهج السماء وشموليته ، فهي لا تحمل سمات الجلال والجمال ، بقدر ما تحمل سمات الضعف والتبرير والاستسلام والخضوع للواقع المنحرف والقبول به تحت عناوين فقهية مثل : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وعدم إلقاء النفس في التهلكة ، وغير ذلك من العناوين التي وضعت في غير محلها . فلا يصدق على أصحاب هذه المناهج قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (كبر الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم) والحقيقة التي تؤكدها التجارب لحالة أصحاب هذه المناهج هي أنهم : (كبر الواقع في أنفسهم فصغر الخالق في أعينهم) وأن شعار الله أكبر ما هو لديهم إلا مجرد فكرة في الذهن ، وذكر في

الصلاة ، وموضوع في الدروس ، ولا علاقة له بالسياسة والإدارة والمقاومة والحياة العملية للناس من قريب أو بعيد .

بينما جاء منهج الإمام الخميني في السياسة والإدارة والحركة والمقاومة وكافة أنشطة الحياة بقوة دفع وتحريك عرفانية يستحيل قهرها وإيقافها ، ليقف بها أمام الواقع الصعب المنحرف والقوى الاستبدادية والاستكبارية في العالم ويواجهها بصمود وثبات أسطوري ، حيث يزوده منهجه العرفاني النقي من نبعه الرباني الصافي الزلال بطاقة روحية عظيمة في مواجهة الأعداء وكافة صعوبات الحياة ..

ومن جانب آخر : يحمل هذا المنهج الحب والرحمة والرأفة والحنان للمؤمنين والمستضعفين ولكافة العالمين .

إن الإمام الخميني (قدس سره الشريف) يرى على صعيد النظرية والتطبيق : بأن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأن لا غالب إلا الله ، وأن لا ناصر غيره ، فهو القاهر فوق عباده جميعا ، وهو الناصر بحق لعباده المؤمنين المخلصين له في العبادة والطاعة في سلوكهم ومواقفهم السياسية والإدارية والجهادية ، فهو لا يخاف من أية قوة استكبارية أو استبدادية مهما كانت في مواقف الجهاد والرفض والمقاومة ، ولا يجفل أو يفزع أمام أية صعوبة أو تحدي صعب في مواقف البناء والتعمير والتطوير للدولة ، فعنده على مستوى الإيمان والممارسة والموقف : أن الله أكبر من كل واقع مهما كان صعبا ومؤلما ، وأن الله أكبر من كل قوة عظمى مهما استكبرت وبطشت ..

والنتيجة : أن الإمام الخميني يحدد تكليفه وفق منطلقاته العرفانية والضوابط الفقهية ، ثم يتوكل على الله عز وجل ويتحرك في البناء والتعمير أو الجهاد والمقاومة ، متحديا بصلابة لا تنكسر ، كل الصعوبات والتحديات ، وتتجلى في سياسته وإدارته وحركته المقاومة في الثورة والإصلاح وجميع مواقفه

في الحياة سمات الجلال والجمال الإلهي ، فهو بمقدار ما كان قويا في مواجهة الشاه وصدام وأمريكا ، كان رحيما بهم جميعا .

لقد كان يرى في مواجهته لهم رحمة بهم ، لأن المواجهة لهم تقلل من شرهم وبالتالي من مسؤوليتهم أمام الله عز وجل وغضبه عليهم وعذابه لهم ، أما لو تركوا بدون مواجهة ومقاومة ، فإنهم سوف يسترسلون في الشر والإثم والعدوان ، مما يزيد في مسؤولياتهم أمام الله عز وجل وغضبه عليهم وعذابه لهم، أما رحمته بالمؤمنين فحدث ولا حرج : إنه في قمة التواضع لهم والرحمة بهم والشفقة عليهم ، فلا يرى لنفسه امتيازا عليهم ، ولا يبخس أحدا منهم حقه في شيء .

لقد تجاوز الإمام الخميني (قدس سره الشريف) الجوانب الشكلية في المنهج العرفاني ..

فالعرفان لديه : تجليات لصفات الجمال والجلال ، ومعرفة يقينية لا يدانيها الشك أو الريب ، وطاعة مطلقة لله جل جلاله بصدق وإخلاص ، ورياضة روحية دائمة وتهذيب دائم بصدق للنفس ، ومواقف مبدئية فولاذية لا تقهر ، وعلاقات إنسانية نظيفة ، وحرص أكيد على هداية العباد ومصالحهم المادية والمعنوية ، فكان بذلك يتحرك في وعيه الإسلامي للمسألة الإنسانية من خلال منهجه العرفاني في جميع مجالات الحياة وعلى كافة الأصعدة : العلمية والثقافية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها ، وقد صبغ منهجه العرفاني كافة أنشطته في الحياة بصبغته العرفانية الملكوتية النوراء ، وأذكر في هذه الوقفة بعض الجوانب على سبيل المثال لا الحصر ..

أولا: السمات الشخصية للإمام : لقد أثر المنهج العرفاني للإمام الخميني (قدس سره الشريف) في بناء شخصيته وفي سماته وملامحه الشخصية وصفاته وفي حركاته وسكناته ، فتحلى بالهيبة والوقار والاستقرار الروحي والطمأنينة

النفسية والصدق والإخلاص والحكمة النظرية والعملية والأمانة والشجاعة والعفة ، كل ذلك في حالة من الكمال العرفاني المتصل بالكمال الربوبي ، المنفصل عن نقص الذات وأهوائها وغرائزها ورغباتها ، حتى حركات الجسم: اليد والعين مثلا ، هي من وحي وتأثير تلك الأمواج الروحانية والأنوار الملكوتية، أن الإمام الخميني (قدس سره الشريف) قد نجح من خلال الرياضة الروحية والتهذيب الصادق للنفس من السيطرة على روحه وحركات جسده ، فجعلها جميعا تحت تأثير أمواج عالم الملكوت وأنواره القدسية ، مما جعل له تأثيرا غيبيا قويا واستثنائيا في نفوس الآخرين ، يقول الأستاذ رابين وودزورت كارن في وصف لقاء حضره للإمام الخميني في صبيحة يوم الأربعاء (٩ / فبراير ـ شباط / ١٩٨١م) : وعندما فتح الباب شعرت أن عاصفة من القوة والطاقة قد دخلت فجأة ، وزلزلت أركان المبنى الذي كنا نجتمع فيه ، وقد لفت الأنظار إليه بشكل ، بحيث اختفى كل شيء آخر من أمام أعيننا .. أجل كان شعلة من النور نفذت بقوة إلى ضمائر وقلوب كل من كان هناك ... حيث إنني بكل بساطة شعرت بتلك القوة الهائلة والطاقة المنبعثة منه ، ولمست إشعاعات النور الصادر من وجهه... في الحقيقة ، من بين كل الكبار والقديسين الذين التقيتهم ... لم أر منهم أي نظير للخميني في تأثيره على الآخرين .. وكل من يمكنه أن يرى بوضوح ويشعر بوجوده بصدق لن يساوره أدنى شك في صدق وإخلاص هذا الرجل... هذا الإخلاص كان متجسدا بوضوح في أجواء اللقاء ، وفي حركة أعضاء جسده، وفي تلويح يديه ، وفي الشعلة المحيطة بشخصيته ، وبالتالي في سكونه وهدوء ضميره ... قد يتبادر إلى القارئ العزيز وهو يقرأ هذا المدح والإطراء من قبلي لشخص الخميني أنني أفرطت في ذلك كثيرا ، إلا أن عليه أن يعرف أن ما كنت أحمله في ذهني عن هذا الرجل

الذي كان خليطا من التناقضات .. ولكن الذي خرجت به من هذه التجربة العملية لا يرتبط أبدا بآرائي وعقائدي .

ثانيا: تجاوز الشكليات التقليدية في الحوزات العلمية : للإمام الخميني معشوق واحد وهو الله ذي الجلال والإكرام ، ولهذا لم يفرط في الحق والعدل والفضيلة ، ولم يجمد على الباطل والظلم والرذيلة ، ولم يخضع لأي عرف أو تقليد أو قانون لا ينسجم مع عشقه لربه ذي الجلال والإكرام ، مهما كان مصدره ، حتى لو كانت الحوزات العلمية أو المجتمعات الإسلامية ، فإن ذلك الخضوع لغير معشوقه الأول يدخل في دائرة الباطل والظلم والرذيلة قطعا . إن الإمام الخميني (قدس سره الشريف) تعلم ودرس في الحوزات العلمية لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وتربى في أحضانها وكانت حياته غنية بالتجارب ، إلا أن بناء شخصيته وصناعتها لم يكن مجرد بناء علمي حوزوي وعن طريق التقوى في دائرة الفقه الذي تعلمه في الحوزات العلمية وعن طريق التجارب الغنية التي مر بها في حياته العملية ، وإنما كان بناء شخصيته وصناعتها بالدرجة الأولى بعين الله (جل جلاله) من خلال المعرفة والسلوك العرفاني في ظل عشقه وكدحه الدؤوب الصادق في ذات الله الخالق البارئ المصور ذي الجلال والإكرام سبحانه وتعالى عما يصف الظالمون علوا كبيرا . فقد تخلص الإمام الخميني (قدس سره الشريف) في ظل هذا المنهج العرفاني النقي من الشعوذة والشوائب الخرافية ، ومن التصورات الوهمية والظنون والوساوس الشيطانية ، ومن قيود الشهوات والرغبات والأهواء الشخصية ، ومن قيود العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية ، ومن ضغوط المجتمع وسلطات الدولة الجائرة وقوى الاستكبار العالمي ، وأصبح عشقه لربه ذي الجلال والإكرام وطاعته المطلق له في أمره ونهيه ، هي المحرك الفعلي والضابط له في كل

أنشطته في الحياة على كافة الأصعدة ، على أساس المعرفة اليقينية ، والوعي الدقيق بالمنطلقات العملية في التطبيق ، وانكشاف الواقع أمام بصره وبصيرته .. فكان بحق : صاحب رأي حر مستنير ، وإرادة فولاذية لا تقهر، ومواقف مبدئية نورانية مستقيمة لا تميل ذات اليمين أو ذات الشمال ، تلعب فيها الأخلاق والمعنويات والعشق الربوبي الدور الرئيسي والفاعل الأول ، وكان يحمل في قلبه الرأفة والرحمة بالخلق أجمعين . لقد سعى الإمام الخميني (قدس سره الشريف) في ظل منهجه العرفاني ، لتحرير ذاته من العبودية لغير الله عز وجل وبنائها والارتقاء بها في سلم الكمال الإنساني على أساس العشق لرب العالمين ذي الجلال والإكرام ، والطاعة الواعية له في التشريع ، والتسليم المطلق لقضائه وقدره في التكوين . كما سعى لهداية الآخرين وتحريرهم وبنائهم ، ولهداية الواقع وتحريره وبنائه والارتقاء به في سلم المجد والتقدم على نفس الأساس ، الذي من أبرز مظاهره الالتزام بالحق والعدل والفضيلة والمحبة والسلام . وقد تجاوز الإمام الخميني (قدس سره الشريف) في ذلك الأجواء والأعراف القائمة في الحوزات العلمية التقليدية ، حيث ترى بأن قدسية عالم الدين والمرجعية الدينية بالابتعاد عن السياسة ، ولم يعبأ بالمعارضات الشديدة له فيها ، وأنطلق في طريق العبودية لله وحده ونفي الشريك عنه لا تأخذه فيه لومة لائم ، وتحمل في سبيل ذلك كافة أشكال الضغوط كما تحمل من السلطة الجائرة السجن والنفي والحرمان المادي والتنكيل بكافة أشكاله ولم يلن أو يضعف ، لتكون ذاته وذوات الآخرين والواقع صور من صور العبودية الناصعة ، والكمال الإنساني الرفيع ، على طريق السلوك والكدح الدؤوب في ذات الله ذي الجلال والإكرام وملاقاته . قال الإمام الخميني (قدس سره الشريف) في جواب من نصحه بعدم الإكثار من

إصدار البيانات السياسية لكي لا يؤثر ذلك على مرجعيته الدينية : " لا أريد أن أكون مرجعا ، بل أريد أن أؤدي وظيفتي " وبهذا السلوك العرفاني أنهدم سدا منيعا كان قائما في الحوزات العلمية التقليدية ، وإلى الأبد إن شاء الله تعالى ، لتأخذ الحوزات مكانها في رفض الباطل والظلم والاضطهاد والجمود والتحجر والتخلف ومقاومتها على طريق تحرير الشعوب من العبودية لغير الله عز وجل والارتقاء بها في سلم الكمال والمجد والتقدم على أساس الحق والعدل والفضيلة بمقتضى العبودية لله الواحد الأحد الصمد والعشق للحق والعدل والفضيلة والكمال المطلق في الوجود .

ثالثا: بناء الدولة وإدارتها : لقد نجح منهج الإمام الخميني في إسقاط نظام الشاه الطاغية ، كما نجح في مواجهة الحرب العدوانية التي شنها صدام حسين بإرادة ودعم أمريكا والغرب وبعض الدولة العربية الخائنة لإرادة شعوبها ولمسؤوليات الحكم والدولة ، كما نجح في مواجهة الحصار الشامل : السياسي والاقتصادي والعلمي المبكر التي سعت أمريكا وحلفائها الغربيين والخائبين من الحكام العرب لفرضه على الجمهورية الإسلامية في إيران ، ونجح في وضع الأسس العلمية والعملية على ضوء منهجه العرفاني لتجربة جديدة للدولة الإسلامية المعاصرة بقيادة الولي الفقيه ، تقوم على السياسة المعنوية التي تلعب الروحانيات والأخلاق والضوابط الفقهية ورؤية الواقع والمنطلقات العملية الدور الأساس فيها ، ونجح في إدارتها وبنائها وتطويرها بمشاركة شعبية فاعلة ومتميزة على مستوى العالم ، حتى أصبحت بحق دولة عظمى على المستوى الإقليمي . لقد انعكس المنهج العرفاني للإمام الخميني (قدس سره الشريف) بوضوح في إدارة الدولة وبنائها وتطويرها ، فلم يجعل من نفسه سيفا مسلطا على رأس الدولة

ومؤسساتها وعلى رقاب المسؤولين فيها ، وإنما أصر على وضع الدستور ، وأعطى المسؤولين كامل صلاحياتهم في إدارة الدولة ومؤسساتها وفق الدستور والقانون ، فأقام دولة القانون والمؤسسات بحق وحقيقة ، وحول مؤسسات الدولة إلى مصانع تفريخ لبناء الكوادر وتخريجها ، ولم يختصر عقول المسؤولين وأبناء الشعب في عقله أو في عقل غيره من المسؤولين في الدولة ، وإنما سمح بحرية التفكير وتعدد الآراء والاجتهادات كظاهرة طبيعية إيجابية وأحسن إدارتها ، من أجل فتح الأفق الوسع لإدارة الدولة وبنائها وتطويرها وتصحيح أخطائها إن وجدت ، ولم يتشبث بآرائه الفقهية في عمل الدولة وإدارة شؤونها وأنشطتها ، وإنما كان يرشد المسؤولين للعمل برأي غيره من الفقهاء تسهيلا لعمل الدولة ومؤسساتها إذا اقتضى الأمر ذلك .

رابعاً: الاعتراف بدور الجماهير وتقديره : لقد قال الإمام الخميني (قدس سره الشريف) قولا عظيما بشأن الجماهير .. قال فيهم : كل ما لدينا ببركة هؤلاء يعني الجماهير وعامة الناس . تعودنا أن نسمع مثل هذه الكلمة العظيمة بحق الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) ويبالغ البعض ليقول مثلها بحق بعض الرموز والقيادات الدينية والسياسية من غير المعصومين ، أما أن تقال هذه الكلمة بحق الجماهير ، فهذا هو الشيء الجديد الذي جاء به الإمام الخميني (قدس سره الشريف) وهي كلمة حق وعرفان تدل على العدل والإنصاف والتواضع ووضع الأشياء في مواضعها على أساس المعرفة الحقيقة اليقينية لا التقليد . أنا اعتقد بأن الإمام الخميني (قدس سره الشريف) قد قالها على نحو الحقيقة بصدق وإخلاص ، وما كان له أن يقولها لولا منهجه العرفاني ومنبعه الصافي الأصيل وعشقه الذي لا يوصف لربه ذي الجلال والإكرام وتخلقه بأخلاقه الجمالية والجلالية ، مما

جعله يرى الحق والعدل والحقوق ويلتزم بها قولا وعملا على أساس العبودية الصادقة والطاعة المطلقة لله ذي الجلال والإكرام . فالإمام الخميني (قدس سره الشريف) لم تتضخم لديه الذات ، ولم تكن نفسه الفانية حاضرة لديه ، وإنما كان يرى جمال ربه وجلاله وذاته الباقية ، فلم يقل أنا الفقيه ، وأنا المرجع ، وأنا القائد الأوحد ، وأنا صاحب الأمر والنهي ، وأن الأنهار والبركات تجري من بين يدي ومن تحتي ، وأن على الناس أن تسير خلفي وتأتمر بأمري وتنتهي بنهيي وتحميني وتدافع عني ، لأني صاحب نعمتها ، وصاحب الفضل والبركة عليها ، وأنها لا تستطيع أن تفعل شيئا ولا قيمة لها بدوني .

يقول الأستاذ رابين وودزورت كارلن : (لم يكن الخميني يعيش من أجل أن يؤيده الآخرون ، أو أن يصبح بطلا ، أو من أجل إرضاء ميوله ورغباته الشخصية ، بل كان يعيش من أجل تحقيق الأهداف السامية والحقيقة الناصعة التي رأى أنها تتجسد في القوانين الإسلامية النابعة من وحي السماء ورسالة الأنبياء ، ومن أجل الوصول إلى السعادة والخلود اللذين لا يتأتيان إلا عبر الإسلام) .

ولكي لا يفهم البعض الكلام بصورة خاطئة أقول موضحا : إن طرح الإمام الخميني لولاية الفقيه ، هو بيان للحكم الشرعي ، وليس فيه تأكيد على شخصه، وكانت دعوته إلى ولاية الفقيه على نحو الصفة والحقيقة الجامعة ، وليس من باب التمسك بالعنوان والشكل الفارغ من المضمون ، فهو القائل بصدق وإخلاص : " لا أريد أن أكون مرجعا ، بل أريد أن أؤدي وظيفتي " .

لقد رأى الإمام الخميني (قدس سره الشريف) حقيقة نفسه الفانية ، ورأى جلال ربه وجماله فعشقه وذاب فيه ، ووقف بين يديه وقفة العبد الفقير الذليل الحقير المسكين المستكين الذي لا حول له ولا قوة إلا به ، فكان يأتمر بأمره وينتهي

بنهيه عن حرية واختيار في التشريع ، ويسلم بنفس مطمئنة راضية لقضائه وقدره في التكوين ، وقد تخلق بأخلاقه ، فكان شديدا على الظالمين والمستبدين والمستكبرين ، ورؤوفاً رحيماً بالفقراء والمساكين والمستضعفين ، عادلا منصفا لا يبخس الناس أشياءهم ، ولا يحب أن يمدح ولا ينسب له ما ليس فيه ، فرأى وجود الناس وحقيقة ما يفعلون وما يقومون به من أدوار فاعلة في الحياة : على مستوى الجهاد والمقاومة ، أو على مستوى والإدارة والبناء والعمران في الدولة ، واعترف به وثمنه أحسن تثمين ، كما اعترف بحقهم في صناعة القرار في الدولة وتقرير المصير ، ولم يسخر ولايته الدينية في سبيل سلب المواطنين حقهم في المشاركة وصناعة القرار ، أو يستعبدهم لآرائه الشخصية ورغباته ، فيجعل من نفسه إلها يعبد من دون الله عز وجل .

لقد رأى بأنه لا يستطيع أن يقوم بشيء على مستوى المقاومة أو إدارة الدولة وتطويرها بدون اجتماع المواطنين والبسطاء من الناس حوله ودعمهم إليه ومساندتهم لمواقفه ، وليس العكس كما يفعل الطواغيت والمستبدون والمستكبرون في الأرض والجهال الذين يسمون أنفسهم ويسميهم الناس علماء وقادة بغير وجه حق .

فالإمام الخميني (قدس سره الشريف) يرى بأن الدور الرئيسي في التغيير المنشود يكمن في تحرك الجماهير ، وأن كل قوى الاستبداد والاستكبار تعجز عن الوقوف أمام قدرات الشعب العظيمة لتمنع ما تريده الشعوب وتصر عليه ، فإذا أرادت الشعوب شيئا وتحركت من أجله بجد وثبات ، فلابد أن يتحقق بإذن الله جل جلاله ، ولا يستطيع أحد من أن يمنع تحققه ، ولهذا قال : كل ما لدينا ببركة هؤلاء الناس .

خامسا: المحافظة على السلم العالمي : لقد تحرك الإمام الخميني (قدس سره الشريف) في وعيه الإسلامي للمسألة الإنسانية من خلال منهجه العرفاني

في واقع الاستضعاف والاستكبار من جهة ، والمحبة والصدق والسلام من جهة ثانية . فكان يتألم لما يصيب الإنسانية من آلام وكوارث ، ويسعى للتخفيف عنها من خلال حركة فاعلة في مواجهة الاستكبار والاستعباد والمرض والفقر والبؤس والحرمان والفساد والتخلف والفوضى ، والأخذ بالمجتمع والدولة نحو النظام والعدل والتقدم والرخاء والسعادة الشاملة والمحافظ على مصالح الناس الجوهرية: الخاصة والعامة ، فلم يزهد في الواقع ويتخلى عن مسؤولياته الدينية والإنسانية نحو العباد من أجل الآخرة كما يفعل الكثير من الزهاد والعباد والعلماء التقليديين في الحوزات العلمية والمعاهد الدينية ، ولم يكتفي بالتعبير عن مشاعر الألم والحزن لما يصيب الناس من خلال الكلام ليشكل ظاهرة صوتية فارغة من المضمون العملي، ولم يقود الواقع على أساس الشهوة والمصالح المادية وتجاهل المعنويات ليتحقق الفقر والحرمان المعنوي لدى الناس ، ويسيروا نحو الظلام والضياع والشقاء الأبدي في الآخرة ، وإنما قاد الواقع بالأقوال والأفعال وتقديم التضحيات الجسام على أساس العبودية لله الواحد الأحد الصمد والعشق له والسير نحو الكمال المطلق في الوجود . ومن جهة ثانية : فإن الإنسان بما هو إنسان يحظى في منهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) بالاحترام والتقدير وتحفظ كرامته وتصان جميع حقوقه الفردية والمجتمعية في الحياة ، لأنه المخلوق الأكثر معرفة بالله (جل جلاله) وهو الكائن الوحيد الذي يستطيع السير الإرادي إليه على براق العشق والمحبة والصدق في السلوك . فالإنسان مجذوب بحسب العقل والفطرة نحو الخالق البارئ المصور ذي الجلال والإكرام ، مما يفرض احترامه وتقديره وحفظ كرامته على كل إنسان رباني عارف بالله (جل جلاله) بغض النظر عن انتماء الإنسان الديني والفكري والسياسي.

كما تحظى كافة الكائنات بالاحترام والتقدير في منهج الإمام الخميني.

ولهذا فالإمام الخميني (قدس سره الشريف) يدعو إلى الحق والعدل والخير والمحبة والسلام والعيش المشترك بين المسلمين وغير المسلمين ، ويرفض الظلم والاستبداد والتضحية بالقيم في السياسة حتى في الحروب ومواجهة الأعداء . كما يرفض كل أشكال العمل العدائي ضد الطبيعة التي يرى أنها مسجد الرب جل جلاله .

ولهذا رفض الرد بالمثل باستخدام الأسلحة الكيميائية في الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية في إيران ، حفاظا على سلامة الناس الأبرياء وسلامة البيئة وسلامة الكائنات الحية فيها .

أن منهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) لا يسمح بممارسة التطرف والإرهاب والاستبداد وانتهاك حقوق الإنسان ولا التفريط في الأمن والاستقرار والسلم الأهلي والعالمي ، ويدعو إلى الحق والعدل والمساواة والمحبة والسلام وحفظ الحقوق الفردية والمجتمعية وصيانتها والسير نحو الكمال الفردي والمجتمعي بمقتضى العبودية لله الواحد الأحد الصمد والتحلي بصفات الجمال والجلال ، ويدعو إلى المحافظة على سلامة البيئة وسلامة الكائنات الحية .

والعجب كل العجب : أن هذا المنهج الذي يدعو إلى الحق والعدل والفضيلة والمحبة والسلام والعيش المشترك والتقدم والرخاء للإنسانية والمحافظة على سلامة البيئة وسلامة كافة الكائنات ، يُحارب بشراسة وحقد من قبل قوى الاستكبار والإرهاب العالمي السافكة لدماء الأبرياء ، تحت عنوان محاربة الإرهاب ، وبزعم المحافظة على الأمن والاستقرار وحرية الشعب الإيراني والديمقراطية والسلم العالمي ، وهذه مغالطة خطيرة يبثها الإعلام الاستكباري وذيوله في أنحاء العالم لتشويه صورة الجمهورية الإسلامية في إيران ومنهج الإمام

الخميني (قدس سره الشريف) لدى الرأي العام العالمي ، وهي مغالطة مكشوفة الدوافع والأهداف يجب على كافة شعوب العالم أن تتنبه إليها وتحذر منها .

وعلى كافة أصحاب الفكر المستنير والصحفيين الأحرار في العالم معارضة هذا الدور الشيطاني الخبيث الذي يلعبه الإعلام ألاستكباري وذيوله من أجل تزييف الحقائق بهدف تضليل الشعوب وفرض هيمنة قوى الاستكبار العالمي عليها وسلب خيراتها وثرواتها وخدمة المصالح الاستكبارية غير المشروعة لقوى الاستكبار في العالم على كافة المستويات .

وعلى أصحاب الفكر المستنير والصحفيين الأحرار تقع مسؤولية السعي لكشف حقيقة منهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) الذي هو عين منهج الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) وإظهاره ونشره من أجل مصلحة الإنسانية وسعادتها في الدنيا والآخرة .

ومما يؤسف له أيضا : أن منهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) تتم محاربته بسبب الجهل والتعصب على أسس طائفية وقومية ..

والحقيقة : أن منهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) هو الصورة المعاصرة النقية لمنهج الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) وأنه لم ينطلق في يوم من الأيام من منطلقاً مذهبيا أو طائفياً أو قومياً ، وإنما كانت منطلقاته دائما إنسانية وإسلامية صرفة ، مبنية على مفاهيم وحقائق عرفانية نقية ، تغذيها ثقافة إسلامية حرفية واسعة : في العقائد والأخلاق والتفسير والفلسفة وعلم الكلام والفقه والأصول والسيرة والتاريخ ، حفظ من خلالها الحق والحقوق والمصالح الجوهرية للمسلمين ، وحرص من خلالها على تقوية جبهة المسلمين والمستضعفين أمام الأعداء ، وأنها تخضع دائما للضوابط الفقهية الشرعية بامتياز.

فالسلام على الإمام الخميني الموحد العادل ، فقد استطاع بروحه العرفانية الموحدة العادلة أن يسقط الشاه الطاغية ، واستطاع بروحه العرفانية الموحدة

العادلة من تحقيق النجاح في إدارة الدولة الإسلامية في إيران وبنائها وتطويرها وقيادة سفينتها في مواجهة أعاصير أعتى قوى الاستكبار العالمي والصمود في وجهها والانتصار عليها ، واستطاع خليفته المبجل ولي أمر المسلمين الإمام السيد علي الخامنئي بنفس الروح العرفانية الموحدة العادلة ، أن يواصل قيادة الجمهورية الإسلامية في إيران وبنائها وتطويرها على كافة الأصعدة : السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتقنية وغيرها ، والمقاومة ضد الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين العزيزة وقوى الاستكبار العالمي ومساندة ودعم المستضعفين في العالم .. فاستنادا إلى نفس الروح والمنهج : نفهم الإصرار لدى القيادة العليا في الجمهورية الإسلامية في إيران على المشاركة الشعبية في صناعة القرار في الدولة على كافة المستويات ، ومحاربة الباطل والظلم والفقر والفساد والجهل والاستبداد والرذيلة ، وعلى نفس الروح والمنهج نفهم الموقف البطولي الشجاع للجمهورية الإسلامية في إيران بالإصرار على مواصلة البرنامج النووي والتقدم العلمي والتقني في كافة حقول المعرفة وكافة مجالات الحياة ، ومواجهة قوى الاستكبار العالمي التي تسعى مجتمعة لسلب الجمهورية الإسلامية في إيران حقها في الاستخدام السلمي للطاقة النووية .

الجدير بالذكر : أننا نفهم بحسب منهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) وبحسب منهج خليفته المبجل ولي أمر المسلمين الإمام السيد علي الخامنئي (أيده الله تعالى وأمد في ظله المبارك الشريف) أنه لا يمكن التخلي عن السعي للتقدم العلمي والتقني وعن البرنامج النووي في الجمهورية الإسلامية في إيران ، وفي نفس الوقت لا يمكن السماح بسوء استخدام البرنامج النووي فيها بأي حال من الأحوال .

وتتضح الصورة الأخيرة من خلال الوقوف على ما سبق ذكره بشأن موقف منهج الإمام الخميني من السلم العالمي . كما نجح منهج الإمام الخميني

(قدس سره الشريف) بواسطة حزب الله المظفر في مقاومة الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين العزيزة ، وأنزل به الخسائر التاريخية الفادحة التي عجزت عن مثلها كافة الجيوش العربية ، ليعيد لكافة الشعوب الإسلامية والعربية الثقة بالنفس والأمل في التحرر والانتصار ، في الوقت الذي ذهبت فيه الحكومات العربية المنهزمة نفسيا بسبب خوائها الروحي والمعنوي وراء عمليات السلام مع الكيان الصهيوني وتقبيل أقدام أمريكا ووجناتها العفنة تحت عنوان الواقعية وفن الممكن ، ليبقى منهج الإمام الخميني ـ بحسب النظر والتجربة ـ هو المنهج الموصل إلى الله ذي الجلال والإكرام ، وإلى قلب صاحب العصر والزمان (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء) والممهد إلى تحرير العالم وإقامة دولة العدل الإلهي العالمية على يديه ، وإلى مقاومة الاستكبار والاستبداد وإقامة الحق والعدل والحرية والفضيلة ونصرة المظلومين والمستضعفين على وجه الأرض .

إن منهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) هو المنهج الحق الذي يمثل التصوير الحقيقي المعاصر الصادق لمنهج الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) وهو منهج المستقبل المشرق للبشرية العطشى على ضوء الهداية الربانية الملكوتية النوراء ، ولن تستطيع قوى الاستكبار العالمي القزمة أن تقضي على فكر الإمام الخميني (قدس سره الشريف) ومنهجه العرفاني الصافي بأي حال من الأحوال ، فقد كبتوا وخسروا الرهان ، وما خاب والله كل من تمسك بمنهج الإمام الخميني قدس سره .

الامام الخميني قدس سره والإصلاح الأكبر في عالمنا المعاصر

الامام الخميني حالة فريدة في المرجعيات الشيعية والقيادات الإسلامية، فلم يشهد تاريخنا الإسلامي المعاصر شخصية مثله، امتلكت الشجاعة والإصرار على المواصلة والتحدي رغم كل التحديات والظروف، من أجل تحقيق هدف الإسلام في إقامة حكم الله في الأرض.

وقد عانى الامام الخميني (قدس سره) من الخط التقليدي في الحوزات العلمية منذ بدايات تحركه الإسلامي في إيران ضد الشاه، وتعرض لضغوط عديدة حاولت عزله عن جماهيره وخلق حاجز بينه وبينها، لكنه (قدس سره) مضى في طريقه بثبات، لأنه يؤمن تمام الإيمان بالمسؤولية الكبيرة التي يتحملها، وأنه صاحب رسالة سامية لابد أن يؤديها مهما كانت التحديات المضادة.

وبالفعل شق الخميني العملاق طريقه وسط الأشواك والصعاب، ولم تشغله أية قضية جانبية عن قضيته الكبرى، مع أن هناك محاولات كثيرة كانت تخطط ضده لجره إلى معارك جانبية هامشية على أمل أن تعرقل انطلاقته الثورية وتستوعب طاقاته واهتماماته بشؤون أخرى، لكنه وبالنظرة البعيدة التي يتميز بها في كل الأمور أحبط كل تلك المحاولات بحكمة وصبر، وواصل مسيرته ومن ورائه قواعده المليونية المجاهدة حتّى منّ الله عليه تعالى بالنصر الكبير.

وبعد الانتصار التاريخي الذي حققه في إيران بذلت القوى الاستكبارية جهودا خيالية لإسقاط الثورة الإسلامية، لكن هذه الجهود كانت تتحطم على صخرة التلاحم الأسطوري بين الأمة المجاهدة وبين قيادتها العظيمة المتمثلة في مرجعها الامام الخميني (قدس سره).

وقد لجأت هذه القوى - بعد أن واجهت الفشل الميداني على المستوى العسكري - إلى محاولة استيعاب الثورة من الداخل عن طريق العناصر المشبوهة والمتواطئة مع الدوائر الاستكبارية، لكن وعي المرجعية الخمينية ووعي جماهيرها

الثائرة أحبط كل تلك المحاولات ،فلفظت الثورة العناصر الدخيلة من جسمها وفرزت الخط الأصيل عن غيره. وهو أمر ما كان ليتم لولا المستوى العالي من الفهم الحركي لمجريات الأحداث.

وقد عادت دوائر الاستعمار مرة أخرى إلى خطوة خطيرة تستهدف القضاء على معطيات الثورة بشكل نهائي، وذلك عن طريق انقلاب عسكري كبير يشترك فيه بعض كبار الضباط والتنظيمات السياسية المعادية للإسلام مثل حزب تودة الإيراني إلى جانب بعض رجال السياسة الموالين للغرب.

ومن أجل أن يستكمل هذا المخطط الرهيب حلقاته بحثت الأجهزة الاستكبارية عن غطاء ديني ليكون البديل للإمام الخميني قدس سره. وبعد دراسة الأجواء العامة في الجمهورية الإسلامية وقع الاختيار على احد كبار العلماء في إيران.

لقد راهن الاستكبار على ذلك العالم الكبير ظناً منه بأن القاعدة الواسعة من مقلديه ستقف وراءه في ساعة الصفر المرتقبة، وعند ذاك سوف تتم عملية التحول في شكل الثورة وستعود الأمور إلى سابق عهدها قبل انتصار الامام الخميني التاريخي.

لكن قبل أن تحين ساعة الصفر أدركت الثورة وبعناية الله سبحانه ما يدبّر ضدها في الخفاء، فتم اكتشاف المخطط الاستكباري، وسرعان ما تساقطت رموزه أمام الوعي السياسي للشارع الإيراني المسلم. وخلافاً لما توقعه الاستكبار، فإن الذي راهن عليه، سقط على المستوى الشعبي منذ اللحظة التي كشف فيها عن تورطه في هذا المخطط وخرج الجمهور المجاهد يعلن بكل وضوح موقفه الرافض له، وكان في مقدمته أتباعه ومقلدوه الذين توهم الاستكبار أنهم سيقفون إلى جانبه، لكنهم بعد أن عرفوا حقيقة موقفه تخلوا عنه، لأن الأمة وفي مرحلة الوعي التي صنعتها مرجعية الامام الخميني كانت تريد من يواجه

الاستكبار ومن يتصدى بجدارة وقوة لحرب الكفر العالمي ضد الإسلام في المعركة الحضارية الشاملة.

وهكذا استطاع الشعب الإيراني المجاهد أن يلحق هزيمة أخرى للقوى الاستكبارية وأن يؤكد التحامه بالمرجعية الواعية المجاهدة التي تريد بناء المجتمع الإسلامي الصالح والدولة الإسلامية التي تجسد حكم الله في الأرض.

إن انتصار الامام الخميني خلق مرحلة جديدة من الوعي الإسلامي، فلقد صنع قدس سره تياراً ثورياً واعياً يواجه القوى الاستكبارية ويجاهد من اجل إقامة حكم الله في الأرض، وهو حلم كاد أن يموت في النفوس بعد الاحباطات المتكررة التي تعرضت لها الأمة الإسلامية.

قبل الامام الخميني لم يكن مراجع الدين يفكرون بإقامة دولة إسلامية عن طريق الثورة، وكانوا يعارضون أي نشاط في هذا الاتجاه.

وقد تعرض الامام نفسه إلى نقد شديد ومضايقات عديدة ومحاولات تشويهية من قبل الكلاسيكيين من العلماء والمراجع، لكن محاولاتهم باءت بالفشل .. فإذا الخميني قوة جبارة تقهر وتكتسح .. وإذا بمدرسته خط متنام يزداد قوة واتساعاً.

لقد استطاع الامام ان يستوعب الأمة بمختلف طبقاتها لأنه آمن بأنها القادرة على صنع مصيرها الذي تريد، إذا توفرت لها القيادة التي تبعث فيها روح الثورة والجهاد، وتعيد ثقتها إلى نفسها. ولأنه أخلص لها كل الاخلاص فكانت آلام كل فرد منها هي آلامه وهمومه .. لم يعش الخميني قدس سره يوماً واحداً بعيدا عن أمته وشعبه، كان معه دائما يحمله في قلبه هماً واملاً .. لم يكن قدس سره يتعامل مع المرجعية على أنها امتياز خاص يعزله عن مجتمعه، بل تعامل معها على أنها مسؤولية كبيرة لابد ان ينهض بأعبائها على أكمل وجه، فكان المرجع القائد الذي يرسم الطريق ويسير فيه في المقدمة.

لقد تعرفت الأمة على مرجعها الامام الخميني عن قرب، فليس هناك أي حاجز بينه وبينها، كان معها وهو في إيران .. ومعها وهو في المنفى .. لم تبعده المسافات الجغرافية عنها لأنها في قلبه ولأنه في قلبها.

هذه العلاقة الرائعة بين المرجع وجماهيره، جعلته لا يجد أي مشكلة في طريقه الطويل مهما كانت الصعاب والتحديات، كما جعلت جماهيره لا تجد أي صعوبة في السير وراءه لأنها أدركت جيدا أنه يسيربها إلى حيث يريد الإسلام.

لقد اختط الامام هذا النهج في حياته مع الأمة منذ البداية، فلحقت به الجماهير بثقة وإخلاص ليس في إيران فحسب، بل في كل المواقع الإسلامية التي آمنت بنهج أهل البيت عليهم السلام في طريق تحكيم الإسلام في الحياة.

لقد صنع الوعي والتحدي والوضوح، لذلك لم يأبه بما يتقوله المتقولون .. ولم تأبه قواعده المجاهدة بكل التهم والحملات المغرضة، لأن الوعي كان أكبر من أن تنهيه همسات القاعدين.

لقد استطاع الامام الخميني ان يرسم صورة المرجع الذي تحتاجه الأمة في مرحلتها التي تخوض فيها اخطر التحديات من قبل أعداء الإسلام، وهي صورة لم تكن موجودة في الفترة الذي ابتدأها بين المراجع الذين عاصروه، فكانت بعض الأوساط تمارس حملاتها التضليلية في الخفاء خوفاً من غضب الجمهور الواعي، ولأنها لا يحلو لها الصيد إلا في الماء العكر، وتركهم الامام يتهامسون ويضللون في الأقبية المظلمة، فيما كان قدس سره يزمجر بوجه الاستكبار ويتحدى القوى المعادية للإسلام تحت ضوء الشمس.

إن الامام الخميني حقق الإصلاح الأكبر في عالمنا المعاصر، وفرض فكرته الإصلاحية الثورية على الواقع الإسلامي، دون أن يأبه بردود الفعل المضادة، وتلك هي القيمة الحقيقية للمشروع الإصلاحي، وتلك هي الصفة الأساسية للمصلح، فليس هناك ما يضعف العزم عنده مادامت الرؤية واضحة، وهذا ما

جعل الأمة تلتف حوله، لأنها وجدت فيه القائد الواثق من نفسه ومشروعه وأمته، فمنحته كل الثقة والولاء.

الامام الخميني قدس سره ومعجزة الثورة الإسلامية

أن السمة البارزة التي يتميز بها الفكر السياسي للإمام الراحل هي ارتكازه على الهوية الدينية حيث عرض فكره ضمن إطار يتجاوز إطار العلمانية الغربية

إذا ما أردنا توضيح حقيقة ثورة الامام الخميني قدس سره، نقول ان العالم شهد مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران وقوع معجزة إلهية عظيمة وهي حقيقة طالما أكد عليها القائد الامام الخامنئي قائد الثورة الإسلامية العالمية مراراً وتكراراً.

فهو يقول إن المجتمع شهد تحولاً معنوياً لا يمكنني أن أصفه سوى بأنه معجزة ومشيئة إلهية.

ليس في مقدوري أن أطلق عليها اسماً آخر. كما يقول الامام قدس سره أيضاً إن الحسابات هنا هي حسابات إلهية، الأشخاص العاديين ليس بإمكانهم خلق قدرة هائلة كهذه، إنها يد الله ومشيئته التي أبطلت جميع الحسابات المادية. وهناك العديد من الشخصيات غير الإسلامية ممن صرّحت بعدم إمكانية استيعاب حادث الثورة الإسلامية ضمن إطار الحسابات المادية ما يثبت فعلاً بأن هذه الثورة هي معجزة حقيقية.

أن تحقيق ثورة عقائدية وإلهية تسير في طريق استقرار العدل في عالمنا المعاصر تعتبر بحق معجزة إلهية.

يقول المفكر الكندي روبرت كالستون بهذا الشأن في رأيي باعتباري غربياً وغير مسلم، أن تحقيق ثورة عقائدية وإلهية تسير في طريق استقرار العدل في عالمنا المعاصر تعتبر بحق معجزة إلهية. هذه الثورة ومن دون أدنى شك تحظى بتأييد من قبل الله سبحانه وتعالى.

□

الإمام والثورة وتجلي القدرة المحيرة للإسلام

أن الثورة الإسلامية هزت المعسكر الهادئ للاستكبار العالمي بشدة في واحدة من أهم الأماكن في العالم مثل زلزال غير متوقع. مع وقوع الثورة الإسلامية الإيرانية (كانت المرة الأولى أن تواجه القوى الغربية العظمى تحدياً ناجحاً في بلد مسلم لقد احتقرتهم وألحقت الضرر بمصالحهم المادية) وشقّت سماء الجهل والغفلة والعناد مثل صاعقة كاسحة وأيقظت المراقبين والمنظرين من سباتهم وأحلامهم الجميلة، هؤلاء الذين كانوا يعتبرون اندثار الأديان الإلهية أمراً محتوماً لا مناص منه وأبطلت نظرياتهم جملة وتفصيلاً.

(رمزياً تعد الثورة الإيرانية أول انتصار للمسلمين على الغرب منذ القرن الـ ١٦ إلى الآن. والمهم هنا هو أن الإسلام كان هو الذي وجّه مسيرة هذه الثورة ولم يكن لأي من الأسماء الغربية كالقومية والرأسمالية والشيوعية والاشتراكية أي دور في تحقيق هذه الثورة).

لقد تعرفت القوى العظمى الغربية من خلال مجابهة العظمة التي خلقها الامام الراحل قدس سره على الطاقات الكامنة للإسلام وعلى قدراته الهائلة. لقد وصلت النهضة الدينية في إيران إلى ذروتها إثر إزاحة الشاه المقبور من قبل الامام الخميني قدس سره وامتدت إلى جميع أنحاء العالم.

وحول هذا الموضوع كتبت صحيفة التايمز قائلة لقد وصلت النهضة الدينية في إيران إلى ذروتها إثر إزاحة الشاه المقبور من قبل الامام الخميني قدس سره وامتدت إلى جميع أنحاء العالم، وفي خريف عام ١٩٧٩ تمكن العالم الغربي مرة ثانية من اكتشاف الإسلام إثر اندلاع الثورة الإيرانية. لقد أدركنا وبسرعة أن الله أكبر باللغة العربية تعني أن الله أكبر من كل شيء في الوجود.

□

الامام والثورة، ظاهرتان لا يمكن الفصل بينهما

لكونها نشأت بناء على الأفكار السامية للإمام الخميني قدس سره، فإن الثورة الإسلامية في إيران كانت على الدوام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمعتقدات والأهداف التي كان يؤمن بها هذا الإنسان الملكوتي من حيث عوامل ظهور وطرح الشعارات المحورية وتحديد الأهداف والطموحات السامية وسبل الوصول إليها. لهذا نجد أن سماحة قائد الثورة السيد علي الخامنئي يشير إلى هذا الأمر المهم ويذكر الجميع قائلاً إن الثورة الإسلامية والإمام الخميني قدس سره ظاهرتان لا يمكن الفصل بينهما، فمن غير الممكن تحليل الثورة الإسلامية بدون التعرف على شخصية قائدها العظيم. إن المراقبين السياسيين الذين يقومون بتحليل ودراسة التحولات السياسية والاجتماعية على الصعيد العالمي ويتابعون شؤون الثورة الإسلامية باستمرار يقرّون بالحقيقة المشار إليها بمختلف الأشكال.

فها هي صحيفة الغارديان البريطانية تنشر تحليلاً عن الثورة الإسلامية جاء فيه إن دور آية الله (الامام) الخميني قدس سره في الثورة العظيمة التي حصلت في إيران كانت محورية ومهمة وما من شك في أن آية الله كان الحجر الأساس لهذه الثورة. إن الثورة الإسلامية والإمام الخميني قدس سره ظاهرتان لا يمكن الفصل بينهما، فمن غير الممكن تحليل الثورة الإسلامية بدون التعرف على شخصية قائدها العظيم.

أما فريد هاليدي أستاذ العلاقات الدولية في جامعة لندن فيقول في مقدمة كتاب ألّفه عن إيران إن الثورة الإسلامية هي بحق من أعظم الثورات في التاريخ. ونحن جميعاً على علم بأن هذا الحدث العظيم كان بتأثير عظمة شخصية الامام الخميني قدس سره وأن يداه القويتان وقيادته كانت هي التي أثارت هذه الأمواج البشرية الهائلة.

□

فكر الامام كانت حصيلته ثورة استثنائية

إن حقيقة كون (الثورة الإسلامية في ذاتها لا تشبه أياً من الثورات الأخرى التي حدثت خلال القرن الماضي)، يجب البحث عنها في الترابط الوثيق غير القابل للفصل بين الثورة الإسلامية والإمام الخميني قدس سره. إن ترابط الثورة الإسلامية الوثيق مع أفكار وشخصية الامام الخميني قدس سره الشاملة هو العامل الذي يؤدي إلى تمييز هذه الثورة عن باقي الثورات الإسلامية الكبيرة في العالم، التي حدثت في القرن العشرين. إن الامام الخميني كانت له فلسفة خاصة انفرد بها لنفسه في تعريف وتحديد أهداف الثورة الإسلامية، وتزعم تيار المواجهة، ومجابهة القوى السلطوية وتكتيكات وأساليب الحفاظ على منجزات الثورة الإسلامية وصيانتها. ان الفلسفة السياسية للإمام ترتكز على أصول راسخة وثابتة والإيمان العميق بالغيب والمساعدة الغيبية، والإيمان الراسخ بتعاليم الإسلام والوحي، والتوكل على القدرة الإلهية الأزلية، والإحساس المطلق بالمسؤولية.

إنها هذه الفلسفة التي (عجز الغرب عن التعرف على كنهها وأسرارها باعتراف الغرباء). بتعبير أدق، إن الفكر السياسي للإمام الذي يعد الركن الرئيسي والعنصر الحيوي لإنطلاقه واستمرار حركة الثورة الإسلامية هو المحصلة المنطقية لتفسيره العرفاني للوجود والمفهوم الوجودي للإنسان. وقد استخدم الامام قدس سره فكرته الجديدة ذات الجذور الإلهية على الساحة السياسية الدولية، وهو بذلك لم ينجح فقط في إسقاط نظام بهلوي العتيد وتوجيه الحركة العالمية للثورة الإسلامية إنما تحدى المدنية الغربية من خلال عرض فكر جديد ثقافي وديني وإلهي ونفي التعاليم المادية. ولهذا يمكن القول بأن (ابتكار الامام هذا بالنسبة للعالم المعاصر، يندرج في أفق الفكر السياسي قبل أن يكون سياسياً على الصعيد العملي.

وإن الفكر السياسي للإمام الراحل قدس سره بالنسبة للعالم المعاصر يمتلك الكثير من الابتكارات وبالإمكان القول بأنه خلق منعطفاً في الفكر السياسي المعاصر)، إن الامام قدس سره وبناء على هذا الفكر السياسي حرّك عجلة أعظم ثورة اجتماعية في القرن العشرين، والتي يعتبرها المحللون الدوليون أنها لا يمكن تقييمها ضمن إطار المعايير التي يتم على أساسها تقييم باقي الثورات الكبيرة في العالم. إن المفكر والخبير الفرنسي البارز في علم المجتمع ميشيل فوكو يشير في تأليفاته إلى رحلة قام بها إلى إيران في فترة ذروة أحداث الثورة عام ١٩٧٩.

وإلى نظريات بعض من المحللين الغربيين الذين كانوا يعتبرون حركة الثورة الإيرانية بمثابة عبور للمجتمع الإيراني من مرحلة اللا معاصرة والتقليدية إلى الحداثة، ومن خلال الأحداث والتحولات الجارية التي كان يشاهدها عن كثب.

ويقول أنا أقر بأن أي تحول حدث منذ القرن الثامن عشر وما بعد لم يكن سوى نشر الحداثة، في حين أن الثورة الإيرانية تعد الحركة الاجتماعية الوحيدة التي تقف أمام الحداثة.

وفي الحقيقة يقرّ فوكو بأن (الثورة الإسلامية الإيرانية تحدّت قرنين من سلطة فكر سياسي ذو جذور تعود إلى بضعة مئات من السنين.. وإن هذه الثورة لديها الكثير لتقوله، وإن ذلك يعد السمة البارزة التي يتميز بها الفكر السياسي للإمام الخميني قدس سره رغم التباين الكبير في أشكال الفكر السياسي الغربي إلا أنها كلها تلتقي في نقطة واحدة هي نفي الهوية الدينية) في حين (أن السمة البارزة التي يتميز بها الفكر السياسي للإمام الراحل هي ارتكازه على الهوية الدينية حيث عرض فكره ضمن إطار يتجاوز إطار العلمانية الغربية).

ونظراً لامتلاك الامام لهذا الفكر السياسي الذي يرتكز على التعاليم الإسلامية والفقه الشيعي الثري، انطلقت الثورة الإسلامية ولهذا السبب أيضاً كان كلما استمرّت مسيرة هذه الثورة لتتجاوز المراحل الابتدائية وتدخل في

مرحلة النمو والازدهار كان يتأكد للجميع بأن (الثورة الإسلامية هي غير الثورات الأخرى).

على ضوء ذلك نلاحظ أن القائد العظيم الذي قام بالتخطيط والتوجيه للثورة الإسلامية يؤكد مراراً وتكراراً على الصلة الوثيقة بين الثورة الإسلامية في إيران والتعاليم الإسلامية والدينية، كما يوضح في وصيته السياسية والإلهية قائلاً نحن على علم بأن هذه الثورة قطعت أيدي الاستعماريين عن إيران بتأييد من الغيب.

كما يؤكد قائلاً ولهذا يجب عدم التشكيك في أن الثورة الإسلامية تختلف كلياً عن الثورات الأخرى سواء من حيث ظهورها أو من حيث أسلوب النضال والدوافع التي أدّت إلى قيامها، فليس هناك أدنى شك في أن هذه الثورة هي هبة إلهية بالغة الثمن منّ بها الله تعالى على شعب مظلوم ومغبون حقه.

□

الإمام الخميني قدس سره وإحياء الفكر الديني

كان من الطبيعي للعالم الإسلامي وهو يعيش منفصلا عن إسلامه ولا يفقه ذاته ولا يعرف لوجوده قيمة إلا في موازاة الوعي الأوربي ومن خلال تبعيته له، ان يفتقد وجود نظرية في الثورة والتغيير تقوم على أساس الإسلام وتنطلق الممارسة العملية على هديها.

في حصار النموذج الآخر

سيطرت على الفكر الثوري في العقود الأخيرة اتجاهات غريبة عن فكر المسلمين ومتبنياتهم، حتى كادت ساحة العالم الإسلامي ان تكون مغلقة في فكر التغيير والثورة لتلك المنهجيات التي تنتمي تقليديا إلى تراث الغرب المؤسس بشكل مباشر على ادبيات الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية وقبلهما الانتفاضة البريطانية، أو المستلهم من تراث الشرق الأوربي المؤسس بشكل مباشر على تراث ثورة أكتوبر البلشفية ومجمل اتجاهات الفكر الماركسي وتنويعاته في المدرسة الصينية والكوبية واليوغسلافية والمدرسة الشيوعية الأوربية.

و كان معنى ذلك ان الفكر الثوري في العالم الإسلامي ظل في غربة عن الإسلام بمنطلقاته وأصوله وتاريخه؛ وبتبعية وانتماء للفكر الآخر؛ تحديدا لفكر الغرب وتراثه وتاريخه سواء تمثل ذلك بالتبعية والانتماء إلى الشق الغربي من حضارة الغرب الأوربي ـ الأمريكي أو الشق الشرقي منه.

لذلك كله كان من العسير على الباحث أو السياسي أو الداعية للثورة والتغيير ان يعثر أمامه في دليل الفكر أو في نموذج التغيير والثورة، غير نماذج الثورة الفرنسية والأمريكية والبلشفية. وإذا تجاوز أطار التغيير الجذري فلا يجد في نظرية التغيير من داخل النظام وعبر إطاره وأدواته وأجوائه (أي الإصلاح) سوى فكر ونموذج الليبرالية الغربية السائد في الديمقراطيات الغربية.

و ليست مسألة هيمنة النموذج الغربي بهيكليته الفكرية وتطبيقاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية ظلت محصورة بحدود التبعية والانتماء إلى "الفكر الثوري الأوربي" وطرائقه ومنهجياته، وإنما تمدد الغرب لينفذ في أدق خصوصياته عندما أعاد باحثوه من طليعة النخبة الفكرية ـ العلمية، تتبعهم بذلك الصفوة الثقافية ـ العلمية في بلادنا؛ أعادوا قراءة تاريخنا الثوري ـ الجهادي الحديث والمعاصر، بل والقديم منه، ليقدموه مجددا وفقا لإسقاطات أفكارهم، وعلى نمط منهجياتهم وتفسيراتهم.

و بذلك أضحى التاريخ الثوري الجهادي للمسلمين زاخرا بضروب متنوعة من التفسيرات والقراءات القائمة على أساس منهجية الفكر الأوربي في مدارسه المختلفة. حتى صرنا أمام ركام من فروضات وإسقاطات قائمة بمعظمها على الشذوذ والمغايرة للواقع، عمت الساحة انطلاقا لما للغرب من قوة في استهلاك الأشياء وقدرة نافذة على التعميم. لقد كان من السهل ان نفهم قوة هذه الهيمنة ونفوذها لمسامات الوجود الإسلامي. فالقوي المتقدم الذي يملك زمام القوة والسلطة لا يمكن ان ننتظر منه وهو ينبذ أي دور للأفكار والمفاهيم والكليات القيمية والاخلاقية التي تنبعث من رؤية كونية، سوى ما قام به فعلا حيال عالمنا الإسلامي.

ان الغرب يقوم بمركزيته المهيمنة القامعة بإغلاق ملفات الآخرين، لاسيما إذا كان الآخر هو العالم الإسلامي الذي استملك في ماضيه العالم وما فيه، وبضمنه عالم الإنسان الغربي، طوال قرون متعددة.

و هيمنة الغرب في مركزيته الراهنة هي هيمنة نافية لغيرها، لاغية لكل ما سواها وما سبقها وما يقف في طريقها، ويوم عرف الغرب ان الإسلام يملك من خصائص القوة والقابلية ما يؤهله للعودة إلى مواقع الفاعلية والعالمية، انصبت مركزيته على نفي الإسلام ومحاصرته كي لا تقوم له قائمة، وكان من جملة ذلك

الحصار، ان تطمس معالم قوة الإسلام في الفكر الثوري الجهادي ومنهجية الحركة والتغيير. فإذا أراد الإنسان العالم الإسلامي ان يثور أو يتحرك أو ينفلت، فليتم ذلك ولكن على أساس التصورات الغربية ذاتها!

و بهذه المثابة انتهى الوجود الإسلامي في العقود الماضية ولاسيما التي تلت سقوط كيان السلطة العثمانية، إلى وجود منفصل عن ذاته وتاريخه، منسلخ عن نفسه. فقد استطاع الغرب في مدرستيه الكبيرتين الماركسية والليبرالية الغربية، ان يوجد ما يريد من احداث القطيعة بين المسلمين وذواتهم، وبينهم وبين تاريخهم وماضيهم؛ أو بشكل عام بين المسلمين وإسلامهم.

لقد تمت القطيعة تارة تحت ذريعة نفي التراث لتمثل الحالة الثورية كما يطرحها العصر أو كما يطرحها التطور التاريخي[1] وللتحرر تارة أخرى ما يلقيه من آثار التخلف والجمود، لأنه "قد طغت العقلية الخرافية بشكل إحباطي للفكر العربي لمدة أربعة عشر قرنا" على حد زعم مصطفى النهيري[2] وابتعثت تاره ثالثه بأدوات منهجية وفكرية مموهة كما حصل مع الدعوة إلى القطيعه المعرفية (الابستمولوجية) التي انصب معناها على قطع المسلمين عن أصولهم والوقوع بالضرورة في براثن السيطرة الغربية عبر إعادة تأسيس ذاتهم وهويتهم ووجودهم من خلال الوعي الأوربي بوصفه الوعي العالمي النموذجي لإنسان الأرض!

و لعل أسوأ أنماط ممارستها هي تلك التي انزلقت لشعارات بالغه التفاهة رأت بالعودة للتراث احتضارا لدين الأمة، حيث يكتب احد هؤلاء: (و ما رده إحياء التراث المشتبكة من اجلها الخناجر اليوم في ساحة الثقافة العربية، إلا انعكاسا تراجيديا لآخر زفرات الاحتضار للجثة العقلية العربية التقليدية)[3].

---

(١) ينظر كمثال: بعض قضايا الفكر المعاصر، جلال فاروق الشريف، ص ١٢١ .

(٢) كمثال ينظر: محنه العقل المبدع، مصطفى النهيري .

(٣) محنه العقل المبدع، ص ٥٣ .

الاختراق المنهجي والنظري

استطاع الغرب وتابعته اتجاهات التغريب والجهل، ان يهمش الإسلام لمجرد حيز ضيق من القيم الروحية والاخلاقية التي فقدت معناها وابتذل محتواها، وإلى بعض أنسقة الأحكام الفقهية الفردية، وإلى موروث تاريخي ثقيل من حكم الاستبداد وركام الفقه السلطاني!

من هنا ما شاهدناه في العقود السابقة على العقد الثمانيني من فوره نظرية الثورة الماركسية، وهيمنه منهجيات المدرسة الاوربيه في العمل السياسي.

فكل حديث عن التغيير والثورة وأي محاوله انبعاث "لابد" وأن تقوم في عالمنا الإسلامي على أسس فكر ماركس والتراث الماركسي أو على قيم ومعايير الليبرالية الغربية دون ان يكون ثمة معنى لخيار أو بديل ثالث مستعد من الإسلام. هذا كمثال عبد الله العروي احد رموز الموجة الفكرية خلال الستينات والسبعينات في العالم العربي يكتب نصا: "ان الماركسية بالنسبة للعرب، هي أساسا مدرسة للفكر التاريخي وهذا الأخير هو مقياس المعاصرة" وهي بالتالي: (النظام المنشود الذي يزودنا بمنطق العالم الحديث)[1].

و عندما كان الوعي الثوري في العالم الإسلامي، يحاول تأسيس وجوده ويلملم ذاته لابتعاث كيانه، ويوحد قواه لمواجهة الواقع والتحديات الخارجية، لم تكن أمامه نظريا وسلوكيا ـ كمسار عام ـ سوي النمذجة الماركسية بشكل رئيس ومنهجيات الغرب إلى جوارها.

و هكذا اختزلت حقبة طويلة من المواجهة الإسلامية للوجود الاستعماري في منطقة قلب العالم الإسلامي وفي أطرافه؛ في مصر وفلسطين وبلاد الشام والعراق وإيران وأفغانستان واندونيسيا والمغرب العربي وغرب أفريقيا وأطراف آسيا وبقية بلاد المسلمين، لمجرد موضوع هامشي نظر له الأساتذة السوفيت

---

(١) العرب والفكر التاريخي، ص ٣١ .

وتابعوهم في بلادنا باسم حركات التحرر الوطني!! وهو المصطلح الذي اشتهر بعد ذلك وساد، لا بوصفه تعبيرا عن جهاد المسلمين وثوريتهم، بل بوصفه حقلا لفاعلية الفكر الماركسي في العالم الإسلامي!

تأسيسا على المصطلح شهدت تيارات الثقافة الثورية في العالم الإسلامي دراسات واسعة للموضوع الجديد؛ اي حركات التحرر الوطني التي انتهى تعميمها وانتشارها لطمس اي معنى لجهاد المسلمين في بلادهم، فولدت سلسلة واسعة من الدراسات حول إشكاليات حركة التحرر الوطني ومشكلاتها إزاء غياب حركة التغيير والثورة والمقاومة باسم الإسلام!

و هنا تمكن واحدة من قدرات الماكنة الغربية، فهي في هذا المثال طمست كل تعبيرات الجهاد الإسلامي، واختزلت صنوف مقاومة المسلمين، إلى مجرد موضوع جديد يلحق بالعلم الغربي اسمه حركات التحرر الوطني، ثم أعيد تأسيس مفاهيم الحركة واشكالياتها ومشكلاتها من خلال الفكر الغربي ذاته، ولا سيما مفاهيم المدرسة الماركسية دون ان ننسى إنها تشكل الوجه الآخر في المركزية الغربية!

و بذلك انتهى الوجود الإسلامي إلى ان يكون مفرده في الوعي الأوربي؛ وانتهى جهادهم إلى ان يكون مصطلحا في "علم الثورة الماركسي" وادبيات اليسار بشكل عام!

أما ما تبقى من مساحة الوعي والحركة والتغيير في العالم الإسلامي ـ بمساره العام ـ الذي استعصى على "العلم الماركسي" فقد عاد هو الآخر لإدماج نفسه في بنية الوعي الأوربي والمركز الغربي من خلال تبعيته لليبرالية الغربية.

□

الإسلاميون وكسر النطاق

لا يسعنا ان ننكر تلك الجهود التي بذلها الإسلاميون لتأسيس نهج ثوري خاص بهم؛ وان كان نجاحهم اقوى في محاولات التأسيس لمنظومة من مفاهيم ثورية وجهادية على صعيد فكر المواجهة والتغيير، ولكن مع ذلك وبالرغم منه فقد ظلت المحاولات محصورة في نطاق مجموعة محدودة من المفكرين أو تيار خاص في الحركة الإسلامية.

و قبل ذلك، اي في مرحلة المقاومة والجهاد الإسلامي في الجزائر والعراق والهند وإيران ومصر واندونيسيا وغيرها من أقاليم المسلمين، لم ينشغل الثوار بقضية التنظير فضلا عن تأسيس نظرية للثورة تنتهي لمرجعية فكرية إسلامية محدده، إذ كان لهم من الهموم والانشغالات ومن محنة مواجهة الاستعمار ما يكفيهم.

و لما انتهت مرحلة أولئك الكبار وصار مآل الثورة والتغيير للنخب الجديدة، رأينا هذه النخب تساهم بمساومة تاريخية بالغة الخطورة، حيث رضت لنفسها ان تتنكر لأصول الإسلام الثورية لتعيد تأسيس جهادها الذي تحول إلى نضال! على أسس "العلم الماركسي" أو منهجيات الليبرالية الغربية، وبهذا الشكل شهد العالم الإسلامي سلسلة الانقلابات المروعة في تحول المسار من الإسلام إلى الماركسية أو الليبرالية ومن الجهاد إلى النضال والديمقراطية!

و قد دامت هذه الحالة عقودا إلا من مساهمات فردية ومن هامش حركي ضيق ملاه الإسلاميون لم يجد فرصة الانتشار والتعميم، بل جوبه بالقمع السلطوي والمطاردة والنفي حتى انبثق فجر جديد.

منعطف التغيير والتأسيس

مع الامام الخميني دشن الفكر الثوري الإسلامي منعطفا جديدا بكل ما لذلك من دلالات ومعان. فمع الامام شهدنا تأسيسا جديدا ومرجعية أخرى

تعمل وتتحرك وتنتج فكرها وفعلها خارج المرجعية الغربية من دون ان تتأثر بها إطلاقا.

و مع الامام صار للإسلام دوره وحضوره في قضايا الثورة والتغيير في العالم الإسلامي؛ إذ انتهى وللأبد الاحتكار الذي مارسته معا الماركسية والمنهجية الليبرالية في عالمنا الإسلامي.

و مع الامام تحرك المسار الثوري ـ التغييري لدى المسلمين ليتخطى مشكلات تجاوز الواقع المتخلف واعادة تأسيس البنية الاجتماعية إسلاميا وكيان الأمة سياسيا، إلى مواجهة الغرب بوحدته وتنوعاته أولا، ونفيه بعد ذلك وتجاوزه لتأسيس عالمية جديدة يكون المسلمون الموحدون بوعيهم التوحيدي نواتها، وتلف في قواعدها كل المستضعفين ومن يتطلع للانعتاق من هيمنة المركز الأوربي أو حضارة الإنسان الأوربي ـ الأمريكي كما يعبر الشهيد الصدر.

و عندما نستخدم تعبير التأسيس في وصف انجاز الامام فنعني به تأسيس الصيغة، إما في روح المشروع التغييري فالإمام الخميني استأنف الجهود التي سبقته وواصل مسارا مادته الخام موجودة في الإسلام، بيد انه فعل ذلك بأسلوب النقلات النوعية الكبيرة التي مارست فعل الصدمة في استفاقة الوعي الإسلامي وتنبهه لبعض ما كان غافلا عنه.

ما هي الإضافة الخمينية للفكر الثوري الإسلامي؟ أو بشكل أدق ما هي القواعد التأسيسية التي أضافها مشروع الامام إلى الفكر الثوري ولقضايا التغيير والمواجهة في العالم الإسلامي؟

ثم إلى اي حد وفقت الصيغة الخمينية في طرح مرجعية منسقة ومنظمة لفكرها وأسلوبها؛ اي لمشروعها النظري وبرنامجها العملي، وهل استطاعت مرجعيتها ان تنتج أطروحة متكاملة للثورة والتغيير؟ والأهم من ذلك: هل

استطاعت هذه الاطروحة ان تبعث الفاعلية في الوعي والممارسة داخل أوساط شعوب الأمة الإسلامية؟

مهام مرتقبة

قبل ان نأتي على ما نرقبه من مؤتمر الامام الخميني وإحياء الفكر الديني من المفيد التأكيد على بعض العناصر المنهجية وكما يلي:

أولا: ان القائد الذي يمارس فعل التغيير والنهضة ربما لا تعنيه كثيرا الصيغ النظرية أو لا تترك له مهام التغيير فرصة تقديم النظريات. وبالتالي تبقى مسألة التنظير وصياغة الأفكار مهمة مؤجلة على الآخرين ان ينهضوا بها. وهذا ما يصح على نهضة الامام الخميني التي تحولت إلى موضوع مكثف للدراسة والتحليل، ولكن المشكلة ان جل ما كتب صدر باللغة الفارسية، وان الكثير منه اقتصر على الوصف وتسجيل الوقائع وضبط النصوص، وهي مرحلة وان كانت ضرورية، إلا أنها لا تفي بتقديم مشروع الامام للآخرين.

و الذي يبدو ان ثمة محاولات لتقديم أفكار الامام في صيغ نظرية وفي بناء منظومي نهضوي، لاسيما من قبل مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني، التي أخذت على مسؤوليتها عند المؤتمر المشار إليه.

ثانيا: ان للأفكار والنظريات كالكائنات الوجودية، دورة حياة ينبغي ان تمر بها. وهكذا الحال بالنسبة لأفكار ونظريات الامام إذ هي الأخرى بحاجة إلى زمن حتى يتوفر الباحثون على صوغها ونظمها وتقديمها في انساق نظرية موحدة.

ثالثا: يحسن بنا الانتباه إلى ان الفكر النهضوي للإمام الخميني يعيش حصارا متعدد الأبعاد يفرض عليه من مواقع مختلفة. فالتيارات العلمانية تحاصره لهويته الإسلامية، وبعضهم يمارس ضده الإقصاء البشع على أسس مذهبية

وإقليمية وقومية، ومن داخل الإسلاميين ثمة من يحاصره بدوافع المحافظة والجمود وربما الخوف على المصالح، لما يرى فيه من حيوية نابضة وحركية فاعلة. وهذه وغيرها صعوبات يحسن التفكير بوسائل تذليلها والسيطرة عليها.

رابعا: ثمة قصور في العدة المنهجية حيث تتعاطى كثير من الكتابات مع الامام على مستوي متابعة ورصد الحياة والوقائع الشخصية، أو تدوين النصوص، ولا تنتقل من الذات إلى الموضوع، ومن القائد إلى النهضة، ومن النهضة إلى منهجها.

الإمام الخميني قدس سره والقرآن الكريم

- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل).
- وعنه (صلى الله عليه وآله) : (إن أهل القرآن في أعلى درجة الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين..).

إن من أسرار شخصية الإمام الخميني قدس سره هي علاقته القوية بالقرآن الكريم، فقد نقل المقربون من الإمام الراحل قدس سره بعض صور هذه العلاقة الوثيقة. نسعى لذكرها عسى أن نقتدي بالإمام الراحل قدس سره في علاقته بالقرآن.

فإن مجتمعاتنا بحاجة ماسة للثقافة القرآنية، لكن كثيراً من المؤمنين (مع الأسف) يتعذر بأنه لا يمكنهم قراءة القرآن الكريم بسبب كثرة انشغالاته !

لكن هل سألنا أنفسنا هل انشغالاتنا أكثر أم انشغالات الإمام الخميني قدس سره الذي كان يقود الثورة الإسلامية، ويواجه الحرب التي شنها الطاغية صدام لمدة ٨ سنين بدعم من الاستكبار العالمي، وكان الإمام قدس سره يوجه حركة المستضعفين والمقاومة الإسلامية في تلك الظروف العصيبة؟ !

وسنذكر جانباً مقتبساً من حياة الإمام قدس سره مع القرآن الكريم، بشكل نقاط ومحاور علنا نقتدي به في علاقتنا مع كتاب الله العزيز :

النقطة الأولى : أوقات التلاوة :

(كان الإمام يتلو ما تيسر من القرآن في سبعة أوقات كل يوم يكمل فيها ـ حسب قول الحاج السيد أحمد ـ أربعة أجزاء من القرآن يومياً، وهذه الأوقات هي:-

١. قبل صلاة الفجر.
٢. بعد صلاة الفجر.
٣. في الساعة التاسعة صباحاً.

٤. قبل صلاة الظهر.

٥. عصراً بعد قيامه بممارسة رياضة المشي.

٦. قبل صلاة المغرب.

٧. بعد صلاة العشاء".

٨. وهي غير منظمة، بمعنى أن الإمام (لم يكن الإمام يسمح بضياع أي مقدار من وقته مهما كان بسيطاً، كان يستثمر كل فرصة، فمثلاً كان يأتي لتناول طعام الظهيرة بعد إقامته صلاتي الظهر والعصر، فإذا سنحت له فرصة ـ ولو كانت أقل من دقيقتين ـ أخذ المصحف وتلا فيها ما تيسر من كتاب الله).

النقطة الثانية : مقدار التلاوة :

كان يتلوا القرآن ثمان مرات في اليوم، ويختمه كل عشرة أيام مرة على الأقل.

أما في شهر رمضان فكان يقرأ عشرة أجزاء من القرآن كل يوم، فيختم القرآن بالكامل كل ثلاثة أيام مرة.

يقول أحد العلماء: (طلبت يوماً من أحد المقربين من الإمام، أن يخبرني بما يفعله الإمام طوال نهاره وليله، فقال ـ ضمن توضيحه لفقرات برنامج عمل الإمام اليومي: إنه يتلو القرآن ثمان مرات كل يوم ويختمه كل عشرة أيام مرة على الأقل).

ويقول العلامة الشيخ الناصري: (كان الإمام يقرأ ـ في شهر رمضان ـ عشرة أجزاء من القرآن يومياً فكان يختمه بالكامل كل ثلاثة أيام مرة. كان بعض الإخوة يفرحون لإكمالهم ختم القرآن مرتين في هذا الشهر المبارك، ثم عرفوا لاحقاً إن الإمام يختمه عشر مرات أو إحدى عشرة ختمه في هذا الشهر المبارك).

□

النقطة الثالثة: طبيعة العلاقة بالتلاوة:

نستطيع أن نُعبر:

- أولاً: بأنَّ هناك حالة من الانهماك في التلاوة، فهذا التردد الدائم بين فترة وأخرى يكشف عن علاقة قوية، واتصال دائم، ففي كل وقت يرغب في الاستماع للمحبوب الأوحد.
- ثانياً: "يلتزم الإمام ـ ومنذ مقتبل عمره الشريف ـ بتلاوة مقدار من القرآن كل يوم، وهذا الأمر جزء ثابت في برنامجه اليومي المنظم بدقة، فهو يخصص فيه ساعة للإقبال على تلاوة القرآن والأنس به، لا يدخل عليه فيها أحد، ولا يجيب فيها على سؤال أحد، فكان يتوجه بكل وجوده للقراءة والتدبر في آياته ومعانيه".
- ثالثاً: تقول السيدة فاطمة الطباطبائي (زوجة السيد أحمد ابن الإمام): (أصيب الإمام ـ أيام إقامتنا في النجف الأشرف ـ بمرض في عينه، فجاء الطبيب وفحصها ثم قال: استريحوا من تلاوة القرآن بضعة أيام! ابتسم الإمام وقال: "أيها الطبيب، أنا أريد العين من أجل تلاوة القرآن فما جدوى أن تكون لي عين ولا أتلو بها القرآن؟! عليك أن تقوم بما يمكنني من تلاوة القرآن).
- رابعاً: لجوءه للقرآن عند المصيبة، فلما سمع بخبر شهادة ولده السيد مُصطفى (رحمه الله) توجه "بكل صبر واستقامة" إلى الجلوس في زاوية من البيت، وأقبل على تلاوة القرآن الكريم.
- خامساً: يقول حجة الإسلام والمسلمين رسولي محلاتي: (كان الإمام ملتزماً بتلاوة عدد صفحات من القرآن (حزب كامل أو أكثر) كل يوم، ولم يترك تلاوة القرآن ونافلة الليل حتى في أيام حياته الأخيرة وحتى في الليلة التي أجريت له العملية الجراحية الأخيرة في صبيحتها).

- سادساً : (بعد هبوط الطائرة السمتية.. رتب الأفراد المسؤولون عن تنظيم المراسم، حزاماً بشرياً متصلاً إلى محل المنصة للإحاطة بالإمام وحمايته، ثم أستقر الإمام ومعه الحاج السيد أحمد وعدد من العلماء على المنصة، وفي بداية المراسم قرأ أحد الأحداث ـ بصوت جميل ـ آيات من القرآن مع ترجمتها بالفارسية، وكلما أراد إنهاء التلاوة خاطبه الإمام بالقول: "اقرأ يا عزيزي).

النقطة الرابعة : احترام الإمام للقرآن :

يقول سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان :

(شاهدت مراراً حالة لطيفة في الإمام فيما يرتبط باحترامه للقرآن، فقد كنا أحياناً نحمل في الحقيبة بعض المصاحف لأسباب معينة ونحن ندخل على الإمام لإنجاز أعمالنا، وكنا نخرجها من الحقيبة ونضعها على الأرض مع المحتويات الأخرى للحقيبة دونما التفات لذلك فكان الإمام يقول لنا فوراً: (لا تضعوا المصحف على الأرض)، ثم يبادر إلى رفعه ووضعه على المنضدة التي بجواره، ثم انتبهنا إلى انه كان يفعل ذلك لكي لا يكون المصحف موضوعاً على الأرض وهو يجلس على الكرسي).

ويقول سماحته أيضاً: (جاءوا يوماً بعدد من المصاحف الصغيرة التي كانت تضم عدداً قليلاً من السور القرآنية لكي يوقع عليها الإمام قبل إهدائها إلى المقاتلين في الجبهات، فأخذ أحد السادة الكيس الذي يحتوي المصاحف وقربه من الإمام الذي تصوّر إن في الكيس قطعاً سكرية وأمثالها مما اعتدنا تقديمها له لكي يمسح عليها تبركاً، ولذلك فقد مدّ يده ليمسح على الكيس، لكنه لما وقع بصره على داخل الكيس قال: (ما هذه ؟) قلنا: إنها مصاحف صغيرة جئنا بها لكي تباركها؟ وعندها انتفض في حالة من الاضطراب الشديد لم نرها من قبل أبداً،

وسحب يده بشدة خلاف سكينته المعهودة وقال بلهجة حادة معاتباً لنا: "أنا أبارك القرآن؟! ما هذه الأفعال التي تقومون بها؟).

من كلمات الإمام الراحل عن القرآن الكريم :

- القرآن هو كتاب بناء الإنسان، ورسالة الإسلام هي رسالة بناء الإنسان من جميع النواحي.
- إنّ القرآن هو الذي يهدينا إلى الأهداف السامية التي تطلبها ذواتنا ـ بالفطرة ـ ونحن نجهل ذلك.
- على المسلمين أن لا يغفلوا عن الأنس بالقرآن الكريم، هذه الصحيفة الإلهية، وكتاب الهداية، فكلّ ما كان لدى المسلمين وما سيكون ليس سوى غيض من البركات الفياضة لهذا الكتاب المقدّس.
- اجعلوا من تدريس القرآن ـ بمختلف فنونه ـ ديناً لكم، وهدفاً سامياً تبغونه.
- كلما طبّقتم شيئاً من القرآن، تفيأتم بظلّ لوائه الوارف، فلواء القرآن يختلف عن ألوية الآخرين، لواء القرآن هو العمل به.
- يجب أن يكون القرآن حاضراً في جميع شؤون حياتنا.
- هو الكتاب الذي ينهل منه العامي والعالم والفيلسوف والعارف والفقيه على اختلاف مشاربهم.
- إنّ مشكلة المسلمين الكبرى تتمثل في هجرهم القرآن، والانضواء تحت لواء الآخرين.
- القرآن هو ملاذنا جميعاً.

أهل البيت في فكر الامام الخميني قدس سره

نحن نفخر بأن أئمتنا هم الأئمة المعصومون بدءً من علي بن أبي طالب عليه السلام وختماً بمنقذ البشرية حضرة المهدي صاحب الزمان عليه وعلى آبائه آلاف التحية والسلام، وهو بمشيئة الله القدير، حيّ يراقب الأمور.

نحن نفخر بأن الأدعية وهي القرآن الصاعد وفيها الحياة إنما هي من فيض أئمتنا المعصومين. وعندنا مناجاة الأئمة الشعبانية ودعاء الحسين بن علي عليه السلام في عرفات، وعندنا الصحيفة السجادية زبور آل محمد والصحيفة الفاطمية وهي الكتاب الذي ألهمه الله تعالى للزهراء المرضية عليها السلام.

نحن نفخر بأن منا باقر العلوم وهو أعظم شخصية تاريخية ما عرفها ولا يستطيع معرفتها إلا الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومون عليهم السلام.

نحن نفخر بأن مذهبنا جعفري، ففقهنا هذا البحر المعطاء بلا حد وهو واحد من آثاره.

نحن نفخر بجميع الأئمة المعصومين عليهم صلوات الله ونلتزم بإتباعهم. نحن نفخر بأن أئمتنا المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم قضوا أعمارهم سجناً وتشريداً في سبيل رفعة الإسلام وتحقيق أهداف القرآن الكريم والتي أحدها تأسيس حكومة العدل[1].

إن من الصعب جداً أن يصل المرء حينما يقرأ صحف الوجود المقدّس لأهل البيت عليهم السلام، مولداً وعروجاً، نبوة وولاية، مقاماً وغايةً، إلى حدٍ محدود. كيف؟! وهم الأفق اللامتناهي الذي عجزت عن إدراكه الألباب وأن يحويه كتاب.

---

(١) الوصية الخالدة للإمام قدس سره: ص٨-٩.

يزداد الأمر صعوبة حين تسبح في بحر الإمام الخميني قدس سره، ومنه تعبر إلى كل العالم، عالم الحقيقة الخالدة والنور الأبدي الذي لا يخبو أو يطفأ حيث يقول قدس سره: (لم يكن حضرة أمير المؤمنين عليه السلام من الجهة المعنوية شخصاً مفرداً، بل كان كل العالم)[١].

ويستوقفك الزمن في موقف جامع بين تجلي النور الفاطمي للسيدة الجليلة مليكة التكوين صلوات الله عليها وولادة الإمام قدس سره المعلن من أعماق روحه: إن المعنويات والتجليات الملكوتية الإلهية مجتمعة كلها في هذا الموجود السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام[٢].

تنتهي بعد هذا السير الآفاقي، من يقرأ في فكر من، ومن ذا ينال معرفة من، ومن يصف من؟ !

فإلى المعاني التي لا تدرك والمعالي التي لا تملك، مع الاعتراف بالعجز والتقصير.

(جلّ مقام آل محمد عن وصف الواصفين ونعت الناعتين وأن يقاس بهم أحد من العالمين)[٣].

والأمل هو التسديد والتأييد

مقام أهل البيت عليهم السلام مقام لا ينال أو يعرف :

حيث يكون الحديث عن مقام آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم تغدو المعاني صعبة الإدراك بعيدة المنال، كيف لا وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (فمن ذا ينال معرفتنا، أو بيان درجتنا، أو يشهد كرامتنا، أو يدرك منزلتنا؟ حارت الألباب والعقول، وتاهت الأفهام فيما أقول، تصاغرت العظماء،

---

(١) مجلة بقية الله. العدد:١٠٣.ص٦٣.

(٢) الكلمات القصار. ص٥٥.

(٣) مشارق أنوار اليقين، ص١١٤

وتقاصرت العلماء، وكلّت الشعراء، وخرست البلغاء، وألكنت الخطباء، وعجزت الفصحاء، وتواضعت الأرض والسماء عن وصف شأن الأولياء،... جلّ مقام آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن وصف الواصفين، ونعت الناعتين، وأن يقاس بهم أحد من العالمين) [١].

لذلك عبّر الإمام قدس سره في أكثر من موضع أثناء أبحاثه العرفانية والأخلاقية عن العجز وعدم القدرة لدى أي إنسان للإحاطة بحقيقتهم لمعرفة منزلتهم عليهم السلام والوقوف على أسرارهم إلا أنفسهم عليهم السلام. يقول قدس سره: (إن مقام هؤلاء الأولياء عليهم السلام أسمى وأرفع من أن تنال آمال أهل المعرفة أطراف كبرياء جلالهم وجمالهم، وأن تبلغ خطوات معرفة أهل القلوب ذروة كمالهم [٢]... إن لأهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم مقاماً روحانياً شامخاً، في السير المعنوي إلى الله، يفوق قدرة استيعاب الإنسان حتى من الناحية العلمية، وأسمى من عقول ذوي العقول وأعظم من شهود أصحاب العرفان)[٣].

ولم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم صلوات الله عليهم إلا أنفسهم عليهم السلام، معتبراً "أن أرقى ما يصل إليه الذي يصف نبذة من مقام الولاية لهم[٤] هو كوصف الخفّاش الشمس المضيئة للعالم [٥].

مع هذا كلّه، فما هو المقام الذي تحدّث عنه قدس سره معرباً من خلاله عن صميم نظرته الإلهية لهم وكاشفاً النقاب عن أمور جهلها الكثيرون من أهل الزمان.

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١١٤.
(٢) الأربعون حديثاً، ص٥٩٧.
(٣) المصدر نفسه، ص٦٠٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٦٠٥.
(٥) المصدر نفسه، ص٥٩٧.

بالإمكان إيجازها على الشكل التالي :

١. ظاهرهم الولاية وباطنهم النبوة :

فقد جاء في مقدمة شرحه لدعاء السحر ما هو صريح في هذا المعنى لا يقبل التأويل، حيث قال قدس سره :

(مفتاح الدائرة ومختمها، ومؤخر السلسلة ومقدمها، محمد صلى الله عليه وآله وسلم المصطفين من الله، الذين بهم فتح الله وبمعرفتهم عرف الله، الأسباب المتصلة بين سماء الإلهية وأراضي الخلقية، الظاهر فيهم الولاية، والباطن فيهم النبوة والرسالة، الهادين بالهداية التكوينية سراً والتشريعية جهراً، الآيات التامات، الأنوار الباهرات) [١].

٢. عندهم روح القدس :

أثناء حديثه عن نورانيتهم عليهم السلام التي يفتقر إدراكها من الإنسان إلى نورانية باطنية، ينتهي قدس سره إلى شرح مقام روح القدس الذي هو عبارة عن المكانة والقدرة والإحاطة التي لم يصل إليها أقرب المقربين من ملائكة الله تعالى كجبرائيل عليه السلام.

يقول قدس سره: (إن لهم مقاماً شامخاً من الروحانية يدعي بـ "روح القدس"، من خلاله يتمتعون بالإحاطة القيّومية لجميع الكائنات حتى ذراتها الصغيرة جداً، ولا توجد فيها الغفلة والنوم والسهولة والنسيان وكافة الحوادث والتغيرات والنقائص الملكية، بل تكون من عالم الغيب المجرد، والجبروت الأعظم.. إن تلك الروح المجرّدة الكاملة، أعظم من جبرائيل وميكائيل عليهما السلام رغم أنهم أعظم القاطنين في مقام قرب الجبروت) [٢].

٣. شركاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مقامه:

---

(١) شرح دعاء السحر ص١٨-١٩.

(٢) الأربعون حديثاً. ص٥٩٧

يقول قدس سره: (يستفاد من الأحاديث الشريفة أنهم صلوات الله عليهم يشاركون الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في مقام الروحانية، وأن أنوارهم المطهرة كانت تسبّح وتقدس للذات المتعال قبل خلق العالم) [١].

جاء في الحديث عن المفضّل أنه قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال : يا مفضل، كنا عند ربنا، ليس عنده أحد غيرنا في ظلة خضراء، نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده، وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء فخلق ما شاء من الملائكة وغيرهم ثم أنهى علم ذلك إلينا) [٢].

ويقول قدس سره : (وهم عليهم السلام من جهة الولاية متحدون، أولنا محمد أوسطنا محمد آخرنا محمد كلنا نور واحد) [٣].

٤. لديهم الاسم الأعظم :

يقول قدس سره: (إن الأحاديث المنقولة في طينة أبدانهم وخلق أرواحهم ونفوسهم وفيما منحوا من الاسم الأعظم والعلوم الغيبية الإلهية من علوم الأنبياء والملائكة، ومما هو أعظم مما لا يخطر على بال أحد) [٤].

ويؤكد على ثبوت ذلك لهم عليهم السلام في موضع آخر من كلامه أثناء الحديث عن الاسم الأعظم في مقام الألوهية وتجلّيه ضمن شرح دعاء السحر، قائلاً: (لا يتجلى هذا الاسم بحسب الحقيقة تاماً إلا لنفسه [٥] ولمن ارتضى [٦] من عباده وهو مظهره التام، أي صورة الحقيقة الإنسانية التي هي صورة جميع

---

(١)المصدر نفسه، ص٦٠٤.

(٢) أصول الكافي، ج١ / كتاب مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. الحديث ٧.

(٣) شرح دعاء السحر، ص٦٤.

(٤) الأربعون حديثاً، ص٦٠٤.

(٥) أي لله عزّ وجل.

(٦) أي النبي وأهل بيته عليهم السلام.

العوالم وهي مربوب هذا الاسم، وليس في النوع الإنساني أحد يتجلى له هذا الاسم على ما هو عليه إلا الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وأوليائه الذين يتحدون معه في الروحانية، وذلك هو الغيب الذي استثنى منه من ارتضى من عباده. وفي رواية الكافي: والله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ممن ارتضى من عباده)[1].

مقاماتهم عليهم السلام من أصول المذهب :

هناك أمران يشدّد الإمام قدس سره على معرفتها والتمسك بهما حول رؤيته لأهل بيت العصمة عليهم السلام بحيث ان إنكارهما يؤدي إلى خللٍ عقيدي والانحراف عن الأصول أو الضروريات التي تؤدي إلى الانخراط في زمرة الضالين عن طريق الهداية والاستقامة والثبات :

الأمر الأول : أنه لا يصل أحد إلى المراتب المعنوية التي وصل إليها

أئمتنا الأبرار صلوات الله عليهم، حيث لا يمكن ذلك لأي كان سواء كان نبياً مرسلاً (باستثناء خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم) أو ملكاً مقرباً، ويعتبر قدس سره أن هذا الأمر من ضروريّات المذهب.

يقول قدس سره: (وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله، وقد قال جبرائيل عليه السلام كما ورد في روايات المعراج: "لو دنوت أنملة لاحترقت"، وقد ورد عنهم عليهم السلام: "إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل) [2].

---

(١) شرح دعاء السحر، ص٨٦.

(٢) الحكومة الإسلامية(الإمام الخميني قدس سره) ص٥٢. ط. المكتبة الإسلامية الكبرى

الأمر الثاني: أن هذه المقامات بأجمعها ثابتة لسيدة نساء العالمين صلوات الله عليها .

فمن يعتقد خلاف ذلك يعتبره الإمام قدس سره خارجاً عن مذهب الحق. يقول قدس سره: (كما أن هذه المقامات المعنوية ثابتة للزهراء عليها السلام مع أنها ليست بحاكم ولا خليفة ولا قاض، فهذه المقامات شيء آخر غير وظيفة الحكومة)، ولذا عندما نقول أن الزهراء عليها السلام ليست بقاضي ولا خليفة، فهذا لا يعني أنها مثلي ومثلكم، أو أنها لا تمتاز عنا معنوياً[1].

إن فاطمة عليها السلام إنسان بكل ما للكلمة من معنى. لو كانت رجلاً لكانت مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2].

وإضافة إلى ضرورة هذه المكانات لها فهي صلوات الله عليها على وجه خاص كان لها ما لم يكن لغيرها. فيجدر بنا أن نتعرف على قراءة الإمام قدس سره لمقامها المعنوي، نجوم كالفراشة حول مصباح النور الأبدي الذي لا يطفأ.

المقام المعنوي للزهراء عليها السلام :

يقول قدس سره: (إنني أعتبر نفسي قاصراً عن التحدث حول الصديقة سلام الله عليها، وأكتفي بذكر رواية واحدة وردت في الكافي الشريف ومنقولة بسند معتبر، وتلك الرواية هي أن الصادق عليه السلام قال: بأن فاطمة عليها السلام عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً في هذه الدنيا واشتد عليها الحزن، وكان جبرائيل الأمين يحضر عندها ويعزّيها ويخبرها بأمور عن المستقبل.. أنا أعتبر هذه الفضيلة فوق جميع الفضائل الأخرى التي ذكرت للزهراء عليها السلام ـ رغم عظمة الفضائل الأخرى ـ وهي لم تحصل لأي إنسان آخر سوى الأنبياء عليهم السلام، وليس كل الأنبياء، بل الطبقة الأولى منهم وبعض الأولياء

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) نهج البلاغة، ج٢، ص١٨٦.

الـذين كـانوا بمنـزلتهم، وبهـذا التعـبير أي المـراودة مـع جبرائيـل خـلال خمسـة وسبعين يوماً لم تحصل لحد الآن لأي إنسان آخر، وهذه من الفضائل الخاصة بالصديقة الزهراء سلام الله عليها)[١].

إن المعنويات والتجليات الملكوتية، الإلهية، الجبروتية، المُلكية والناسوتية مجتمعة كلها في هذا الموجود (السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام)[٢].

ثمّ يفصح الإمام قدس سره من خلال رؤيته الثاقبة النابعة من عرفانه الكامل واتصاله الحقيقي بأهل البيت عليهم السلام بأن التجلي لقدرة الله عزّ وجلّ متمثلة بهم وعلى رأسهم الصديقة الطاهرة صلوات الله عليها، حيث يتفضل قائلاً: (إن ذلك البيت الصغير الذي ضمّ فاطمة عليها السلام وأولئك الخمسة الذين تربوا فيه والذين يمثّلون في الواقع التجلي لكامل قدرة الله تعالى قدموا من الخدمات ما أدهشنا وأدهشكم، بل وأدهش البشر جميعاً) [٣].

المقام المعنوي لأمير المؤمنين عليه السلام :

إن كلامه قدس سره حول مقام الإمام علي عليه السلام غير محتاج إلى شرح وتعليق، بل هو بيان فصل ومعنى جامع، قلّما بلغ إلى ما قصده العظماء من أهل العلم، والأولون من أهل الفضل ويكفيك عبارته في مطلع وصفه للأمير عليه السلام، حيث يقول قدس سره: (علي عليه السلام هو التجلي العظيم لله)[٤].

ثم يتوجه قدس سره إلى الكشف عن الأبعاد الوجودية لأمير المؤمنين عليه السلام، قائلاً: (هذا العظيم يمتاز بشخصية ذات أبعاد كثيرة، ومظهر لاسم الجمع

---

(١) منهجية الثورة. ص١٢٠-١٢١.

(٢) منهجية الثورة. ص١٢٠-١٢١.

(٣)المصدر نفسه.

(٤) تفسير آية البسملة. ص٣١.

الإلهي الذي يحوي جميع الأسماء والصفات، فجميع الأسماء والصفات الإلهية في ظهورها وبروزها في الدنيا وفي العالم ظهرت في هذه الشخصية بواسطة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وإن أبعاده الخفية هي أكثر من تلك الأبعاد الظاهرة، وإن نفس هذه الأبعاد التي توصل إليها البشر، ويتوصل إليها قد اجتمعت في رجل واحد، في شخصية واحدة جهات متناقضة ومتضادة.. يمتلك جميع الأوصاف وجميع الكمالات[١].. لم يكن حضرة الأمير عليه السلام من الجهة المعنية شخصاً مفرداً، بل كان كل العالم)[٢].

بهذا الفهم البعيد في أعماقه والراقي في مبادئه بما يعطي لمقام الإمامة من جامعية وإحاطة أنكرها بعض الباحثين عن الحقيقة الذين لم يصلوا إلى ضالتهم اعتماداً على نظرتهم إلى الإمام عليه السلام باتجاه واحد وهو المقام الظاهري له، وهو ما دعاهم إلى الجرأة عليه في الماضي والحاضر مع إغفالهم لمقامه الباطني ومكانته المعنوية، وجهلهم بكل المقامات التي تحدّث عنها الإمام قدس سره. فهل كانوا يفهمون عليً عليه السلام على أنه التجلي الإلهي العظيم أو أنه كل العالم يا ترى؟

لهذا يظهر الإمام قدس سره تأسفه قائلاً: (يجب علينا أن نأسف لأن الأيدي الخائنة والحروب التي أشعلوها مثيري الفتن لم يسمحوا لبروز الشخصية الفذة لهذا الرجل العظيم في أبعادها المختلفة [٣]. فإذا كان الكثير من أبعاده الظاهرية خافياً عنا، فكيف بالأبعاد المعنوية التي لا ينال معرفة حقائقها أحد من العالمين كما جاء في الأحاديث الشريفة).

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية. ص١١٧.

(٢) مجلة بقية الله. العدد ١٠٣. ص٦٣.

(٣) منهجية الثورة الإسلامية. ص١١٦.

إن ما تقدم من البيان حول مقام مولى الموحدين وزوجه الصديقة الطاهرة عليها السلام كان إنموذجاً للإطلالة على رؤية الإمام الخميني قدس سره لهم صلوات الله عليهم من جدهم إلى خاتمهم القائم المهدي عجل الله فرجه، وإنما كان التخصيص في الحديث عنهما عليهما السلام لأنهما الرأس في سلسلة دائرة العصمة والولاية المحمدية العلوية. كما يفهم من مجموع كلامه قدس سره بل من تصريحه ثوابت عديدة منها:

الولاية التكوينية :

يقول قدس سره: (إن للإمام عليه السلام خلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون)[١].

ويقول أيضاً في حديث عن ولاية الأمير عليه السلام: (إنه عليه السلام صاحب الولاية المطلقة الكلية، والولاية باطن الخلافة... فهو عليه السلام قائم على كل نفس بما كسبت ومع كل الأشياء)[٢].

علم الكتاب:

يشير إلى ذلك في حديثه عن نزول الكتاب التكويني قائلاً: إن هذا الكتاب التكويني الإلهي وأولياءه الذين كلهم كتب سمائية نازلون من لدن حكيم عليم وحاملون للقرآن التدويني، لم يكن أحد حاملاً بظاهره وباطنه إلا هؤلاء الأولياء المرضيين كما ورد عن طريقهم عليهم السلام.

عن أبي عبد الله عليه السلام: (وعندنا والله علم الكتاب كلّه)[٣].

(١) الحكومة الإسلامية، ص٥٢.

(٢) مصباح الهداية. ص١٤٢.

(٣) شرح دعاء السحر، ص٧١.

مقام الزهراء عليها السلام في كلمات الامام الخميني قدس سره

يقول الإمام روح الله الموسوي الخميني (قدس سره الشريف) :

(إن مختلف الأبعاد التي يمكن تصورها للمرأة وللإنسان تجسدت في شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام . لم تكن الزهراء امرأة عادية ، كانت امرأة روحانية... امرأة ملكوتية... كانت إنسانا بتمام معنى الكلمة... نسخة إنسانية متكاملة... امرأة حقيقية كاملة... حقيقة الإنسان الكامل .

لم تكن امرأة عادية بل هي كائن ملكوتي تجلى في الوجود بصورة إنسان... بل كائن إلهي جبروتي ظهر على هيئة امرأة . إذن يوم غد هو يوم المرأة، فقد اجتمعت في هذه المرأة - التي يصادف غدا ذكرى ميلادها - جميع الخصال الكمالية المتصورة للإنسان وللمرأة . إنها المرأة التي تتحلى بجميع خصال الأنبياء... المرأة التي لو كانت رجلا لكان نبيا ... ولو كانت رجلا لكانت بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله . غدا يوم المرأة ، حيث ولدت جميع أبعاد منزلتها وشخصيتها . غدا ذكرى مولد الكائن الذي اجتمعت فيه المعنويات والمظاهر الملكوتية والإلهية والجبروتية والملكية والإنسية . غدا ميلاد الإنسان بجميع ما للإنسانية من معنى . غدا ميلاد امرأة بكل ما تحمله كلمة المرأة من معنى إيجابي .

إن المرأة تتسم بأبعاد مختلفة كما هو الرجل ، وإن هذا المظهر الصوري الطبيعي يمثل أدنى مراتب الإنسان ، أدنى مراتب المرأة وأدنى مراتب الرجل . بيد أن الإنسان يسمو في مدارج الكمال انطلاقا من هذه المرتبة المتدنية ، فهو في حركة دؤوبة من مرتبة الطبيعة إلى مرتبة الغيب ، إلى الفناء في الألوهية . وإن هذا المعنى متحقق في الصديقة الزهراء عليها السلام التي انطلقت في حركتها من

مرتبة الطبيعة ، وطوت مسيرتها التكاملية بالقدرة الإلهية بالمدد الغيبي وبتربية رسول الله ، لتصل إلى مرتبة دونها الجميع)[١] .

(امرأة هي مفخرة بيت النبوة وتسطع كالشمس على جبين الإسلام العزيز... امرأة تماثل فضائلها فضائل الرسول الأكرم والعترة الطاهرة غير المتناهية... امرأة لا يفي حقها من الثناء كل من يعرفها مهما كانت نظرته ومهما ذكر ، لان الأحاديث التي وصلتنا عن بيت النبوة هي على قدر أفهام المخاطبين واستيعابهم . فمن غير الممكن صب البحر في جرة . ومهما تحدث عنها الآخرون فهو على قدر فهمهم ولا يضاهي منزلتها . إذن فمن الأولى أن نمر سريعا من هذا الوادي العجيب)[٢] .

[وفي الأساس فإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام - وبحسب رواياتنا - كانوا أنوارا في ظل العرش قبل هذا العالم ، وهم يتميزون عن سائر الناس في انعقاد النطفة والطينة ، ولهم من المقامات إلى ما شاء الله وذلك كقول جبرائيل عليه السلام في روايات المعراج : (لو دنوت أنملة لاحترقت) ، أو كقولهم عليهم السلام : (إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل) ، فوجود مقامات كهذه للأئمة من أصول مذهبنا وذلك بغض النظر عن موضوع الحكومة . كما أن هذه المقامات المعنوية ثابتة للزهراء عليها السلام مع أنها ليست بحاكم ولا خليفة ولا قاض ، فهذه المقامات شيء آخر غير وظيفة الحكومة ، ولذا عندما نقول أن الزهراء عليها السلام ليست بقاض ولا خليفة فهذا لا يعني أنها مثلي ومثلكم أو أنها لا تمتاز عنا معنويا][٣] .

---

(١) مكانة المرأة في فكر الامام الخميني : ص ٢٣ ، عن خطاب له بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٧٩ م .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٤ ، من كلمة بتاريخ ٥ / ٥ / ١٩٨٠ م .

(٣) الحكومة الإسلامية : ص ٨٤ .

(إنه يوم عظيم ... يوم أطلت على الدنيا امرأة تضاهي كل الرجال ... امرأة هي مثال الإنسان ، امرأة جسدت الهوية الإنسانية كاملة ، فهو إذن يوم عظيم يومكن أيتها السيدات)[١].

(أبارك للشعب الإيراني العظيم لا سيما النساء المحترمات يوم المرأة المبارك، إنه يوم شريف للعنصر المتألق الذي هو أساس الفضائل الإنسانية والقيم السامية لخليفة الله في الأرض ، وما هو أكبر بركة وأعظم قيمة هذا الاختيار الموفق للعشرين من جمادى الآخرة ذكرى ميلاد المرأة المفخرة ، مفخرة الوجود ومعجزة التاريخ ، يوما للمرأة...)[٢].

(كان لدينا في صدر الإسلام كوخ ضم بين أطرافه أربعة أو خمسة أشخاص ، إنه كوخ فاطمة عليها السلام، وكان أشد بساطة حتى من هذه الأكواخ. ولكن ما هي بركاته ؟ لقد بلغت بركات هذا الكوخ ذي الأفراد المعدودين درجة من العظمة غطت نورانية العالم. وليس من السهل على الإنسان أن يحيط بتلك البركات. إن سكنة هذا الكوخ البسيط اتسموا من الناحية المعنوية بمنزلة سامية لم تبلغها حتى يد الملكوتيين)[٣].

(إن بيت فاطمة المتواضع هذا ، ومن تربوا في رحاب هذا البيت ، الذين بلغ عددهم بلغة الأرقام خمسة ، وبلغة الواقع ما يجسد قدرة الحق المتعال كلها ، أدوا خدمات جليلة أثارت إعجاب البشرية جمعاء)[٤].

وقد أسهبت في نقل كلمات الامام الخميني والاستدلال بها دون غيره من علماء الطائفة (رحم الله الماضين وحفظ الباقين) ، لأنه قدس سره أبلغ وأتم حجة على منكري فضائل الزهراء عليها السلام ومقاماتها ، الذين قد يتسترون

---

(١) مكانة المرأة في فكر الامام الخميني : ص ٢٠ ، عن حديث بتاريخ ١٧ / ٥ / ١٩٨٠ .

(٢) المصدر السابق : من بيان بتاريخ ١٤ / ٤ / ١٩٨٢ .

(٣) المصدر السابق : من حديث بتاريخ ٢١ / ٣ / ١٩٨٣ .

(٤) المصدر السابق : من حديث بتاريخ ٩ / ٣ / ١٩٨٢ .

خلف ذرائع وأعذار واهية يوارون بها انحرافاتهم ، من قبيل : مستلزمات الواقع الحركي ومقتضيات الحالة السياسية والثورية ، وهكذا ما قد يطعنون به بقية علماء الطائفة من (التحجر) و(الرجعية) التي يعزون إليها الأفكار الولائية والعقائد الحقة (التي يسمونها - سخرية واستهزاءا - : خرافات وأساطير !).

فهذا الخميني رجل الواقع وإمام الدين والحياة ، قمة الثورية ، ومضرب المثل في دخول المعترك السياسي ومواكبة العصر والإحاطة بمتطلباته... ولكنه مع كل ذلك أبى التخلي عن عقائده ، التي هي دينه. والحق أن نقول أن علمه وفقاهته أبت له إلا الإذعان للحجة والخضوع للبرهان والانقياد للدليل ، وأولئك لا علم لهم ولا فقاهة ، وإن ألموا بالنزر اليسير تراه مشوبا بل مشحونا بركاب من الأفكار الغربية ومخلفات المادية ليكون هجينا مستوردا لا صلة له بالإسلام ولا قرابة !... (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) ؟ !

الإمام الخميني قدس سره وزيارة عاشوراء

إن زيارة عاشوراء من أعظم الزيارات ،لاحتوائها على المفاهيم الجهادية والتعاليم الثورية ، وقد واظب عليها مراجعنا العظام ، وفي طليعتهم إمام المجاهدين ومحي مدرسة عاشوراء في هذا العصر الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني قدس سره ، فقد واظب على قراءتها كما واظب المجاهدون في الجبهات على قراءتها ، بل إن أحد أسباب انتصار هؤلاء المجاهدون هو هذه الزيارة الشريفة ، ولكن للأسف الشديد وفي الآونة الأخيرة حاول البعض التشكيك في هذه الزيارة الشريفة.

فكان من الواجب علينا الدفاع عن هذه الزيارة وبيان علاقة الإمام الخميني قدس سره بهذه الزيارة ، لذا فقد قمنا بجمع القصص التي يرويها أصحاب الإمام ورفقاء دربه حول علاقة الإمام بزيارة عاشوراء.

١. زيارة عاشوراء في أرض الكفر :

يقول حجة الإسلام والمسلمين فردوسي بور: اليوم الأول من المحرم في (نوفل لوشاتو) كان يصادف الليلة الأولى التي كان فيها الإيرانيون يكبرون فوق السطوح، في هذه الليلة أتصل شخص من طهران وقال سأضع سماعة الهاتف قرب النافذة حتى تسمعون صوت تكبير الناس مع صوت إطلاق الأعيرة النارية، سجلت الصوت وبعثته للسيد الإمام، كان السيد الإمام واقفا في الغرفة في يده السبحة[1] ومشغول بذكر زيارة عاشوراء، - في الوقت الذي لم أكن ملتفتا لمسائل شهر محرم- كان الإمام يقرأ زيارة عاشوراء في مكان يمكن أن يكون أول مرة قد قرأت زيارة عاشوراء فيه[2].

---

(١) كان الإمام يستخدم السبحة في زيارة عاشوراء لضبط اللعن والسلام مئة مرة كما كان الإمام ملتزما بذلك كما سيأتي.

(٢) روزنامه رسالت ، بتاريخ ١٣٦٨/٤/١٤ .

٢ـ زيارة عاشوراء على رأس البرامج :

يقول حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر محتشمي: الكثير من الأشخاص عندما يكونون تحت ظروف خاصة يتغير وضعهم وبرامجهم ، ولكن السيد الإمام (قدس سره) في كل هذه الأوضاع لم يتغير برنامجه، مثلا السيد الإمام دائما كان في العشرة الأولى من محرم يقرأ زيارة عاشوراء.

فطوال الأربعة عشر عاما التي قضاها في النجف الأشرف: كان الإمام في كل سنة في العشرة الأولى من المحرم في الساعة التاسعة صباحا يذهب إلى حرم أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) ويقرأ زيارة أمين الله وزيارة عاشوراء، وهذا الأمر كان يستمر إلى اليوم الثامن من المحرم. بعد هذا كان الإمام يتشرف إلى زيارة كربلاء ويطبق نفس البرنامج في حرم الإمام الحسين (عليه أفضل الصلاة والسلام).

وعندما كان الإمام في باريس: في سنة ٥٧ هجري شمسي، كان احد الأخوان يأتي في كل يوم في الساعة التاسعة ويقوم بإيصال الأخبار والتقارير إلى السيد الإمام (قدس سره)، وفي أحد الأيام على طبق العادة جئت في الساعة التاسعة ودخلت البيت فرأيت السيد الإمام مشغول بزيارة عاشوراء- حيث كان اليوم الأول من المحرم - وبعدما عرضت عليه الأخبار والتقارير، قال لي السيد الإمام : سوف يتغير البرنامج من الغد ، وأرجوا أن لا يأتي في الساعة التاسعة أحد لعرض الأخبار والتقارير، فليكن ذلك إما قبل زيارة عاشوراء أو بعدها[1].

٣. زيارة عاشوراء في حالة المشي :

يقول حجة الإسلام والمسلمين السيد رسولي المحلاتي: عندما كان السيد الإمام (قدس سره) يزور زيارة عاشوراء غالبا كان يقرأ اللعن والسلام مئة مرة

---

(١) كتاب برداشتهاي از سيره أي امام خميني ج٣، ص ٤١ و٤٢ .

وهو في حالة المشي، كما انه كان يستمر في قراءة زيارة عاشوراء من أول العشرة إلى أربعين يوم[١].

٤. زيارة عاشوراء فوق سطح البيت :

يقول خادم السيد الإمام قدس سره (مشهدي جعف) : يقول أحد الإخوة في أحد الأيام وقريب من وقت الظهر سمعت صوت نحيب وبكاء ، فبدأت بالبحث عن الصوت فرأيت السيد الإمام فوق سطح بيته مشغول بقراءة زيارة عاشوراء وهو يذرف الدموع[٢].

٥. عدم ترك قراءة زيارة عاشوراء :

يقول حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الغيوري: تشرفت في إحدى الجلسات الخصوصية بحضرة السيد الإمام (قدس سره) ، ودار الحديث حول الدعاء وتكلم السيد الإمام حول ذلك، ومن كلامه علمت أنه (قدس سره) سنوات مديدة لم يترك زيارة عاشوراء، كما انه عندما كان في النجف الأشرف كان كل ليلة في وقت معين يزور أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام)، وقليل جدا ما اتفق في بعض الليالي ترك ذلك، وكان أيضا كثيرا ما يقرأ الزيارة الجامعة وزيارة أمين الله.

وعندما كان الإمام يقرأ القرآن كان يجلس جلسة مؤدبة، وكان يتدبر في آيات القرآن ، وكان مقيدا في أيام الوفيات بالمشاركة في مجالس التعزية[٣].

٦. زيارة عاشوراء في الساعة التاسعة :

يقول السيد رحيم ميريان: كان السيد الإمام (قدس سره) في كل أسبوع على رأس الساعة الثامنة والنصف صباحا في يوم الجمعة يستحم ويخرج من

---

(١) مجلة الحوزة العدد ٣٧ و٣٨ .

(٢) مجلة اميد انقلاب العدد ٢٠٥ .

(٣) كتاب صحيفة دل ص ١٠٩ .

الحمام في الساعة التاسعة ويشرع في قراءة زيارة عاشوراء مباشرة ، فإن كان في فصل الشتاء كان يقرأها في داخل الغرفة، وإن كان في فصل الربيع كان يضع الكرسي في ساحة البيت ويقرأها)[1].

٧. زيارة عاشوراء مع السلام واللعن مئة مرة:

يقول الأستاذ مصطفى الوجداني: كان سماحة الإمام في أغلب أيام الزيارة إلى جوار قبر الإمام الحسين (عليه أفضل الصلاة والسلام) ، وخلال عشرة المحرم كان يقرأ كل يوم زيارة عاشوراء ، مع تكرار كل من السلام واللعن الواردين في نهايتها مئة مرة[2].

(١) برداشت هايي از سيره امام خميني ج٢ ص ١٥٩ .

(٢) المذكرات الخاصة ج٢ ص ١٥٢ .

عاشوراء الحسين عليه السلام
في فكر الإمام الخميني قدس سره

النهضة في سبيل فضح السلطة وكشف زيفها، وهو لهذا يقول: (سيد الشهداء هو سر بقاء الإسلام)، ويقول أيضاً: (ولولا نهضة سيد الشهداء "عليه السلام" لما استطعنا تحقيق النصر في ثورتنا هذه)، ويشدد الإمام الخميني (قدس سره) في معظم المناسبات التي التقى فيها العلماء والمبلّغين والمفكرين والأساتذة من داخل إيران وخارجها على أهمية عاشوراء والمجالس الحسينية ودورها في تحقيق الثورة ضدّ الشاه وفي ثبات الشباب الإيراني أثناء الحرب واندفاعه للتضحية والدفاع عن الإسلام.

لقد قرأ الإمام الخميني (قدس سره) ثورة عاشوراء بعين حسينية وهي قراءة تختلف نتائجها ومعطياتها عن بعض القراءات الثورية، ذلك لأنّ الإمام الخميني (قدس سره) قد استخدم قراءته هذه في برمجة تحركاته الثورية وبما يناسب متطلبات الأمة لمواجهة كل المستجدات، حيث أدرك أن انطلاقته لا تتم إلا في إطار حسيني ودون ذلك لم تستطع الأمة من إعادة ذاتها وبرمجة إصلاحاتها.

ولقد فهم الإمام الخميني (قدس سره) أنه من خلال معطيات ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) تتبلور جميع الرؤى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولكل العصور، ومن خلالها تنفتح آفاق الجهاد والكفاح لمواجهة أشرس هجمات الأعداء، فكان يقرأها قراءة تطبيقية، وكان يعي أن الأمة متى ما ذابت في ثورة الحسين (عليه السلام)، كانت حسينية، في فكرها، في تحركها، وفي نظراتها المستقبلية. ثم انتهج نهجاً آخر في تسليط الأضواء على ثورة عاشوراء ليترشّح من خلالها على الأمة عطاءات فكر الحسين (عليه السلام).

لقد كانت مفاهيم عاشوراء تفتح على الإمام الخميني (قدس سره) بصيرة إسلامية خالصة، ليعرف الإسلام بصيغته المحمدية الأصيلة وأيضاً لقد أدرك

الإمام الخميني (قدس سره) الباطن السياسي العميق للظاهر الديني الذي دفع الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء، كما أدرك أن عظم التضحيات يدفع الأمور إلى الذروة وأن الهدف المنشود لا يقاس بحجم الدماء أو الشهداء، ما دامت النهضة وجوباً في سبيل الإسلام وشهادة في فضح السلطة السياسية والدينية التي أو شكت القضاء على الدين بسبب الفساد الشخصي والاجتماعي الذي مارسه هؤلاء.

ولا يمكن أن نفهم هذا التأكيد على عاشوراء واستلهام دروسها من جانب الإمام الخميني (قدس سره) إلا من خلال إدراكه لهذا الترابط العميق بين ظاهرها الديني وباطنها السياسي، بين النهضة في سبيل الإسلام، والنهضة في سبيل فضح السلطة وكشف زيفها، وهو لهذا يقول: (سيد الشهداء هو سر بقاء الإسلام)، ويقول أيضاً: (ولولا نهضة سيد الشهداء (عليه السلام) لما استطعنا تحقيق النصر في ثورتنا هذه) .

ومن منطلق الفكر السياسي للإمام الخميني (قدس سره) بالنسبة إلى نهضة عاشوراء وأخذ الإمام يحث العلماء والمبلغين أن يقوموا بدورهم الرّسالي في موسم محرم وصفر وكان يقول: (محرم وصفر هما اللذان حفظا الإسلام)، وينبغي لنا إحياء محرّم وصفر بذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام فبذكر مصائبهم بقي هذا الدين حياً حتى الآن، وكان يقول: (كل ما عندنا هو من محرم وصفر).

وفي إحدى جلساته ومحاضراته خاطب المبلغين والخطباء بقوله: (إن على المبلغين الأعزاء والعلماء الخطباء أن يبيّنوا للناس – خلال الاجتماعات والمجالس التي تعقد في شهري محرم وصفر – القضايا المعاصرة، أن يبيّنوا لهم القضايا السياسية والاجتماعية ويبيّنوا لهم تكليفهم في مثل هذا الوقت الذي نعاني فيه من

كل هؤلاء الأعداء، وعليهم أن يفهّموا الناس أننا ما زلنا في منتصف الطريق وأن علينا الاستمرار في المسيرة حتى النهاية إن شاء الله).

استعادة العزة في فكر الامام الحسين عليه السلام وحفيده الإمام الخميني قدس سره

لو فكرنا بالقاسم المشترك الأكبر بين ثورتي الامام الحسين وحفيده الخميني، بعد دراسة للمواقف والأقوال لخرجنا بنتيجة نحسبها هامة ، هي أن "العزّة" تشكل هذا القاسم الأكبر ، ثم لو ذهبنا ننظر في أهداف الإسلام من كل تعاليمه وتشريعاته الفردية والاجتماعية ، لوجدنا أنها تتجه للالتقاء في بؤرة واحدة هي "العزّة" أيضاً .

العزّ والذلّ:

العزّ في اللغة : هو القوة والشدّة والغلبة.

والعزّ والعزّة : الرفعة والامتناع. والعزيز من صفات اللّه عزّ وجلّ وأسمائه الحسنى. قال الزجاج : هو الممتنع فلا يغلبه شيء ، ومن أسمائه عزّ وجلّ : المعزّ، وهو الذي يهب العزّ لمن يشاء من عباده ، والعزّ خلاف الذلّ[1]. والإنسان بفطرته يتجه إلى اللّه سبحانه[2]، أي يتجه إلى اكتساب صفات الكمال الإلهية، ومنها العزّة، ولكنه قد تصدّه عوامل عديدة عن هذه الحركة فيقع في حالة الذلّ : ﴿**ضُرِبَتْ عَليهم الذِّلّةُ والمَسكَنةُ وباءوا بغَضَب من اللّه**﴾[3]، ﴿**ضُرِبتْ علَيهم الذِّلّةُ أينَما ثُقفوا إلاّ بحَبل من اللّه وحبل من النّاس**﴾[4]، وقد يتحرك تحركاً منحرفاً فيتجه نحو عزّة ﴿**كسَراب بقِيعة يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ ماءً**﴾[5]، يرى هذه العزّة مجسّدة ـ مثلا ـ في طواغيت الأرض : ﴿**وقالوا بعِزّة فرعَونَ إنّما لَنحنُ**

---

(١) لسان العرب ، مادة عزز.

(٢) انظر محاضرات السيد الشهيد الصدر حول(السنن التاريخية في القرآن الكريم)، ففيها عرض دقيق لنظرية المثل الأعلى في حركة التاريخ.

(٣) البقرة : ٦١ .

(٤) آل عمران : ١١٢ .

(٥) النور : ٣٩ .

الغالبونَ﴾[١]، ويبتغيها أحياناً عند أعداء الدين كما يفعل المنافقون : ﴿**بشِّر المنافقينَ بأنَ لهم عذاباً أليماً الّذين يتّخذونَ الكافرينَ أولياءَ من دُونِ المؤمنينَ أيبتَغونَ عِندَهُم العِزّةَ فإنّ العِزّةَ للّه جميعاً**﴾[٢]. والدعوة الإلهية تتجه أول ما تتجه إلى محاربة كل العوامل التي تصدّ الإنسان عن التحرك نحو كماله ، وتنتشله من حالة الذلّ ، ثم توجهه إلى المصدر الحقيقي لعزته كي لا يلجأ إلى مصادر سرابية كاذبة : ﴿**مَن كان يُريدُ العِزّةَ فللّه العِزّةُ جَميعاً**﴾[٣] ، ﴿**وللّهِ العِزّةُ ولرسولهِ وللمُؤمنينَ ولكنّ المُنافقينَ لا يعلَمونَ**﴾[٤].

وشددت السنّة على ضرورة صيانة عزة الإنسان المسلم وحرمة إذلاله. يقول الامام الصادق (عليه السلام) : [إنّ اللّه فوّض إلى المؤمن أمره كله ، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً. أما تسمع اللّه عزّ وجلّ يقول : ﴿**وللّه العِزّةُ ولرسوله وللمُؤمنينَ**﴾ فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً ، ثم قال : إنّ المؤمن أعزّ من الجبل، إنّ الجبل يستقلّ منه بالمعاول ، والمؤمن لا يُستقلّ من دينه شيء][٥]. وسنرى أنّ المحور الأساسي في جميع أبعاد التشريع الإسلامي ، الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية ، تدور حول محور صيانة عزة الإنسان وإبعاده عن حالة الذلّ. ونقف ولو قليلاً عند معنى العزّة لنبيّن موقعها من الفرد والمجتمع ، ومدى إسهامها في البناء والحركة ، ثم نلقي الضوء في مقابل ذلك على أخطاء الذلّ في المجتمع. إذا تأملنا في المعنى اللغوي والاصطلاحي (كما ورد في القرآن وسائر النصوص) لكلمة العزّة ، وجدنا أنّها حالة نفسية تجعل الإنسان يحسّ بالقوة والمنعة والكرامة والشخصية ، وهذه الحالة تتوفر حين يجد الإنسان نفسه مسنوداً

---

(١) الشعراء : ٤٤ .

(٢) النساء : ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) فاطر : ١٠ .

(٤) المنافقون : ٨ .

(٥) مشكاة الأنوار : ٥٠ .

ومدعوماً من قوة كبيرة خارج ذاته ، والإنسان المؤمن يجد في ارتباطه باللّه عزاً يوفر له الثقة بنفسه ، وينمي فيه الإحساس بالكرامة وعلوّ الشخصية ، فيترفّع عن التوافه ، ويصون نفسه من الانزلاق في الشهوات[١] ، ويبتعد عن كل ما يمسّ منزلته ؛ وتأتي كل تشريعات الإسلام لتوفر للفرد المسلم تعميق هذا الإحساس بنفسه ، وصيانته من كل مسّ وحط. وكان هذا الإحساس بالعزة ـ في الواقع ـ وراء كل ما شهده المجتمع الإسلامي من حركة جهادية وعلمية ، ووراء كل تطوّر أصيل في عصور التاريخ الإسلامي في حقل الهدم والبناء والمعرفة. ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إن أكثر ما شهده المجتمع الإسلامي من نكسات وانحرافات واضطرابات وفتن ، يعود إلى غياب العزّة الإسلامية ، وظهور حالة الذلّ في المجتمع ؛ وذلك لما يلي :

١. الذليل صغير في كل ما يصدر عنه من موقف وسلوك ونظرة ، وهو لذلك ينظر إلى الأشياء الصغيرة على أنها كبيرة ، ويبتلى بالأمور التافهة التي تشغلهُ عن الأمور الكبيرة [٢].

٢. الذليل لا يستقيم على موقف صادر عن شخصيته الفكرية وقناعاته الذاتية ، لأنه يفتقد الشخصية ، ولذلك يكون آلة طيّعة بيد من يفتعل الأجواء ، ويلوّح بأنه يمتلك مصير الناس[٣].

٣. عقدة الذلّ تدفع بالذليل لان يبحث عن شخصيته في أمور موهومة غالباً ، يتصور الذليل أنه يستعيد شخصيته بها ، وهذه الأمور لها طابع انحرافي غالباً ،

---

(١) (من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته) نهج البلاغة،الحكمة ٤٤٩.

(٢) هذه الحقيقة وردت على لسان الحكماء والأدباء كثيراً، ويعبر عنها المتنبي في قوله: وتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم.

(٣) ولذلك يحرص الطغاة على إذلال الناس كي يكونوا آلة طيعة بأيديهم، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في حديثه عن تعامل فرعون مع قومه إذ يقول :﴿فاستَخفَّ قَومَه فأطاعُوهُ﴾ (الزخرف : ٥٤).

وتبعث على الشرور الاجتماعية المختلفة ؛ ولذلك تستطيع عصابات الأشرار أن تستغل هؤلاء الأفراد أكثر من غيرهم لتنفيذ مآربها الشريرة [١].

٤. الذليل يفتقد توازن الشخصية في نفسه ، ويفتقد الإرادة وقدرة الضبط والسيطرة ، ولذلك تثور عنده الشهوات المادية وتستفحل ، ويصبح هذا الشخص عرضة للانغماس في الشهوات ، ويؤدي ذلك إلى أخطار بينة.

مظاهر اهتمام الإسلام بكرامة الإنسان وعزته وإبعاده عن حالة الذلّ[٢]:

١. ما نجده في السُّنّة من تأكيد على حرمة النطفة والجنين ، وعلى اهتمام بالمرأة الحامل ، وعلى سلامة محيطها الاجتماعي ، وعلى سلامة كل شيء يؤثر على سلامة تكوين الجنين ، إنما يشكل دلالات هامة على اهتمام الإسلام بكرامة الإنسان ، منذ انعقاد نطفته وفي كل مراحل نموّه الجنينية.

٢. في السُّنّة نرى اهتماماً بالغاً بكرامة الطفل واحترامه ومعاملته بالحسنى، وتركيزاً على تنفيذ طلباته ورغباته وملاعبته ، مما يدل بوضوح على أن الإسلام يهتم بأن ينشأ الطفل عزيزاً كريماً.

٣. في السُّنّة أيضاً تركيز على ضرورة الاهتمام بشخصية الشاب ، واحترام رأيه ، واستشارته في الأمور ؛ لكي ينشأ هذا الشاب معتمداً على نفسه، محترماً لشخصيته ، مهتماً بالجانب العقلي والإرادي من كيانه.

---

(١) اكثر موجات الشر التي اجتاحت العالم الإسلامي من داخله كانت تستغل هذه الحالة المتفشية ، كما حدث في حركة الزنج والقرامطة ، وحركة البابكية وأمثالها.

(٢) الأبعاد المذكورة لم ندرج مصادرها لسعتها، وهي لا تخفى على القارئ المتتبع، فالقرآن مفعم بآيات تكريم الإنسان ، ومكانته في الكون ، واستخلافه على الأرض، ومهمته الرسالية على ظهرها، وقرب اللّه سبحانه منه، وحرمة ماله ودمه وغيرها، وهكذا السنة فيها نهي مؤكد عن كل ما يذل الإنسان، وتأكيد على حفظ عزته وحرمته من انعقاد نطفته إلى ما بعد مواراته الثرى. وكل ذلك انعكس في الفقه الإسلامي، في أبواب أحكام الجنين والولد والاقتصاد، والحياة الزوجية، وأحكام الميت. حتى إن الواجبات تسقط إذا اقتضت(احتمال ذلة) الإنسان، كسقوط وجوب الوضوء للصلاة والطواف إذا اقتضى طلب الماء ذلة للفرد المسلم.

٤. اهتمام السنة بحرمة الميت وكرامته ، وتقرير التعاليم الخاصة بتجهيزه ودفنه وذكره بخير وزيارة قبره ، كل ذلك أيضا تأكيد على حرمة الإنسان وكرامته حتى بعد وفاته.

٥. في النصوص الإسلامية تأكيد على حرمة الخضوع للظالمين من أصحاب السلطة ، وعدم الانخراط في سلك خدمتهم ، والترفع عن الشعور بالضعف أمام بطشهم.

٦. المنهج الإسلامي للسلوك يأبى على الإنسان المسلم أن يحس بالضعف أمام أصحاب المال ، وأن يترفع عن الانقياد لهم ، بل عن معاشرتهم لكي لا يحس بالضعة بينهم.

٧. في النصوص الصحيحة الموثقة تأكيد على منع الإنسان المسلم أن يذلّ نفسه لأي سبب من الأسباب ، بل تسقط الواجبات إذا استدعى أداؤها أن يذلّ الإنسان نفسه.

٨. اهتمام الإسلام بضبط شهوات البطن والفرج لا تخفى شدته على أحد ، وهذا الاهتمام يستهدف تنمية إرادة الإنسان وشخصيته كي لا تسيطر عليه هذه الشهوات وتستذله.

٩. "التصور الإسلامي" يركز أول ما يركز على ربط الإنسان بربّ العالمين ، ويدخله في تعامل مباشر مع خالق هذا الوجود ، وهذا الارتباط ـ إن استشعره الإنسان بكل وجوده ـ يبعث في الإنسان إحساسا بالعزة والكرامة ، ويجعله يشعر بأنه مرتبط ارتباطاً مباشراً بمن يملك كل مقادير أموره وأمور كل الناس.

١٠. القرآن الكريم يربط تاريخ الفرد المسلم والجماعة المسلمة بتاريخ الأنبياء والصالحين في التاريخ ، ومن هنا فإنّ الإنسان المسلم يرى أن تحركه استمرار لمسيرة طويلة سار عليها من قبل كل عباد اللّه الصالحين ، وهو إحساس ينمي مسيرته الحيوية ويباركها ويضفي عليها عراقة وبعداً واسعاً ضارباً في أعماق

التاريخ ، ويشعر بذلك بكرامته وأهميته على هذه الساحة التاريخية ذات الآماد البعيدة.

١١. الإسلام يصوّر للإنسان أنه خلق ليكون سيّد الكون ، وخليفة اللّه على أرضه ، وأن كل شيء في هذا الوجود الرحب قد خلق من أجله ، ومن أجل تمهيد الطريق لمسيرته التكاملية في حياته ؛ وهو شعور يبعد الإنسان عن أي إحساس بالضعف أمام هذا الكون الفسيح ، ويشعره بالكرامة أمام جميع المخلوقات.

١٢. الإنسان المسلم في التصور الإسلامي مسؤول عن هداية البشرية ، وعن تبديد ظلامها ، وإزالة العقبات عن طريق كمالها ، وهو تصوّر يجعل الإنسان المسلم في مكانة القيادة والريادة على ظهر الأرض ، ولا يخفى ما لهذا التصوّر من أثر في الشعور بالعزّة والكرامة في نفس الفرد المسلم والجماعة المسلمة.

١٣. وضع الإسلام منهجا متكاملاً لسلوك الحكم والحاكم في المجتمع الإسلامي ، يحسّ فيه الفرد المسلم بأنه هو صاحب الرأي في قبول الحاكم أو ردّه ، كما أن هذا المنهج يمنع استخدام الحكم آلة للظلم والسيطرة على مقدرات الناس ، وهو جوّ سياسي يوفر كرامة المسلم ، ويصون شخصيته ، ويحافظ على إحساسه بالعزّة في تعامله مع النظام الحاكم.

١٤. منهج المساواة والعدالة في التعامل ، ووضع مقياس التقوى للتكريم في الإسلام ، يصونان المجتمع من أي لون من ألوان التمييز بسبب الجنس أو اللون أو اللغة ، ويشعر الفرد المسلم بكرامته وعزته لا بنسبه وحسبه وانتمائه القبلي أو القومي ، بل بمقدار سموّه في سلّمه التكاملي ـ أي بتقواه على حدّ التعبير القرآني ـ وهذا المعيار يزيل كل إحساس بالضعة والذل بسبب وضاعة النسب أو الانتماء القبلي.

١٥. حرص الإسلام على العدالة الاقتصادية في توزيع الثروة من جهة ، ونفي أية سلطة لقوة المال في المجتمع ، من أجل القضاء على التمييز الطبقي

والاستضعاف الاقتصادي ، صيانة لكل فرد من أفراد المجتمع من أن يستذل أو يستشعر الذلّ بسبب واقع اقتصادي غير متوازن في المجتمع ، كما أن تأكيد الإسلام تأمين احتياجات الفرد الضرورية ، حتى لو استدعى الأمر إعطاءه من بيت المال ، إنما هو حفظ لكرامة الفرد وعزته وإبعاده عن إراقة ماء الوجه بالسؤال. والرائع في الأمر أن هذه الرعاية تشمل حتى غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.

١٦. حرمة النفس وحرمة العرض وحرمة المال أهم الحرمات التي أكدها الإسلام ، وشدّد على القضاء الإسلامي في صيانتها وحفظها والدفاع عنها ، كما ألزم كل أفراد المجتمع برعايتها بدقة متناهية ، والاحتياط الشديد في مراعاتها؛ كل ذلك لكي يعيش الإنسان المسلم في مأمن من أي تهديد لمقومات كرامته وعزته وشخصيته.

١٧. أكد الإسلام على العبادات الجماعية ، وركز على ضرورة إظهار قوة المسلمين وتراص صفوفهم ووحدة عزمهم وإرادتهم ، وانسجام تحركهم لإبراز عزتهم وإظهار كرامتهم أمام أنفسهم وأمام أعدائهم.

١٨. نفي سبيل المشركين على المسلمين أصل من الأصول الإسلامية ، وهو يفرض على كل المسلمين العمل لسدّ أية ثغرة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو علمية ، ينفذ منها أعداء المسلمين لكي يجدوا لهم موضع قدم في المجتمع الإسلامي ؛ وهذا الأصل وحده لو التزم به المسلمون لحقق كرامتهم وعزّتهم على الساحة الدولية ، ونفي السبيل طبعاً يعني نفي السيطرة لا نفي التعامل والاستفادة من الآخرين.

١٩. مبدأ الجهاد يخلق في نفس الأمة المسلمة روحاً ترفض الإخلاد إلى الأرض والرضا بالظلم والعدوان ، والتهاون في الدفاع عن الكرامة والمقدسات،

وتأبى الذل والخنوع والاستكانة ، وتدفع الإنسان المسلم لان يطلب عزته وعزة أمته ودينه وعزة المستضعفين في الأرض ببذل الغالي والنفيس.

٢٠. حث الإسلام على الانتماء إلى الجماعة وعدم الخروج عنها وعدم الشذوذ عن مسيرتها ، يخلق في نفس الإنسان المسلم عزة الانتماء إلى الجماعة المؤمنة ، ويجعله يحس بالقوة والفخر بهذا الانتماء.

٢١. الحث على طلب العلم والتدبر في الكون وفي المخلوقات وفي الأمم والشعوب ، تخلق من الإنسان المسلم كائناً ناضجاً يحترم شخصيته وفكره ، ويقوّم الإفراد على أساس ما عندهم من علم إضافة إلى التقوى ، والاعتزاز بالعلم والعلماء يجعل المسلم يبحث عن عزته وكرامته في تنمية شخصيته العلمية والفكرية ؛ وبذلك تظهر الأمة العالمة المفكرة ، ولا يخفى ما لمثل هذه الأمة من عزّة وكرامة بين الأمم.

٢٢. حرمة اغتيال شخصية الإنسان المسلم عن طريق اغتيابه واتهامه واهانته أمر أكد عليه الإسلام كثيراً جداً ؛ كل هذا لكي يأمن المسلم من عدوان يستهدف عزته وكرامته وماء وجهه في المجتمع.

٢٣. النصوص الإسلامية الكثيرة التي تحذّر الإنسان المسلم والجماعة المسلمة من التفرقة والشقاق والنفاق ، إنما تتجه كلها لصيانة عزة المسلمين وكرامتهم من أن تتصدع وشوكتهم من أن تلين.

٢٤. حرمة التشبه بالكفار أصل يحافظ على الهوية الثقافية للأمة ، ويخلق روح الاعتزاز بهذه الهوية والشعور بالاستعلاء النفسي أمام الثقافات الأخرى.

٢٥. التحذير الشديد من الحرص والطمع في المال والمتاع والشهرة والسلطة، يصون المسلم من أن يستذله الطمع ، ويتنازل عن عزته لتحقيق رغبة جامحة في النفس نحو الاستزادة.

٢٦. مبدأ نيل إحدى الحسنيين يصون المجتمع المسلم من أي ضعف وخور وهوان ، حينما تضطره الظروف لان يتراجع وينهزم أمام الاعداء ، فهو مجتمع منتصر إن غلب أو غُلب ، والفرد منتصر إن قَتل أو قُتل ؛ فالمسلمون هم الأعلون على كل حال.

٢٧. مبدأ إعداد القوة مبدأ إسلامي هام يجعل المسلمين مرهوبي الجانب اعزّة على ظهر الأرض ، يقتلع من رؤوس الاعداء كل فكر ساورهم للمسّ من عزة المسلمين وكرامتهم.

٢٨. مبدأ الرسالة الخاتمة يخلق في المسلمين إحساسا بأنهم مسؤولون عن خلافة اللّه في الأرض ، وعن اعتلاء دور الشاهد والوسط على ظهر البسيطة حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها ، وهي مسؤولية مقرونة بالعزة والكرامة.

٢٩. مبدأ قيام الدولة الإسلامية العالمية بقيادة المهدي المنتظر عجل اللّه تعالى فرجه ، يجعل المسلمين ينتظرون تحقق هدف دينهم على أوسع نطاق في مستقبل أيام البشرية ، حين تذعن كل الشعوب لاحقّية الإسلام وتنصاع لأوامره ، وتنضوي تحت لوائه ، وهي نظرة تبعث العزة في نفس الإنسان المسلم والثقة بالمستقبل بما يحمله من فكر وعقيدة ، وتبعث فيه أيضاً روح الاستهانة بما تتخبط به البشرية من انحرافات عن دينه الحق.

٣٠. عالج الإسلام كل الحالات التي تخرج الإنسان من حالة التعادل النفسي ، وتوقعه في انفعال يحط من كرامته وشخصيته وعزته مثل الغضب والحسد والحقد.

انحدار منحى العزّة الإسلامية خلال نصف قرن :

خلال نصف قرن عقب وفاة رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) حدثت أمور أدت إلى هبوط روح العزّة الإسلامية في النفوس ، وازدادت مظاهر الخضوع

والخنوع والاستسلام والاهتمام بالصغائر في المجتمع الإسلامي ، لعوامل عديدة أهمها :

١. التمييز الطبقي ، حيث ظهرت في المجتمع الإسلامي طبقتان ، إحداهما تتمتع بثروات طائلة والأخرى مدقعة معدومة ، والتمييز الطبقي يؤدي طبعاً إلى انهيارات في عزة قطاع من أفراد المجتمع بسبب الإحساس بالضعف والغبن والظلم[١].

٢. التمييز العنصري ، فقد أصبح غير العرب مواطنين من الدرجة الثانية ومحتقرين ، وأخذت منهم الجزية ، وعوملوا معاملة سيئة اضعفت روح العزة الإسلامية في أنفسهم[٢].

٣. الصراع القبلي ظهر في نصف القرن هذا بعد أن ضعف روح الانتماء الرسالي، وعادت الروح القبلية والصراعات القبلية بأوضح صورها في المجتمع، ومن الطبيعي أن تضيع روح العزة الإسلامية في حمأة الاعتزاز القبلي الضيق[٣].

٤. التخويف والتجويع ظهرا بأفظع صورة في العصر الأموي ، بحيث أن الفرد المسلم كان يخشى على بيته أن يهدم ، وعلى لقمة عيشه أن تسلب ، وعلى

---

(١) انظر في التمييز في توزيع بيت المال والعطاء، ثم ظهور التمييز الطبقي في المجتمع: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٨: ١١١، ٢: ١٣١ - ١٣٢، والمسعودي، مروج الذهب ٢ : ٣٤١ - ٣٤٣، وحسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ١ : ٣٥٨.

(٢) للتوسع في الموضوع انظر : أنساب الأشراف ١ : ١٨ - ٣٤ ، وفيليب حتي : تاريخ العرب ٢ : ٣٥٠ - ٣٥٢ ، وفلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها: ١٦٥ - ١٧٣ و٤٠٣ و٤١٤ - ٤١٥ و٤١٨ - ٤١٩ .

(٣) انظر في سياسة الأمويين تجاه القبائل ، وإثارة نار الخصومة بينها: فلهاوزن، الدولة العربية : ٥٨ ، ١٠٥ - ١٠٦ ، ٢٠٧.

دمه أن يراق ، وعلى عرضه أن ينتهك بالظنة ولأتفه الأسباب ، مما خلق حالة من الذل والضعف والهوان في المجتمع الإسلامي[١].

٥. الاستخفاف بالدين وأهله ، والتجاهر بارتكاب المنكرات[٢].

٦. إشاعة أحاديث مكذوبة ومذاهب مزعومة تدعو إلى الرضوخ للظالمين والركون إلى المتسلطين وعدم الثورة عليهم ، وقبول الأمر الواقع باعتباره قضاء من اللّه وقدراً [٣].

مواقف أهل البيت (عليهم السلام) العملية من ظاهرة الإذلال:

انتهج أئمة أهل البيت (عليهم السلام) جميعاً مواقف عملية لصد عملية الإذلال ، وإبقاء روح العزّ في المسلمين. ونستعرض أهم محاور هذه المواقف كي لا يخال القارئ الكريم أن استعادة العزّة إلى المجتمع الإسلامي تختص بالحسين (عليه السلام) وثورته.

١. محاربة ظاهرة التمييز الطبقي وإشاعة العدل والمساواة في العطاء بين أفراد المجتمع الإسلامي[٤].

---

(١) انظر محمد مهدي شمس الدين ، ثورة الحسين : ٦٦ ، وما بعدها ، فقد نقل عن شرح النهج ٢ : ٦ - ٧، ٣ - ١٨ ، ٨٥ - ٨٦ ، ١١ : ، ٤ : ٧٣ ما يحير العقول عن هذا البطش والتنكيل .

(٢) انظر : البلاذري ، انساب الأشراف ، القسم الثاني : ٤ ، وفيليب حتي ، تاريخ العرب ٢ : ٢٥٨ ، والدولة العربية ١٣٧ - ١٣٨ ، وبروكلمان ، تاريخ الشعوب العربية ١ : ١٥٦ .

(٣) انظر : ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٤ : ٩١ ، ١١: ٤٤ - ٤٦ ، ابن قتيبة ، عيون الأخبار ١ : ٧، وانظر ايضاً عن تظاهر معاوية بالجبر والإرجاء ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١: ٣٤٠.

(٤) هذه أهم سمات فترة الحكم العلوي، وعلي(عليه السلام) أعلن منذ توليه الحكم مشروعه في تقسيم المال حين قال : (أيها الناس، إني رجل منكم، لي ما لكم وعليَّ ما عليكم، وإني حاملكم على منهج نبيكم، ومنفذ فيكم ما أمر به، ألا وإن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال اللّه فهو مردود في بيت المال، فإن الحق لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوّج به النساء وملك به الإماء، وفرق بين البلدان لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق) (ابن أبي الحديد ١ : ٢٦٩ - ٢٧٠).

٢. كسر العصبيات العنصرية[١].

٣. التأكيد على الولاة بالمحافظة على كرامة المسلمين وعزتهم ، والاهتمام بعزل من يذل الناس ويستخف بهم[٢].

٤. غرس روح الشهادة والثورة ضد الظلم في المجتمع الإسلامي[٣].

٥. الاهتمام بالأمور التي ترتبط بعزة المسلمين وكرامتهم ، وعدم فسح المجال للاختلافات الداخلية أن تمس من هذه العزة والكرامة[٤].

٦. السعي الحثيث لربط المجتمع الإسلامي باللّه سبحانه ؛ كي يستشعر العزة في هذا الارتباط لا في المسائل الموهومة[٥].

□

(١) موقف الخراسانيين من دعوة أهل البيت ، وموقف أهل البيت أنفسهم ممن سُمّوا بالموالي أفضل دليل على اهتمام أئمة أهل البيت بكسر العصبيات العنصرية .

(٢) انظر عهد الامام أمير المؤمنين إلى مالك الأشتر لما ولاه مصر، وانظر ايضاً موقفه من الولاة المنصوبين قبله إذ قال : (ولكني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها ، فيتخذوا مال اللّه دولاً وعباده خولاً). تأمل بدقة : (وعباده خولاً).

(٣) هذه أبرز ملامح مدرسة آل البيت(عليهم السلام) ، حتى إن الفقهاء في ثورة (ابن الأشعث) كانوا يفتون بوجوب الخروج على الحجاج استناداً إلى أقوال علي (عليه السلام) . انظر هذه الثورة في تاريخ الطبري في احداث سنة ٨١ للهجرة.

(٤) هذا واضح في سيرة علي والحسن والحسين وكل الأئمة من أولاد الحسين (عليهم السلام) في تعاملهم مع الحاكمين ومع أفراد المجتمع .

(٥) أئمة آل البيت (عليهم السلام) تركوا لنا في مجال الدعاء والتضرع ومنهج السلوك إلى اللّه تراثاً ضخماً في العمل والقول ، حتى ظن بعضهم ان التصوف نشأ من التشيع، وما ذلك إلاّ لهذا التركيز من أهل البيت على الارتباط المستمر باللّه تعالى (انظر الصلة بين التصوف والتشيع، والفكر الشيعي والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشيبي).

موقف الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) من ظاهرة الذل ونتائجها[١]:

(١) كل ثورة الحسين وما أعقبها من مواقف لأهل بيته وللثوار السائرين على طريقه، تدور حول محور استعادة العزة وأبعاد الذل عن المجتمع الإسلامي؛ ولذلك نشير فقط إلى بعض أقوال الحسين في هذا المجال، ونحيل القارئ إلى كتب التاريخ. من ذلك:(ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة، يأبى اللّه لنا ذلك ورسوله، وحجور طابت، وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام. ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر...).

ثم تمثل بأبيات فروة بن مسلك المرادي:

فإن نَهزم فهزّامون قِدمـــاً
؛ وإن نُغلب فغير مهزّمينـــا
وما إن طِبّنـــا جـبـــــن
ولكن منايانا ودولة آخرينا
إذا ما الموت رفّع عن أناس
كلا كله أنـــاخ بآخرينـــا
فأفنى ذلكم سروات قومي
كما افنى القرون الاخرينـا
فلو خلد الملوك إذاً؛ خلدنا
ولو بقي الكرام إذاً بقينـــا
فقل للشامتين بنا أفيقـــوا
سيلقى الشامتون؛كما لقينا

وقوله لقيس ابن الأشعث: (...لا واللّه لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا اقر إقرار العبيد. عباد اللّه إني عذت بربي وربكم أن ترجمون. أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب).

وقوله مخاطباً أصحاب الحر:(أيها الناس، إن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم اللّه، ناكثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسنة رسول اللّه، يعمل في عباد اللّه بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على اللّه أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام اللّه، وحرموا حلال اللّه، وأنا أحق من غيّر...) .

وقوله بذي حسم: (إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت، وتنكرت، وأدبر معروفها فلم يبق منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون أن الحق لا

١. رفضه بيعة يزيد ، معلناً أسباب عدم البيعة ومركزاً على ظلم يزيد وانتهاكه حرمات المسلمين.
٢. التأكيد على مفاهيم العزة في كل أقواله.
٣. التحذير من الذل ، وأنه سنّة طبيعية تصيب المجتمع المتخاذل.
٤. الابتعاد عن أي مظهر من مظاهر الذل حتى في الساعات الحرجة.
٥. التركيز على الاخلاص في العبودية في أقواله ؛ ليستشعر الإفراد أن العزة للّه جميعاً دون سواه.
٦. الصمود والمقاومة حتى آخر لحظة.
٧. مواقف زينب (عليها السلام) من محاولات الإذلال.
٨. مواقف علي بن الحسين (عليهما السلام) من محاولات الإذلال.

أما النتائج فهي :

١. الانتفاض على حالة الذل واسترخاص الحياة الدنيا.
٢. ارتفاع صوت طلب العزة لدى الثائرين.
٣. ارتفاع صوت التنديد بالظلم على المستوى الجماهيري.
٤. أفول دولة الظالمين.

□

يعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء اللّه محقاً؛ فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلاّ برماً).

وقوله للفرزدق:(رحم اللّه مسلماً، فلقد صار إلى روح اللّه وريحانه وجنته ورضوانه. أما إنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا) ثم أنشأ يقول:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة؛ فإن ثواب اللّه أعلى وانبل وإن تكن الأبدان للموت أُنشئت؛فقتل الفتى؛بالسيف في؛ اللّه؛ أفضل وإن تكن الأرزاق قسماً مقدّراً؛فقلة حرص؛المرء في؛السعي؛أجمل وإن تكن الأموال للترك جمعها؛ فما بال متروك به المرء يبخل .

حالة الذل في المجتمعات الإسلامية المعاصرة:

بعد هذا العرض لموقف الحسين من حالة الذل في مجتمعه ، نعود إلى العالم الإسلامي في القرون الأخيرة. لقد نزل بالأمة الإسلامية ما افقدها هويتها وأركعها أمام أعدائها ، وأفرغ محتواها الفكري والرسالي وأصابها بهزيمة منكرة، وهذه أهم مظاهر الذلّ التي سادت في المجتمعات الإسلامية المعاصرة :

١. الهزيمة السياسية والعسكرية التي مني بها العالم الإسلامي أمام الغزو البريطاني والفرنسي والايطالي والروسي.
٢. الهزيمة النفسية التي أصابت العالم الإسلامي عقب هزائمه السياسية والعسكرية.
٣. السيطرة الاقتصادية التامة على مصادر خيرات المسلمين.
٤. السيطرة الثقافية على مراكز التعليم.
٥. إلغاء التشريع الإسلامي من الحكم.
٦. إشاعة الفساد والمنكرات في المجتمع الإسلامي.
٧. فصل علماء الدين عن المجتمع ، والاستهانة بالدراسات الدينية.
٨. السيطرة الصهيونية على العالم الإسلامي.
٩. النزاعات المستمرة القومية والطائفية والإقليمية بين المسلمين.

موقف الامام الخميني من حالة الذل في المجتمع :

سلك الامام الخميني ثلاثة أساليب لمواجهة حالة الذل في مجتمعه :

الأول : خلق روح العزة في المجتمع ، وذلك عبر المحاور التالية :

١. التأكيد على قدرة اللّه سبحانه وتعالى ، وأن كل شيء بيده ، وأنه القادر على ما يريد ، وأنه سبحانه ينصر حتماً من ينصره ، وأن كل انتصار إنما هو بفضله ومنه. هذه التأكيدات موجودة في القرآن الكريم أيضاً ، لكن الامام كان يركز عليها تركيزاً مقروناً بما يحدث في ساحة المواجهة والصراع

والصمود والهدم والبناء ، فيغرس هذه المفاهيم في النفوس ، ليشعر الإفراد بعزة وبكرامة وبرفعة وهم يتعاملون مع اللّه سبحانه في تحركهم الاجتماعي.

٢. التركيز على قدرة الإسلام في دحر الطواغيت ، وبناء الدولة العصرية ، وإنقاذ البشرية من مستنقعها ، وعلى أنه البديل الوحيد لما تعاني منه البشرية من ضياع وتيه وتخبط في المادية. ينصح المفكرين والزعماء في العالم الإسلامي وغير الإسلامي أن يعودوا إلى الإسلام ليجدوا فيه عزتهم وسعادتهم وسؤددهم ؛ وبذلك يغرس في نفوس كل المسلمين روح الاعتزاز بعقيدتهم والشعور بالكرامة في ظل دينهم.

٣. الحديث المستمر عن إيمان حقيقي ، حول قدرة الشعب في خلق المعجزات، لان الأمة المتحركة على طريق اللّه تتجلى في حركتها قدرة اللّه وعظمته وانتقامه من الجبارين ، فهو قادر على أن يواجه أعتى الطواغيت وإن افتقد العدة والعتاد ، وقادر على أن يواجه كل جبهات الكفر على سعتها ، وقادر على أن يبني ويعمر رغم كل الضغوط والمحاصرات.

٤. منحه الشعب ثقة تامة ، والثقة المتبادلة بين الامام الراحل وأمته كانت من أهمّ بواعث شعور الشعب الإيراني بالاعتزاز والكرامة في حركته بقيادة الامام ؛ فهو قدس اللّه روحه يرى في الشعب وفاءً وصدقاً واخلاصاً لم يبلغه صحابة رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) ولا صحابة علي (عليه السلام) ، ويُكبر هذا الشعب ويتواضع أمامه وأمام تضحياته وصموده تواضعاً غريباً.

٥. تأكيده المستمر على الدور الذي يجب أن يضطلع به الشعب الإيراني على الساحة العالمية ، بحمله مشعل الإسلام إلى الضالين ، ودفاعه عن المستضعفين وإعطاء القدوة والمثل الأعلى للآخرين ؛ وهذا الدور الذي يريده الامام للأمة في إيران يجعلها تستشعر دورها القائد على ظهر الأرض.

٦. تخطيط الامام لإعادة الحياة والروح إلى العبادات الإسلامية ، فقد رسم للحج ولصلاة الجمعة وللمساجد تصويراً جديداً يعيد إليها الحياة لتكون كما كانت في عصر الرسالة الأول ، مبعث عز للمسلمين ، ومظهر قوة وصمود وتكاتف لهم أمام الاعداء المتربصين.

٧. حديث الامام المستمر عن منجزات الثورة الإسلامية في الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية ، وتذكير الناس بما كانت عليه الأوضاع قبل الثورة لتعميق روح الاعتزاز بالثورة الإسلامية وبالانجاز العظيم الذي حدث على يد الشعب.

٨. غرس مفهوم الشهادة في النفوس ، وخلق روح طلب الشهادة في الإفراد، بتبيين منزلة الشهيد وعظمة الجهاد في سبيل اللّه ، وما يستتبع تصاعد روح الجهاد من عزة وكرامة للمجتمع.

٩. تركيز الامام الراحل على دور المرأة في المجتمع ودورها في الثورة ، وعظمة المسؤوليات التي تنهض بها في البيت والمجتمع ، كل ذلك لخلق روح العزة في نفس المرأة ، لتغرسها بدورها في نفوس أبنائها وأفراد أسرتها.

١٠. تأكيده المستمر على قدرة الإيرانيين والعرب والشرقيين والأمة المسلمة عامة على الاختراع والابتكار ، ومواكبة ركب المدنية المعاصرة على شرط الإيمان بقدراتهم وكفاءاتهم.

١١. ربط الأمة بتاريخها الثوري القديم والمعاصر ، وخاصة ربطها بثورة سيد الشهداء الحسين بن علي (عليهما السلام) ، والتركيز على روح العزة والإباء في هذه الثورة ، ودعوة الأمة للتفاعل مع كل مواقف الإباء والصمود فيها.

١٢. التأكيد على الطبقة الفقيرة المستضعفة ، وعلى ضرورة تجنيد كل الطاقات للأخذ بها ، وأنها اشرف من أصحاب القصور ، وأنها هي التي حملت

العبء الجسيم في الثورة والدفاع عنها ، كل ذلك لبعث روح العزّة في هذه الفئة التي طالما استذلها نظام الطاغوت.

الثاني : اجتثاث روح الهزيمة والذلّ من النفوس بالأساليب التالية :

١. الاستهانة بالحضارة المادية المعاصرة ، وبيان زيفها وخوائها ، وتخبطها ، وقرب سقوطها ، والطريق المسدود الذي وصلت إليه ، ونصيحة المهزومين من المسلمين بفتح أعينهم على واقع الحضارة ، وعدم الانبهار بظاهرها.

٢. الاستخفاف بطواغيت الأرض ، والسخرية منهم ، وتهديدهم ، وتحديدهم ، والتعامل معهم على أنهم نمور من ورق ، واطفالاً جامحين يستحقون النصح والتحذير والتأديب.

٣. حث الشعوب على كسر حاجز الخوف الذي اصطنعته الحكومات الظالمة ، والتعامل مع هذه الحكومات كما تعامل الشعب الإيراني مع الطاغوت المسيطر عليه ، والتأكيد على أن هذا العصر هو عصر الشعوب وتحقيق ارادتها وكسر قيودها.

٤. تركيز روح العزة في كلّ اللحظات العصيبة التي يُخشى فيها تزلزل النفوس ، مثل الهزيمة العسكرية أو الضغوط الاقتصادية أو اغتيال كبار الشخصيات القيادية ، واستثمار هذه الحوادث لرفع المعنويات وتصعيد روح المقاومة والصمود.

الثالث : إعطاء القدوة من نفسه ، وهذه القدوة قدّمها الامام في مواقفه التالية :

١. المواصلة المستمرة دون هوادة في المقاومة والصمود دون أن يتراجع قيد أنملة عن مواقفه المبدئية ، ودون أن يداهن أو يهادن لحظة واحدة ؛ وهذه المواصلة صعّدت روح الثورة في النفوس ، واقتلعت روح طلب العافية والاسترخاء وما يستتبعها من ذل في النفوس.

٢. تحمل السجن والتعذيب والإرهاب والنفي بطيب خاطر وبرحابة صدر ، متغلباً بذلك على كل سبل الهزيمة النفسية وإذلال الشخصية.

٣. تحمل المصائب الشخصية كفقدان الولد بروح مطمئنة صابرة مستسلمة لقضاء اللّه ، ولا يخفى ما لهذا الموقف من تأثير في تثبيت النفوس المتزلزلة والأرواح الضعيفة.

٤. ضرب المثل الأعلى في الزهد والابتعاد عن مظاهر الحياة وبهارجها وزينتها، بما يرسّخ روح الثقة والترفع والسمو النفسي في القاعدة التي يقودها.

تلخيص واستنتاج :

من كل ما سبق نفهم أن اكبر مرض نفسي يصيب المجتمعات البشرية هو مرض الذل ، وهذا المرض النفسي يحتاج إلى علاج نفسي يشبه الصعقة الكهربائية التي يعالج بها ذوو الأمراض النفسية في عصرنا الراهن.

مرض الذل لا يمكن شفاؤه بالموعظة ونشر الفكر والتربية الروحية فحسب ، بل يحتاج إلى صعقة ، وإلى هزة تعيد له الوعي والحياة ، وتجعله يستشعر العزة ، ويرى أن هدف الحياة أسمى من خسيس العيش ؛ وهذه الصعقة أنزلها بجسم الأمة الإسلامية الحسين بن علي (عليهما السلام) ، فدب فيه دم جديد وروح جديدة ؛ وهكذا فعل الامام الخميني (قدس سره) ، وكانت هذه النتائج التي يشاهدها العالم بعينه متمثلة في عودة حثيثة دائبة إلى الأصالة والكرامة والعزة ، وهي بأجمعها من نتائج إرهاصات الصبح المرتقب ، ﴿**أليس الصبحُ بقريب**﴾ ؟

حركة الإمام الخميني قدس سره
خطوة نوعية في التمهيد لصاحب الزمان (عج)

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾

لقد قضى اللّه تعالى بأن يكون المستضعفون في الأرض بمستوى القدرة على إصلاح البشرية وإلى ذلك اليوم الموعود، ماذا ينبغي أن يفعل هؤلاء؟

إن الذي تسيطر عليه أنانيته ويهرب بنفسه من دائرة المواجهة مع الظلم لن يعمل على إزالة ذلك الظلم ولن يستطيع بالتالي الوصول إلى مستوى من الوعي والقدرة المطلوبين في معركة العدالة الكبرى الآتية.

كذلك المجتمع الذي يتعايش مع الظلم ويستسلم له ويؤثر الخنوع مع الرفاه النسبي ولا يبذل جهداً أو تفكيراً ولا يقوم بعمل لرفع هذا الظلم أو التخفيف منه فسوف يكون هذا المجتمع عديم المسؤولية سلبياً مستسلماً لا يملك إرادةً ولا عزماً وبالتالي لن يكون مؤهلاً لكي يمتلك دوراً في ذلك اليوم الكوني الموعود، يوم إحلال العدالة على ربوع الإنسانية ومحو الظلم..

قال تعالى: **﴿إن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**[1].

إن نظرية التمهيد لخروج شمس العدالة الإنسانية تقوم على التفكير الجدي الدائم والعمل الجهادي الصالح عند الفرد والمجتمع لكي تعلو درجة الاخلاص ويكبر الشعور بالمسؤولية ويمتلك الفرد والمجتمع كلما تقدم الزمان يوماً المران على البذل والتضحية والصمود والاستعداد للمواجهة العالمية مع الكفر والظلم.

ولذلك نشأ بيننا وبين ظهوره الشريف تداخل وتأثير وتأثر فكلما تقدّمنا في جهادينا الأصغر والأكبر كلما اقترب الإذن الإلهي والعكس صحيح.

---

(١) الرعد: ١١ .

من هنا كانت حركة الإمام الخميني قدس سره من أعظم الحركات التاريخية التي شكلت خطوة نوعية في التمهيد للظهور الشريف، ولعلها توازي قروناً متطاولة من الصبر والانتظار السلبيين ومن السكون وتحمل الظلم والقهر بدون بذل التفكير والجهد في مواجهة ذلك.

لقد خطت الإنسانية مع الإمام الخميني قدس سره خطوتين إلى الأمام في مسيرة التمهيد الطويلة للحقيقة المهدوية: الخطوة الأولى في الانسجام مع الإرادة الإلهية بجعل الظلم حافزاً للإنسانية لكي تقوم وتثور عليه مغيِّرة ما في نفسها نحو الكمال، فنادى بنبذ حب الذات والأنانية وحرض على القيام بالثورة والقتال والتضحية مهما بلغت الأثمان من الأموال والنفوس. فأجَّج نار الثورة بسلوكه وكلماته وجعل الأمة التي وقعت تحت وطأة الاضطرار والشعور بالضغط والإحراج تقف موقفاً إيجابياً من الظلم فتنطلق للتغيير وتفجر إمكانياتها وطاقاتها وتستعيد شبابها وعنفوانها.

والخطوة الثانية في اندفاع الفرد والمجتمع بشكل اختياري وواع ومخلص نحو الانخراط في سلك التغيير والدعوة والهداية إلى اللّه بالسلاح والكلمة والحكمة إدراكاً منهم للمسؤولية والموعظة الحسنة الإسلامية الشرعية فنشأت في ظل أفكار الإمام الخميني قدس سره وتحت تأثير كلماته صفوف طويلة من المجاهدين والكوادر والمفكرين والكتاب والفلاسفة والفقهاء الذين انضموا لمسيرة التمهيد المهدوية بدافع العقل والشعور بالمسؤولية الشرعية لا بدافع الاضطرار والشعور بالضغط والإحراج.

لقد كانت الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني قدس سره تطوراً نوعياً في حياة الأمة الإسلامية، وضعها على نار التمهيد الحامية للظهور المبارك وحوّله إلى نظرية عالمية بعد أن كان دفين الكتب والهمس والتقية قروناً.

الخامس عشر من شعبان في فكر الإمام الخميني قدس سره

بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين :

عن الإمام الباقر عليه السلام : (أول ما ينطق به القائم حين يخرج هذه الآية ﴿**بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين**﴾ ثم يقول : أنا بقية الله وحجته وخليفته عليكم، فلا يسلم عليه مسلم إلا قال : السلام عليك يا بقية الله في أرضه).

المهدي الموعود هو البقية الباقية من سلالة الأولياء الأطهار بل هو كما يقول الإمام الخميني قدس سره: (إن إمام الزمان عصارة الخلقة) فالمهدي المنتظر (عج) باسط العدل العالمي ومنفذ مخططات الأنبياء نحو التكامل الإنساني وموصل المجتمع البشري إلى الهدف النهائي وهو إقامة حكومة العدل الإلهي في جميع أنحاء المعمورة، وهذا ما كان دائماً يؤكد عليه الإمام الراحل قدس سره في كلماته ومواعظه. فيقول قدس سره : (فإنه لا يوجد بين البشر سوى المهدي الموعود "سلام الله عليه" والذي ادخره الله تعالى للبشرية لتحقيق العدالة).

هدف الأنبياء :

إن هدف الأنبياء على مر العصور هو إنقاذ الناس من الجهل، وإرشادهم إلى الطريق الصحيح وإنشاء مجتمع متكامل يحقق الحكومة الإلهية في الأرض التي تتصف بالعدل المطلق، وهذا ما سعى إليه جميع الأنبياء وكان خاتمهم النبي الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وذلك بإنشاء الحكومة الإسلامية الإلهية وتبعه بذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وصحيح أن ظروفاً قاسية حالت دون تأسيس الحكومة الإلهية العالمية، ولكن وعد الله سبحانه وتعالى أن هذه العدالة ستتحقق، وقد بشر بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله عندما قال: "المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون به غيبة وحيرة تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً

وظلماً". فإذاً الله سبحانه وتعالى ادخر الإمام المهدي (عج) لتحقيق حلم الأنبياء.

يقول الإمام الخميني قدس سره (العدالة التي كانت هدف جميع الأنبياء وأرادوا أن يطبقوها في جميع العالم لكنهم لم يوفقوا لذلك. حتى أن رسول الله الذي جاء لإصلاح الناس ولتحقيق العدالة وتربية الناس، فإنه لم يوفق في زمانه لتحقيقها بهذا المعنى، وإن الذي سيتمكن من ذلك وسوف ينشر لواء العدل في كل الأرض هو الإمام المهدي).

عيد البشرية :

ليس المهدي الموعود (عج) تجسيداً لعقيدة إسلامية فحسب، بل هو عنوان وطموح اتجهت إليه البشرية جمعاء بمختلف أديانها ومذاهبها، فإن للإنسانية يوماً موعوداً في الأرض تتحقق فيه رسالات السماء ويطبق القانون الإلهي على أنحاء المعمورة، فالجميع ينتظر هذا اليوم الذي يُرفع فيه الظلم والجور، يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : (والذي بعثني بالحق بشيراً لو لم يبق في الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه وتشرق الأرض بنوره ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب).

فولادة الإمام المهدي هي ولادة الرحمة والعدالة للبشرية، بل مجرد الإيمان بالمهدي الموعود (عج) هو إيمان برفض الظلم والجور. يقول الإمام الخميني قدس سره: (إن عيد ولادة صاحب العصر أرواحنا له الفداء، يعد أكبر عيد للمسلمين وأكبر عيد للبشرية جمعاء وليس للمسلمين فحسب)

ويقول أيضاً : (إذا كان عيد مولد رسول الله أكبر عيد للمسلمين، فمن جهة أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يوفق لنشر رسالته وتوسعتها كما أراد، ولأن حضرة صاحب الزمان وعجل الله فرجه سوف يحقق هذا المعنى في جميع جهات الأرض إذ سيملؤها

قسطاً وعدلاً بجميع مراتب العدالة وفي جميع مراتب الحكم، فيجب أن نقول لذلك عيد النصف من شعبان عيد مولد المهدي، هو أكبر عيد لجميع البشر).

لماذا عيد البشرية :

العالم يسوده الظلم ويعاني المظلوم من شتى أنواع الاضطهاد، ويحتاج هذا العالم إلى متنفس جديد يقوى فيه على الظالمين ويطيح بهم، فينهي الظلم والاستبداد ويعود الحق إلى أهله، فإذا هذا العالم يتشوق إلى الحرية والعدالة، وهذا المخلص الذي طالما حلمت به البشرية وتاقت إليه هو النور الإلهي المتجسد بالإمام المهدي (عج)، فيوم الولادة ولادة المخلص هو يوم الخلاص وإحياء للبشرية، يقول الإمام الخميني قدس سره: (إن عيد النصف من شعبان عيد مولد الإمام المهدي هو أكبر عيد لجميع البشر، إذ عندما يظهر سوف يخرج جميع البشر من الانحطاط وسيصلح جميع الاعوجاجات، فأصبح هذا العيد من هذه الجهة عيداً لجميع البشر بعد أن كانت تلك الأعياد الباقية أعياداً للمسلمين)

يوم المستضعفين :

﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾

منذ آدم إلى يومنا هذا، هناك صراع ما بين قوى الشر والخير، ما بين المستكبرين والمستضعفين، الذين وعدهم الله بالنصر وبأنهم ورثة الأرض، وصاحب العصر والزمان (عج) هو المحور الأساس لهذا النصر، فهو بقية الله وأمل المستضعفين المظلومين في العالم، فلذلك خصص الإمام الخميني يوم الخامس عشر من شعبان للمستضعفين، يقول رضوان الله عليه: (إن الذكرى السنوية للولادة السعيدة والمباركة لخاتم الأوصياء وفخر الأولياء الحجة بن الحسن العسكري أرواحنا لمقدمه الفداء، هي ذكرى مباركة لجميع المظلومين

والمستضعفين في العالم. وكم هو مبارك مولد هذا الرجل الكبير الذي سيطهر العالم من شر الظالمين والحاقدين وسيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ويقضي على الاستكبار العالمي ويورث الأرض لمستضعفي العالم).

ويقول أيضاً: (وأنا آمل إن شاء الله أن يصل ذلك اليوم الذي يتحقق فيه وعد الله المسلَّم ويصبح المستضعفون مالكين للأرض، هذا وعد الله ولن يخلف الله وعده) .

البعد السياسي للحج
في منظار الإمام الخميني قدس سره

احتدم الجدال طويلاً، بين المدارس السوسيولوجية، حول تفسير حركة التاريخ الاجتماعي، وقد أدلى علماء الاجتماع وفلاسفة التاريخ دلوهم في هذه المعركة الفكرية التي تمحورت، في النهاية، على نقطة محددة هي؛ دور البطل في صناعة الأحداث.

فهناك من يرى أنّ الظواهر السياسية ليست نتاجاً مباشراً لدوافع فردية سيطرت على (الأبطال) و(القادة)، بقدر ما تفسرها أسبابها الاجتماعية، التي هي (العلل الحقيقية) الكامنة وراء أحداث ووقائع التاريخ... في حين يؤكد البعض الآخر على أهميّة دور البطل، خاصة حينما تتحقق السلطة في (الزعيم الروحي) أو تتجسّد (القوّة) في الرائد السياسي، أو تكمن في كيان المحارب البطل. فالقائد الكارزمي (Charismatic Leader) عند (ماكس فيبر) هو مبعوث العناية الإلهية، ويحقق الخيرات لشعبه ومجتمعه[1].

وبعيداً عن الخوض في إشكالية؛ من هو محرّك التاريخ؟... أهو البطل أم أن البطل ما هو إلاّ (الفرصة الاجتماعية المؤاتية)؟ فإنّ من الواضح والمتفق عليه لدى المدارس ـ على تباين مشاربها ـ هو أن البطل يعبر عن روح العصر، كمرآة تنعكس عليها ملامح الحياة ومواقفها الكلية، وبعبارة أدق؛ إنّ البطل يمثّل شعور المجتمع ووجدانه[2].

وفي تاريخنا المعاصر؛ تتألق التجربة الخمينية إنموذجاُ، وبمقدورنا أن نتوغل في آفاق التجربة وبطلها، وفي حالة الإمام الخميني سوف لا يكون لكتّاب السير

---

(١) د. قباري محمد إسماعيل:(علم الاجتماع السياسي؛ وقضايا التخلّف والتنمية والتحديث)، مصر(د. ت): ١٢٦.

(٢) المرجع نفسه: ١٢٤.

الكلمة النهائية[١] وعندما نريد أن نتوقف على حقيقة هذا الانجاز الذي قام به الإمام الخميني قدس سره ليس بإمكان أحد، أن يفهم الأبعاد العميقة لهذا الدور، ما لم يرصده ضمن ظروفه الموضوعية؛ بمناخاته السياسية، وخلفياته الفكرية، ومخاضاته الاجتماعية. ومتى ما توفر المرء على ذلك، تكون الصورة قد وُضعت في إطارها الصحيح، وبإمكان المشاهد رؤيتها من جميع أبعادها المختلفة[٢].

ومن هنا تأتي ضرورة الإشارة ـ ولو سريعاً ـ إلى أهم معالم الفلسفة السياسية للإمام الراحل، ضمن قراءة شاملة لملامح مشروعه النهضوي، الذي انبرى له، وظل وفيّا له، رغم كلّ المصاعب والتحديات والمحن.

ثلاثة روافد للفلسفة السياسية

وفي الحديث عن الفلسفة السياسية في فكر الإمام الخميني قدس سره تلتقي ثلاثة روافد مهمة، لابدّ للباحث من أخذها بعين الاعتبار إذا ما أراد أن يستتم صورة متكاملة ومتجانسة عن منهج الإمام الخميني في الشأن السياسي التغييري، فالإمام كانت تستجذب شخصيته ثلاثة عوامل استطاع الإمام قدس سره أن يجمعها في شخصيته وفكره ووجوده، وبالتالي في تجربته السياسية المنجزة، وهذه الروافد أو العوامل هي :

١. العرفان.

٢. الفلسفة.

٣. السياسة.

---

(١) للوقوف على معالم الفكر السياسي للإمام، يراجع مقال:(حركة إحياء الفكر الديني عند الإمام) لكاتب السطور، مجلة التوحيد ٩٠: ٦٥(جمادى الأولى ١٤١٨ه. ـ أيلول ١٩٩٧م.

(٢) المرجع السابق.

وعلى هذا الأساس تمكّن الإمام من أن يتوفّر على رؤية عرفانية روحية، وعلى رؤية فلسفية عقلية، وعلى رؤية سياسية تغييرية؛ وهذه الأبعاد الثلاثة التي توفرت عليها شخصية الإمام الراحل تتجلى في المجال العرفاني الذي انطوت عليه شخصية الإمام قدس سره، والذي برز في طريقة تفكيره ونظرته لمختلف قضايا الحياة. وفي المجال الفلسفي الذي أظهر الإمام براعة ودقة في التعامل معه والتعرّف على دقائق مباحثه العقلية والنظرية، وفي المجال السياسي الحركي الذي أفصح الإمام عن قدرة خاصة على الخوض فيه واستيعاب متطلبات التحرك في أجوائه[1].

وبالقدر الذي تلاحمت فيه هذه الأبعاد الثلاثة والتصقت بشخصية الإمام الراحل قدس سره ، فإنّ من العسير، إنْ لم يكن من المستحيل، التعرّف على شخصية الإمام الخميني ووعي منهجه في التغيير الاجتماعي والديني الذي تمثله في فلسفته السياسية العملية، من دون الإحاطة بهذه الأبعاد الثلاثة من شخصيته؛ ومن هنا نرى ـ كما يقول باحث جاد ـ أنّ خطأً يمكن أن يتعرّض له أي باحث يستهدف دراسة فكر وتجربة الإمام الخميني في المجال السياسي بعيداً عن التعرّف التام وبشكل مسبق على رؤيته العرفانية ورؤيته الفلسفية.

ومهما يكن من أمر، فإنّ المجال السياسي، الذي تحرّك الإمام الخميني في أجوائه، لم يكن ينطلق فيه بلا استناد إلى رؤية واضحة لمتطلبات التغيير الاجتماعي، بل على العكس من ذلك، فإنّ الممارسة السياسية التي تمثلها الإمام الراحل تفصح، بما لا يقبل الشك، عن أسس متينة، ومبادئ إنسانية وإسلامية

(١) بشيء يسير من التصرف، عن كتاب(إشراقات الفلسفة السياسية في فكر الإمام الخميني) للسيد كامل الهاشمي، قم، ١٤١٨ه. ـ ١٩٩٧م(سلسلة كتاب قضايا إسلامية معاصرة): ١١، ١٢.

شاملة ومستوعبة، كانت تنطلق منها هذه الممارسة، بمختلف صورها ومراحلها[1].

وتأسيسا على ذلك؛ قد يكون الحديث عن الخط الفكري السياسي للإمام الخميني، بصورة شاملة، متعسّراً أو متعذراً؛ لأنّ المجالات التي تحدّث عنها، أو خاض فيها، أو حارب من أجلها ليست محصورة في حدود معينة، أو دوائر ضيّقة، بل كانت تتسع للعالم كلّه، في دائرة الإسلام كلّه، لأنه كان ينطلق في عمق فلسفته العرفانية إلى اللّه في أوسع الآفاق، حتى كان يتجاوز الشكليات التقليدية في حركة هذا الخط، وكان يتحرّك في وعيه الإسلامي للمسألة الإنسانية في واقع الاستضعاف والاستكبار، فيما هي آلام المستضعفين في حركة امتيازات المستكبرين، فكان يتألّم للإنسان أيّا كان انتماؤه، ويفكر أنّ الآلام الإنسانية لا تمثّل في إيحاءاتها الشعورية مجرّد مشاعر حزينة، أو أصوات صارخة، بل لابدّ لها من أن تتمثل في حركة فاعلة من أجل إزالة هذه الآلام، وكان يرى أنّ مسألة الإسلام في وعي المؤمنين به، على مستوى القيادة أو القاعدة، هي مسألة الدعوة المتحركة في كلّ صعيد؛ لتملأ فراغ الفكر الإنساني بالفكر الإسلامي، وتشحن روحيّة العاطفة الإنسانية بالعمق الروحي للعاطفة في الإسلام، وتحرّك الواقع الإنساني بالتشريعات الحركية للإنسان في الحياة، ممّا يجعل مسألة الدعوة تنفتح على السياسة كما تنفتح على الفكر، كما يدفع مسألة المعاني الروحية نحو القيم الإنسانية في الحياة.

وهذه هي الميزة البارزة في شخصيته، التي استطاعت أن تجعل ملامحها الداخلية والخارجية وحدة في الفكر والسلوك، على أساس وحدة الخط الإسلامي، الذي لا يبتعد فيه العرفان عن الشريعة، بل ينفذ إليها ليزيدها عمقا في

---

(١) المرجع نفسه: ١٢.

الحركة، ولا تتجمّد الشريعة لديه في نطاق فردي، بل تنطلق لتشمل الحياة كلّها بأبعادها العامة والخاصة في جميع المجالات.

وفي ضوء ذلك؛ لم يكن العرفان لديه استغراقا في اللّه بحيث ينسى الحياة التي تضجّ حوله بكلّ آلام المستضعفين ومشاكلهم، وينعزل عن ذلك كلّه... كما يفعله الكثيرون من العرفانيين الذين استغرقوا في الجانب الفلسفي للعرفان فعاشوا في خيالاته التي تصوروها حقائق، وابتعدوا عن واقعهم.. فتحولوا إلى كائنات إنسانيّة قد تستوحي منها بعض القداسات الروحية، لكنك لن تستوحي منها حركة الحياة في روحية المسؤولية الحركية.

شمولية النظرة العامة

لقد استطاع أن يدمج شخصية العارف بشخصية الفقيه، ثم انطلق من ذلك ليندفع ـ من خلال هذه الشخصية الجديدة ـ إلى اللّه ، في خط المعرفة والحركة معا، ليعيش في حياته في شخصية الداعية إلى اللّه والمجاهد في سبيله.

ومن هذا الموقع كان انفتاحه على الأمة كلها، وعلى المستضعفين.. وهكذا رأينا كيف كانت حياته كلّها خاضعة لعناوين ثلاثة تلخّص كل العناوين الصغيرة في حركته.

وهي : (اللّه)، و(الإسلام)، و(الأمة في دائرة الاستضعاف) ليقابلها (الشيطان) بأحجامه الكبيرة والصغيرة والمتوسطة، في عالم الغيب، وفي عالم الحسّ والكفر بكلّ معانيه (الفكرية والعملية، وبكل إفرازاته الواقعية في دائرة الضلال والانحراف والظلم، والطاغوت) بكلّ رموزه الشخصية والاجتماعية والسياسية، على مستوى الفرد والجماعة والدولة.

وهذا هو سر شمولية النظرة العامة للحياة عنده، وشجاعة الموقف في حياته، وصلابة التمرّد في مواقفه، وصفاء الشعور في إحساسه، وامتداد الأهداف في كلّ خطواته، وانفتاح الثورة في مواجهته للواقع على مستوى العالم كلّه.

فـ (اللّه) هو ربّ العالمين، و(الشيطان) هو العدو الأساسي للإنسان كلّه.. و(الإسلام) هو رسالة اللّه إلى الناس كافة، و(الكفر) هو خط الشيطان الذي يريد أن ينحرف بالحياة كلّها، وبالإنسان كلّه عن (اللّه).

و (الأمة) تمثل العنوان الذي يشمل المسلمين جميعا، كما أنّ ارتباط قضاياها بقضايا المستضعفين كلهم جعلها تنفتح على كلّ قضاياهم في العالم كلّه.. والطاغوت الفردي والجماعي والدولي يمثل كل مواقع الطغيان الفكري والعملي في واقع الإنسانية كلّه.

وهذا هو الذي يجعلنا نلاحظ تكرر هذه الكلمات في كلّ كلماته، بحيث لا تغيب عن لسانه في كلّ مناسبة من مناسبات الصراع[١].

من الواضح أنّ الإمام الخميني تحرّك ضمن مشروع سياسي نهضوي واسع الأبعاد، ومتعدد الجبهات والجهات، ولقد كان الإمام معنيّا بهموم ومشاكل وأزمات الوضع الإسلامي العام بالمستوى الذي كان معنيّا بالوضع السياسي لبلده الأم[٢] دون أن يغفل هموم المستضعفين في إطارها الإنساني الواسع.

الحديث غير المألوف

قد يحلو للبعض الحديث عن الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي وكأنه حديث كما المألوف في الأنماط المشابهة عن منظّر ونظريته، أو منظّر ونظريّة، مما يقتضي ـ بالتالي ـ طرح موضوع بات من قبيل لوازم الفكر السياسي المستهلك، وتداعيات العلاقة بين الفكر والواقع، وهو موضوع: النظرية والتطبيق.

---

(١) السيد محمد حسين فضل اللّه : كرّاس(الإمام الخميني خط عرفاني في دائرة الفقه..) من منشورات المؤتمر الثامن للفكر الإسلامي، رجب ١٤١٠ه : ٥، ٦.

(٢) اشراقات الفلسفة السياسية في فكر الإمام الخميني؛ م. س: ٨٩.

فمن التعسّف اعتبار الإمام (منظّرا) بالمعنى الرائج للمصطلح، (فالنظرية) فعل إنساني و(التنظير) من شأن البشر. أما في الإلهي فثمة أحكام وشرائع وأوامر ونواهي وسنن لا مجال للشك في صحتها ومصداقيتها وخيرها لمصلحة المستخلف البشري على الأرض. وأهم من ذلك كلّه أن الإخلال بها والنكوص عنها مستوجب لأعباء ومسؤوليات وعقوبات موصوفة في الدنيا والآخرة.

وفي هذا السياق؛ لم يعرف التاريخ الإسلامي، بعد الأئمة، قائدا ومفجرا لثورة، تحققت أم لم تتحقق، برؤية ثاقبة مهدية وهادية بالمستوى الذي تجلّت فيه رؤية الإمام الخميني. وليس هذا الحكم إسقاطاً عاطفياً، ولا صادراً عن حالة ولاء شخصانية، كما يقول الدكتور سمير سليمان. ففكر الإمام وسيرة جهاده الطويل، ومسيرته العملية والسياسية والشخصية، هي بذاتها تحدٍّ كبير للباحثين الموضوعيين، فليسبروا أغوار هذا الرجل التاريخي، ولو كانوا في موقع الخصم الأيديولوجي[1].

وإذا كان إيمان الإمام بمصداقيّة وعقيدة المشروع الذي استنقذه، وبحتميّة تحقيق أهدافه، وصوابيّة الدعوة إليه، جزءاً لا يتجزّأ من إيمانه المطلق بمصدر المشروع ومبدئه وأصله، ويقينه بخيريته المطلقة، فإنّ ذلك الإيمان صادر ـ أيضا ـ عن إيمان بأهل هذا المشروع وعشيرته وقابليات الأمة التي تحتضنه، بما هي مجتمع إنساني متحرّك متحد فكراً وعقيدةً ومذهباً وطريقاً، لا على مستوى الفكر فحسب، بل على المستوى العملي أيضاً. فأفراد الأمة الواحدة ـ من أي لون أو دم أو أرض أو عرق كانوا ـ يفكرون بطريقة واحدة، ولهم إيمان مشترك واحد، ويتحركون باتجاه مثل أعلى واحد يكملون فيه ويتكاملون، ويخضعون لقيادة سياسية واجتماعية واحدة.

---

(١) د. سمير سليمان: (الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي)، قم ١٤١٩هـ. ـ ١٩٩٨م (سلسلة روّاد الإصلاح التي تصدرها مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي): ٤٣.

والأمة بهذا المعنى هي الأمة الإسلامية. والملفت أنّ الإمام قلّما استخدم هذا المصطلح في كتاباته وخطبه ومحاضراته، غير أنه استخدم ـ بكثافة ملحوظة ـ مصطلحات متعددة مثل: الناس، المسلمون، المستضعفون، المظلومون، المحرومون، الجماهير، أهل السوق والشارع والعامل والفلاح والطالب والجميع... الخ، وذلك بذات دلالات مصطلح (الأمة) الذي اعتبره السيد محمد باقر الصدر مرادفا لمصطلح (المجتمع).

إلاّ أنّ الإمام في استخدامه بعض هذه المصطلحات كان يتجاوز ـ غالبا ـ الدلالات التي يحتملها مصطلح الأمة الإسلامية (المجتمع الإسلامي) بما هو مصطلح مخصوص بالمسلمين؛ ليضيف إليها بعداً أشمل ودلالة أعم، لتضم الإنسانية بأجمعها، خاصة في مصطلحات مثل: (المستضعفون)، (المظلومون)، (المحرومون)، (الناس)، وذلك وفاق ما يقتضيه الموضوع ومقدماته في الشأن الذي يخوض فيه.

حيال هذا التعدد المصطلحي، في نصوص الإمام، لا يلمس الباحث أي تعثّر أو تداخل أو غموض في المفاهيم يمكن للتعدد أن يقود إليها، كما هي الحال عند كثير من المفكرين المرموقين. فحركة فكر الإمام تبقى على الدوام منضبطة في سياق ثوابت المشروع الإسلامي الذي يضطلع بحمله، ومنبثقة من نظرته الكونية التوحيدية، بما هو هاد إلى أهداف دينامية متعددة تلتقي في هدف واحد كلّي، وبما هو محدد لمنهج تحقيقها، فالهدف الكلّي هو إقامة حكم اللّه في الأرض، بنموذجه الحضاري الإلهي ولوازمه وأحكامه العادلة، باعتبارها بسطا للعدالة الإلهية بين الناس، وإجلالاً للنظام الإلهي في العالم، (فقد جاء الإسلام ليوحّد شعوب العالم تحت اسم الأمة الإسلامية) بتعبير الإمام[1].

(١) المرجع السابق: ٥٧.

الحج منظومة فقهية

ولّما كان الإسلام منهج حياة، فإنه يتسم بالشمولية والتكامل وتلبية حاجات البشرية في كلّ زمان ومكان. إن للإسلام قواعد ومباني يبتني عليها، ويتكئ عليها، وينهدم دونها، ولا يبقى له بدونها إلاّ الاسم العاري من المسمّى. ومن تلك المباني الحج، حيث يقول الإمام الباقر عليه السلام : (بُني الإسلام على خمس : الصلاة والصوم والزكاة والحج والولاية)[١]، فمن ترك الحج متعمداً فقد هدم ركناً من أركان دينه الإلهي فينهدم معه الإسلام الكامل؛ ولذا قال تعالى فيمن تركه عمداً... ومن كفر فإنّ اللّه غني عن العالمين، حيث عبّر عن تركه العمدي بالكفر، فتارك الحج عمداً كافر عملاً، وإن لم يكن كافراً إيماناً واعتقاداً. وحيث إنّ الحج من مباني الإسلام. فجميع ما ورد في شأنه لابدّ وأن يتبلور في الحج ويكون الحج مُمثلاً إيّاه ومجلي لظهوره[٢].

ويندرج الحج ضمن سلسلة اجتماعات المسلمين، بحيث يأتي تتويجا لها، وأهمها لجهة الشمول والاتساع. أمّا أول هذه الاجتماعات فهو (على مستوى أهل الحي الواحد من البلد، يتكرر في اليوم خمس مرات، وقد شرع اللّه صلاة الجماعة، أما ثانيهما؛ فاجتماع على مستوى أهل البلدة الواحدة، يتوالى مع كلّ أسبوع، وقد شرع له صلاة الجمعة، وأما ثالثهما؛ فاجتماع على مستوى العالم الإسلامي أجمع..[٣] حيث يتلاقى المسلمون من شتى بقاع الأرض، ليتعارفوا، ويتبادلوا الآراء والخبرات، ويغلّبوا وحدتهم على ما يغالبها من انتماءات تاريخية واجتماعية وثقافية مختلفة.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة ١: ١٢٧ نقلاً عن كتاب (مجموعة مقالات في الحج ـ الكتاب الأول)، مؤسسة الحج، طهران، ١٤٠٥ه : ٧٢.

(٢) مجموعة مقالات في الحج؛ م. س، مقال:(أسرار الحج)، للشيخ عبد اللّه الجوادي الآملي: ٧٢.

(٣) د. محمد سعيد رمضان البوطي:(مقدمة كتاب مناسك الحج والعمرة): ١٢ ، نقلاً عن كتاب(مجموعة مقالات في الحج).

وهكذا نجد أنّ الحج ـ كفريضة ـ يحتل موقعاً أساسياً في بناء حركة المجتمع التوحيدي، إذ تعتبر هذه الفريضة أحد أركان الإسلام، فالجماعة المسلمة تتعامل مع الحج باعتباره فريضة على كلّ مسلم ومسلمة إلى يوم الدين، مهما تغيرت الظروف وتقلبت الأحوال: ﴿**وللّه على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ اللّه غني عن العالمين**﴾[1].

ويتواصل الحج مع منظومة عبادات لدى المسلمين، تبدأ بالصلاة والصوم، وتتوّج بالحج. إلاّ أنّ هذه العبادات المختلفة، رغم ما يجمعها من خصائص مشتركة، يبقى لكلّ منها خاصية وفرادية.. لذا فالحج، كظاهرة يمكننا القول : إنها في الوقت الذي تندرج فيه ضمن نظام أعم من العبادات تحمل منطقها وقواعدها ووظائفها المميزة.

إنّ القيام بالحج ليس أمرا عفويا يقوم به المسلم كيفما اتفق، انطلاقاً من قناعاته الفردية أو تأثراً بالمناخ الحقوقي والقانوني الذي ينظّم العلاقات الاجتماعية المختلفة في البلد الذي يعيش فيه، ولا انطلاقا من العرف الذي يحكم القبيلة أو الطائفة التي ينتمي إليها.

فالحج تحكمه منظومة فقهية تفصيلية، يتعامل معها المسلمون على أنها شروط إلهية ورسالية، لا يحق للفرد أو الجماعة أو الأمة، في أية مرحلة من مراحل التاريخ وفي أية بقعة من بقاع الأرض، أن يجروا أيّ تعديل عليها، مهما كان الموقع الذي يتبوؤنه في السلطة وفي الحياة العامة[2].

□

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) د. حسن الضيقة: مقال (دور دراسة ظاهرة الحج في تدعيم الفكر الإسلامي في مواجهة المناهج الغربية المعاصرة)، المنشور ضمن كتاب (مجموعة مقالات في الحج)، م. س: ٢٦٣ ـ ٢٨٦.

البعد السياسي للحج

تنطوي شعائر الحج على الكثير من المضامين العبادية والدلالات السياسية، في آن معا، وقد كانت القبائل عندما تؤم مكة في موسم الحج، تحمل كلّ منها أعلامها المميزة وأصنامها، ومؤكدة بذلك على تمايزها القبلي أو على ترتبها وعلو شأنها بين القبائل الأخرى. ولكن الحج، بعد الدعوة، أرسى مؤسسة جديدة تتعارض بل تلغي كافة هذه الممارسات والشعائر، خالقة حالة توحيدية خالصة، تؤمّن للمسلمين إحدى الدعائم التي تجعلهم قادرين على مقاومة الانشدادات المختلفة؛ من قومية وقبلية وما إلى ذلك...[1].

وعليه، فالحج كما يتّضح من الكتاب والسنة وسيرة السلف وأقوال العلماء لا يتلخّص في كونه موسماً عبادياً (بالمفهوم المألوف عند كثيرين)، بل هو إلى جانب ذلك مؤتمر سياسي عالمي وملتقى اجتماعي عام يوفّر للمسلمين القادمين من شتى أنحاء المعمورة فرصة التعارف، والتآلف، واللقاء بعضهم ببعض، وانتفاع بعضهم ببعض، ومداولة أمورهم وحل مشاكلهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية في جو من الأمن والقداسة والصفاء والمحبّة.

لقد وصف القرآن الكريم (الحج) في عدّة مواضع بأنّ فيه ما ينفع الناس ويضمن مصالحهم، كما أنّ السنّة والسيرة النبوية الشريفة هي الأخرى تشير إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله مارس الأعمال السياسية في الحج، فضلاً عن الأحاديث التي تفيد بأنّ الحج نوع من الجهاد كقوله صلى الله عليه وآله : (نعم الجهاد الحج).

ولعل ما جاء وصحّ عن الرسول صلى الله عليه وآله من الأدعية والأذكار في الحج تلك التي تتضمن معاني سياسية إلى جانب معانيها التوحيدية خير شاهد على أنّ الحج موسم مناسب لأن يظهر فيه المسلمون موقفهم من أعداء اللّه

---

(١) المرجع السابق: ٢٨٢.

والإسلام.. كالدعاء: (لا إله إلاّ اللّه وحده وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده).

وقد أشار كثير من علماء الإسلام والمفكرين الإسلاميين إلى ما ترمز إليه هذه المناسك من أمور معنوية، واقتصادية، واجتماعية وسياسية. كما ورد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وآله عامه الذي استأمن فيه (أي قدم مكة للعمرة) قال لأصحابه : إملِوا (أي أسرع في المشي، وهزّ منكبيه) ليري المشركين قوتهم.

وأيضا قال ابن عباس: (إنما سعى رسول اللّه صلى الله عليه وآله بالبيت وبين الصفا والمروة ليري المشركين قوته).

وهذا يشير إلى أنه يجوز أن يضم الحاج إلى مناسكه مقاصد سياسية وأغراضا جهادية مثل إرهاب الأعداء واستنكار أعمالهم، وشجب مؤامراتهم وفضح خططهم..

إنّ التاريخ يحدّثنا أنّ السلف الصالح لم يقتصر في الحج على المناسك والعبادة، بل استغلوا هذه المناسبة للعمل السياسي كجزء طبيعي من هذه الفريضة، لا كشيء زائد عليها أو أجنبي عنها، فها هو الإمام الحسين بن علي سبط الرسول صلى الله عليه وآله يحتج على حاكم جائر من حكام زمانه في يوم من أيام الحج[1].

بل ووجد غير المسلمين فرصتهم في الحج ليعرضوا على الخليفة شكاواهم فيقوم الخليفة بإنصافهم في زمن الحج، لا بعدئذ، كما في بعض القصص التاريخية.

---

(١) الشيخ جعفر السبحاني:(الحج: موسم عبادي وملتقى سياسي) مقال منشور ضمن كتاب(مجموعة مقالات في الحج) م. س: ١٢٩ - ١٤٧.

يقول أحد العلماء المعاصرين : (فإذا كان الحج موسما لبيان الظلامات والشكاوى من الحكام والولاة المسلمين، أفلا يكون من الأوْلى أن يجوز فيه الشكوى من الاستعمار وأذنابه وعملائه، واستنصار المسلمين عليهم؟ وهل يجوز أن نشكو الوالي المسلم إذ تعدّى حدوده، ولا يجوز أن نشكو المستعمر الظالم والأجنبي الغازي، وهو يرتكب كلّ تلك الجرائم والمجازر؟)[1].

فلسفة الحج عند الإمام

إنّ الدلالات السياسية المختلفة التي تتضمنها ظاهرة الحج في المجتمع الإسلامي تنطوي على سمات خاصة بهذا المجتمع، فالسياسة ليس مؤسسة قائمة بذاتها ومنفصلة عن باقي جوانب وأبعاد الحياة الفردية والجماعية. بل هي لحظة تتدرج ضمن ممارسة شمولية متعددة الجوانب، تعطي للنسق السياسي الإسلامي بعدا توحيديا متميّزا[2].

وإذا ما وعينا هذه الحقيقة جيدا، نستطيع أن نفهم أهميّة النداءات والتوجيهات التي أطلقها الإمام الخميني، بشأن الحج والحجيج، إنّها نداءات وتوجيهات نابعة عن فهم واعٍ حركي للإسلام، أو هي بعبارة أخرى منطلقة من نظرة واعية للدور الذي يستطيع الحج أن ينهض به على ساحة التاريخ[3].

وقبل استعراض هذه النداءات والتوجيهات، لابدّ من الوقوف على عمق فلسفة الحج عند الإمام الراحل. فالطواف حول الكعبة يرى فيه الإمام الخميني رمزا لحرمة (الطواف والسعي حول (أية مبادئ) غير مبادئ اللّه ، وأن رجم الشيطان هو رمز لرجم كلّ شياطين الأنس والجن في الأرض. أيها الحجاج..

---

(١) المرجع السابق: ١٤١.

(٢) د. حسن الضيقة؛ مقاله الآنف الذكر : ٢٨٤.

(٣) الأستاذ محمد علي حسين: مقال(الفهم الواعي الأصيل للحج في أحاديث الإمام الخميني) المنشور ضمن كتاب(مجموعة مقالات في الحج) م. س: ١٩-٣٢.

احملوا من ربكم نداءً إلى شعوبكم، أن لا تعبدوا غير اللّه وأن لا تخضعوا لغيره)[1].

ولا يذهبنّ الظن بالبعض أنّ الإمام الخميني قد انتبه مؤخراً إلى هذا الفهم، وتحديداً بعد انتصار ثورته الإسلامية، بل إنه تصدّى إلى قضايا المسلمين منذ وعى دوره التاريخي، وقبل هذا الزمن بفترة ليست بالقصيرة.

ولقد اقترنت اهتمامات الإمام الراحل بموسم الحج باهتماماته الرامية إلى إصلاح أوضاع المسلمين، وتغيير ما هم عليه من ركود وخنوع وذل واستكانة. الإمام أكّد دوما على ضرورة استثمار هذه الفرص التي وفّرها الإسلام للمسلمين من أجل إعادة الإسلام إلى مسرح الحياة، وإعادة تكوين الأمة المسلمة الفاعلة على الساحة التاريخية.

يقول الإمام (قدس سره) في بداية نفيه إلى النجف الأشرف: (في الدول غير الإسلامية تنفق الملايين من ثروة البلاد وميزانيتها، من أجل عقد مثل هذه الاجتماعات، وإذا انعقدت فهي في الغالب صورية شكلية تفتقر إلى عنصر الصفاء وحسن النية والإخاء المهيمن على الناس، في اجتماعاتهم الإسلامية، ولا تؤدي بالتالي إلى النتائج المثمرة التي تؤدّي إليها اجتماعاتنا الإسلامية.

وضع الإسلام حوافز ودوافع باطنية تجعل الذهاب إلى الحج من أغلى أماني الحياة، وتحمل المرء تلقائيا إلى حضور الجماعة والجمعة والعيد بكلّ سرور وبهجة. فما علينا إلاّ أن نعتبر هذه الاجتماعات فرصا ذهبية لخدمة المبدأ والعقيدة؛ لنبيّن فيها العقائد والأحكام والأنظمة على رؤوس الأشهاد وفي أكبر عدد من الناس.

---

(١) من نداء الإمام إلى الحجاج عام ١٣٩٩هـ.

علينا أن نستثمر موسم الحج، ونجني منه أطيب الثمار في الدعوة إلى الوحدة والدعوة إلى تحكيم الإسلام في الناس كافة، علينا أن نبحث مشاكلنا ونستمد حلولها من الإسلام. علينا أن نسعى لتحرير فلسطين وغيرها.

المسلمون الأوائل كانوا يجنون من جماعاتهم وجمعاتهم وأعيادهم ومواقف حجهم أحسن الثمار)[١].

التأكيد على الجانب السياسي والاجتماعي

هذا هو الإمام الخميني (قدس سره) في كلّ المواقف والمنعطفات. رؤية ثاقبة واعية لا تحيد عن الإسلام. ولهذا فهو ـ انطلاقا من فهمه الواعي الصحيح للإسلام ـ لا ينظر إلى الأحكام نظرة تجزيئية بل ينظر إليها باعتبارها كلاً واحدا لا ينفصل بعضها عن بعض. الأحكام العبادية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية تقوم على قاعدة واحدة، وترتبط مع بعضها بأواصر وثيقة لتشكّل أساس كيان المسلمين وحركتهم المتسامية.

يقول الإمام الراحل (قدس سره): (كثير من الأحكام العبادية تصدر عن معطيات اجتماعية وسياسية، فعبادات الإسلام عادة توأم سياساته وتدابيره الاجتماعية. صلاة الجمعة مثلاً واجتماع الحج والجمعة تؤدي ـ بالإضافة إلى ما لها من آثار خلقية وعاطفية ـ إلى نتائج وآثار سياسية. استحدث الإسلام هذه الاجتماعات وندب الناس إليها، وألزمهم ببعضها حتى تعم المعرفة الدينية وتعم العواطف الأخوية، والتعرّف بين الناس، وتنضج الأفكار وتنمو وتتلاقح، وتُبحث المشاكل السياسية والاجتماعية وحلولها)[٢].

---

(١) من محاضرات الإمام في منفاه بالنجف الأشرف عام ١٣٨٩ه.(نقلاً عن مقال الأستاذ محمد علي حسين المذكور أعلاه): ٢٣.

(٢) المرجع السابق: ٢٤.

وفي ندائه إلى حجاج بيت اللّه الحرام عام ١٣٩٩هـ. قال قدس سره : (الإسلام دين عبادته سياسة، وسياسته عبادة. والآن إذ يجتمع المسلمون من شتى بقاع الأرض حول كعبة الآمال لحج بيت اللّه ، وللقيام بالفرائض الإلهية، وعقد هذا المؤتمر الإسلامي الكبير، في هذه الأيام المباركة، وفي هذه البقعة المباركة.. يتوجّب على المسلمين الذين يحملون رسالة اللّه تعالى أن يستوعبوا المحتوى السياسي والاجتماعي للحج إضافة إلى محتواه العبادي).

وفي الوقت الذي يبثّ فيه الإمام الوعي في أوساط الأمة، مؤكدا أنّ الحج فرصة من فرص العودة إلى الذات... نراه يثير انتباه جموع الحجيج إلى طريق الخلاص، وما يكتنف العالم الإسلامي من تحديات: (إنكم تعرفون أنّ القوى الكبرى تنهب ثرواتنا المعنوية والمادية، وتتركنا في فقر، تحت سيطرتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية، ولا يمكن التخلّص من هذا الوضع إلاّ بالعودة إلى شخصيتنا الإسلامية، ورفض الظلم والطغيان من أي مصدر كان، وفضح القراصنة الدوليين وعلى رأسهم أمريكا)[1].

وبهذا الهدف الشمولي الإنساني أعاد الإمام بعث المشروع الحضاري الإسلامي، فمن لوازم عقيدة التوحيد إيمان كلّ مسلم (بأنّ الدين الإسلامي سيسود العالم.. وسيمحو آثار الكفر والاستكبار عن وجه الأرض). إلاّ أنّ هذا الهدف الاستراتيجي غير متحقق إلاّ انطلاقاً من تحقيق هدف مركزي ديناميكي يتمثل في قيام حكومة إسلامية تمهيدية، حيث يمكن للمسلمين أن يقيموها، وحيث تتوفر المناخات والظروف الآيلة إليها، فكان أول العقد في إيران، إذ اندلعت الثورة الإسلامية فيها على يدي الإمام الخميني نفسه بعد نضوج مقدماتها التكاملية وجهاد استمرّ متواصلاً جادا على مدى ما يناهز الربع قرن من الزمن. لكن هذه الثورة لم تكن إلاّ الخطوة الأولى في المشروع الكبير، بما هي

---

(١) من نداء الإمام إلى حجاج بيت اللّه الحرام عام ١٣٩٩هـ.

ثورة من أجل العالم الإسلامي، ومن أجل المستضعفين في العالم في الوقت نفسه.

يقول الإمام: (إنّ هذه الثورة قد قامت بالدرجة الأولى من أجل العالم الإسلامي، وبالدرجة الثانية من أجل المحرومين والمستضعفين الذين يسعون من أجل تحريرهم.. وبهذا المعنى فإنّ الثورة الإسلامية الإيرانية ليست فريدة ومقتصرة على نفسها، بل هي بداية ثورات تماثلها في الهوية والميزات)[1].

وهذا يعني ـ فيما يعني ـ أنّ إيران للإسلام وفي خدمة الإسلام، وليس العكس، أي أن إيران ليست للإيرانيين، كما يحلو للبعض رفع هذا الشعار، بل إنّ الثورة الإسلامية قامت من أجل المحرومين والمستضعفين، فهي ـ حسب الرؤية الخمينية ـ ملاذ لهؤلاء وداعم لهم، فكيف بالمسلمين الذين هم أولى من غيرهم بهذا الحق..؟!

كان لابدّ للثورة (النموذج) من أن تنبعث من مكان جغرافي، شاء اللّه أن يكون إيران (بعدما نضجت فيها مقومات الانتفاض وأسبابه)، لكنها انطلاقة إلى كلّ الأمكنة والى كلّ الشعوب بهدف وحدوي توحيدي هو: (تثبيت واستقرار القيم الإسلامية وحدها). ولم يفارق خطاب الإمام التبليغي هذه المعادلة قط. فلحظ وحدة المشروع مرتبط عنده دائما بلحظ وحدة العالم والإنسان، والمسلمون والمستضعفون في الأرض هم المكلفون، وهم المعنيون بالتحرك والسعي لإنقاذ حكم اللّه ونظامه، وما المشروع الإلهي إلاّ لاستنهاضهم وتحريرهم من كلّ العبوديات، فهو الهادي المؤدي إلى الحق والعدالة، والقسط وخير الإنسانية وهم المهتدون، ودور المبلغين والقادة هو إنجاز الارتباط المعرفي بين مشروع الهداية والمهتدين العتيدين[2].

---

(١) نقلاً عن د. سمير سليمان؛ كتابه آنف الذكر: ٥٨(هامش ٧٣).

(٢) المرجع السابق: ٥٨.

مسؤولية أصحاب الكلمة في الحج

ولتفعيل الخطى باتجاه هذا الهدف الكبير، لابدّ أن ينبري الرساليون إلى ممارسة دورهم الطليعي في توعية الأمة، وبث روح العزيمة في جوانحها، ويتعزّز، هنا، دور أصحاب الكلمة، خاصة في الحج، فأصحاب القلم والبيان ينبغي أن يعيشوا هموم الأمة المسلمة، وينهضوا بمسؤولية توعية الجماهير على مشاكلها، ودفعها على طريق عزتها وكرامتها. مسؤولية الالتزام الفكري تفرض على الكتاب والخطباء أن ينزلوا من الأبراج العاجية، ويبتعدوا عن التزلّف لمراكز القوة، ويندمجوا بالأمة الإسلامية الكبرى.

الحجّ أفضل فرصة لهؤلاء، كي يتفاعلوا بالمسلمين في كافة الأقطار، ويتفهموا ما يعاني منه المسلمون عن كثب، وينهضوا بمسؤولية التوعية اللازمة على أوسع نطاق.

الإمام الخميني ـ إذ يدعو الكتّاب والمفكرين والمثقفين إلى انتهاج هذا الخط الجماهيري الملتزم ـ لا يقصد طبعا أن يجتمع هؤلاء في أروقة مرمرية داخل القصور المشيّدة في الأرض المقدسة، بل يطالب ذوي الكلمة أن يعيشوا بمعزل عن إيحاءات مراكز القوة، وعن مراكز شراء الذمم والأقلام، فيندمجوا في أوساط الجماهير ويبثّوا بينها التوعية اللازمة، كي يكون موسم الحج مركز إشعاع فكري ومركز توعية عامة لكلّ الأقطار الإسلامية. يقول: (على العلماء (المسلمين) أن يشتركوا في هذا التّجمع من مختلف الأصقاع، ويتبادلوا الآراء ويبثّوا التوعية بين المسلمين المتجمعين في مهبط الوحي؛ لتنتقل هذه التوعية بعد ذلك إلى جميع الأقطار الإسلامية)[1].

ويقول أيضا: (على المسلمين الملتزمين الذين يجتمعون مرّة كلّ عام على صعيد المواقف الشريفة، ويؤدون واجباتهم الإسلامية في هذا التجمع العام

---

(١) من نداء الإمام إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٣٩٩هـ.

والحشد الإلهي بمعزل عن الامتيازات، وبمظهر واحد، ودون اهتمام بما يميّز بينهم من لون أو لغة أو بلد أو منطقة، وبأبسط المظاهر المادية وباندفاع نحو المعنوية.. عليهم أن لا يغفلوا عن الجوانب السياسية والاجتماعية لهذه العبادة.

على العلماء الأعلام والخطباء أن ينبّهوا المسلمين على مسائلهم السياسية وواجباتهم الخطيرة.. هذه الواجبات التي لو عمل بها المسلمون واهتموا بها لاستعادوا عزّتهم التي أرادها اللّه للمؤمنين، ولبلغوا مفاخرهم الإسلامية الإلهية التي هي من حق المسلمين، ونالوا الاستقلال الواقعي والحرية الحقيقية في كنف الإسلام العزيز، وتحت بيرق التوحيد وراية (لا إله إلاّ اللّه)، وقطعوا أيدي المستكبرين وعملائهم في البلدان الإسلامية، وأعادوا مجد الإسلام وعظمته)[1].

ولا ينفك الإمام الراحل عن تذكير قادة الرأي بمسؤولياتهم الجسام إزاء أمتهم وإسلامهم: (ينبغي أن يجتمع المفكرون والكتّاب والمثقفون والعلماء والمسؤولون في موسم الحج لدراسة مشاكل الإسلام والمسلمين السياسية والاجتماعية على الصعيد العالمي)[2].

الكعبة.. هي المنطلق

من خصائص الجسم الحي الحركة، وعدم الحركة في الجسم الحي يعني شلله، ويعني أنه أصبح عرضةً لفتك أنواع الموجودات الغريبة. والحج حركة دائبة، حركة نحو اللّه. أي نحو التكامل الفردي والاجتماعي، ومن مستلزمات الحركة إزالة العوائق من طريقها، وتحشيد الطاقات نحو بلوغ أهدافها.

الإمام الخميني ينظر إلى الحج بهذا المنظار الإسلامي الأصيل، ويعتقد أنّ الكعبة ينبغي أن تكون منطلق حركة الأمة نحو التخلص من سلبياتها والقضاء

(١) من نداء الإمام إلى حجاج بيت اللّه الحرام عام ١٤٠١هـ.

(٢) من نداء الإمام إلى حجاج بيت اللّه الحرام عام ١٤٠٠هـ.

على مذليها وظالميها، ونحو إزالة ما يقف بوجه استعادة وجودها وكيانها[١] يقول الإمام (قدس سره) : (وأنتم يا حجاج بيت اللّه الحرام الذين بادرتم من كلّ أطراف الدنيا نحو بيت اللّه.. مركز التوحيد، ومهبط الوحي، ومقام إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وآله أعظم رجلين؛ محطمي الأصنام ومعترضي المستكبرين.. أنتم الذين وقفتم على المواقف الكريمة حيث كان في عصر الوحي أراضٍ جبلية جرداء، وجدباء لا ماء فيها ولا زرع، لكنها كانت محط هبوط ملائكة اللّه، وهجوم جنود اللّه، وتوقّف أنبياء اللّه، وعباد اللّه الصالحين.

الآن عليكم أن تعرفوا هذه المشاعر وتعبئوا أنفسكم من مركز تحطيم الأصنام الكثيرة المتجسدة في صورة القوى الشيطانية والابتزازية المعادية للإنسان، ولا تخشوا هذه القوى الخاوية من الإيمان، واعقدوا في هذه المواقف العظيمة ـ بعد الاتكال على اللّه ـ عهد الاتفاق والاتحاد في مواجهة جنود الشرك والشيطان، واحذروا التفرّق والتنازع ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.

وفي مناسبة أخرى يقول الإمام (رضى الله عنه) : (الآية الكريمة جعل اللّه الكعبة البيت الحرام قياما للناس توضّح سر الحج وبواعثه، والغاية من الكعبة والبيت الحرام، وهي نهوض المسلمين وقيامهم في سبيل مصالح الناس والجماهير المستضعفة في العالم)[٢].

الانضواء الكفاحي

بهذه الروح الشفّافة الواعية المنفتحة على هموم الواقع وتحدياته... يمضي الإمام الراحل في تشخيص الخلل وإعطاء البديل. ولو تسنّى لنا متابعة كلّ ما ذكره في خطاباته وكتاباته ووصاياه؛ لوجدنا أنّ الإمام (قدس سره) لا يفتأ يميط اللثام عن إشكاليات المرحلة، ولا يتوانى عن استعمال مبضعه كالجرّاح في

(١) يُراجع مقال الأستاذ محمد علي حسين المذكور أعلاه.

(٢) من نداء الإمام إلى حجاج بيت اللّه الحرام ١٤٠١هـ.

العلاج، كلّ ذلك في نطاق التزام صارم بالمشروع الإسلامي، والانضواء تحته، مهما كانت الظروف، ومهما بلغت التحديات، فالخميني لا يعرف شيئا اسمه الانصياع أو حتى التراجع!

هذا الانضواء الكفاحي، على صعيد حركة التبليغ والدعوة، كما نلاحظ ـ يقول كاتب مرموق ـ يصل عند الإمام إلى مستوى الذوبان في المشروع الإسلامي، فلا يتنفس إلاّ من خلاله، منفتحا به على أصحاب الحق، يلاحقهم إلى أقصى مكان في الأرض مرشدا وشاهدا غير مضطرب ولا متعثّر. فإيمانه بهم يعدل إيمانه بشرعية مشروعهم الذي هو مشروعه في كلّ حال. ولا يستثني في دعوته إلى الإسلام أحدا من الأمة. وهو وإن خاطبها بكليتها أفقيا، فلم يفته التوجه أيضا إلى شتى شرائحها العمودية من أهل الشارع إلى الحكام، فلا أحد في الأمة محسوب خارج نطاق الرسالة : (انفخوا في أهل السوق والشارع، وفي العامل والفلاح والجامعي، روح الجهاد، فيهب الجميع إلى الجهاد... الكلّ يطلب الحرية والاستقلال والسعادة والكرامة)بذلك يوصي الإمام المبلغين ليوصي المبلغون غيرهم، فتنتقل الحركة بالرسالة من حلقة إلى حلقة، ومن يد إلى يد لتبلغ الهدف النهائي[1].

وعلى مدى عمره الحافل بالعطاء والمواقف المشهودة... لم يتخلّ الإمام يوما عن أداء مهامه الثقيلة، حتى وهو في آخر شيخوخته. ولقد حملت نداءاته المتكررة إلى حجاج بيت اللّه الحرام الكثير من توجيهاته القيمة في هذا الاتجاه. وهنا نقف ـ بشكل خاص ـ أمام ندائه الذي وجهه لهم عام ١٤٠٠هـ. كعيّنة لتلك النداءات، ولما تنطوي عليه من أفكار ورؤى وحلول.

□

(١) د. سمير سليمان؛ المرجع السابق: ٦٥.

الحج منطلق الوحدة

لئن كانت الحركة مظهرا ضروريا في حياة الأمة المسلمة، فإنّ وحدة أجزاء الأمة أكثر ضرورة للحياة؛ لأنّ تفكك الأجزاء يعني فقدان الجسد الواحد. والأمة الإسلامية ينبغي أن تكون كالجسد الواحد.. إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى. والوحدة أيضا ضرورة لازمة للوقوف بوجه أنواع التحديات التي تجابه المسلمين.

أهمية وحدة المسلمين تتجلى في تأكيد الإسلام على التجمعات الإسلامية في الجماعات والجمعة والأعياد، وتأكيده على تكوين الجسد الواحد والبنيان المرصوص.

كما تتجلّى أيضا في المؤامرات الواسعة المدروسة، التي يدبرها أعداء الإسلام لتفريق صفوف المسلمين.

الإمام الخميني يؤكد مرارا في أحاديثه على أهمية رص صفوف الأمة، ويحذّر الأمة من كلّ تفرّق وتشتت، ويعتقد أنّ موسم الحج أفضل فرصة لتوثيق أواصر الوحدة والتفاهم والتعاون والتعاضد بين المسلمين، يقول: (لماذا لا يلتزم المسلمون وحكوماتهم بالأحاديث النبوية الكريمة التي جاء فيها: المسلمون يد واحدة على من سواهم؟! لماذا لا يوجد بينهم إلاّ الخلاف المستمر؟!

إنّ مشكلة المسلمين تتمثل اليوم في نشوب الاختلافات بينهم، والمستعمرون وضعوا خطة بث الخلافات بين المسلمين بعد الحرب العالمية، حين واجهوا قوة الإسلام، ففصلوا الحكومات الإسلامية عن بعضها، وألقوا الخلافات بين المسلمين، وجعلوا الحكومات الإسلامية متعادية مع بعضها.

يجب حل هذه المشكلة في يوم العيد، في يوم عرفة في بيت اللّه، حيث ينبغي أن يجتمع الحكام في مكة المعظمة تلبية لأمر اللّه تبارك وتعالى، ويطرحوا المشاكل التي يواجهونها، ووضع الخطط الكفيلة بالتغلّب على هذه المشاكل.

إذا تمّ هذا الأمر لا تتمكن أية قوّة أن تتحداكم).

ويقول أيضا:

(من واجبات المسلمين في تجمع (الحج) العظيم دعوة الشعوب والمجتمعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة ونبذ الخلافات بين المسلمين، وعلى أصحاب القلم والبيان أن يبذلوا ما وسعهم على هذا الطريق، وفي سبيل إيجاد "جبهة المستضعفين"، ويحرروا أنفسهم بوحدة الكلمة وتحت شعار لا اله إلاّ اللّه من أسر القوى الشيطانية ومن براثن الأجانب والمستعمرين والمستغلين).

وفي جانب من النداء التاريخي يقول الإمام مشيرا إلى دور أمريكا في بث الفرقة وزرع الفتنة: (الشيطان الأكبر (أمريكا) دعا فراخه لإلقاء بذور التفرقة بين المسلمين بكلّ الحيل والوسائل، وجرّ الأمة الإسلامية والأخوة في الإيمان إلى الاختلاف والعداء؛ ليفتح أمامه السبيل إلى مزيد من النهب والهيمنة).

وبعد أن يضع يده على بعض أساليب الشيطان الأكبر وأتباعه في إثارة التناحر والتفرقة بين المسلمين... يوصي المسلمين بضرورة التسلح بالوعي: (على جميع المسلمين أن يعرفوا هؤلاء المنافقين، وأن يحبطوا مؤامراتهم الخبيثة).

الوعي السلاح الأمضى

تضافرت جهود ضخمة ومخططات حقودة على تغييب الوعي في أوساط المسلمين. ولعل موسم الحج ـ بوضعه الفعلي ـ أفضل معبّر عمّا يعانيه المسلمون اليوم من سطحية وضياع وركود وتشتت، لا أثر للمنافع التي ذكرها اللّه تعالى في الآية الكريمة... ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾. ليس هناك أي منافع على صعيد التوعية، ولا على الصعيد السياسي، ولا على الصعيد الاقتصادي... اللهم إلاّ ما يجنيه معسكر الكفر من أرباح اقتصادية في هذا الموسم، من خلال تدفّق بضائعه الكاسدة على أسواق مكة والمدينة وجدّة.

أكثر حجاج بيت اللّه الحرام تضيع أوقاتهم في موسم الحج بين أداء جامد غير واعٍ للمناسك، وبين تجوّل في الأسواق، وتهافت على شراء البضائع الأجنبية، وبين جلسات سمر واسترخاء، بأشكال متعددة، هذا هو الذي يعبّر عنه الإمام الخميني بالغفلة إذ يقول:

(لا يمكن للمسلمين أن يحيوا حياة مشرفة إلاّ بالإسلام، لقد أضاعوا إسلامهم، لقد عُدنا نجهل الإسلام، بسبب إيحاءات الغرب وتشويهاته، ولذلك فإنّ المسلمين يجتمعون كلّ عام في مكة المكرمة حيث جعلها اللّه ملتقى للمسلمين، لكنهم لا يدرون ماذا يفعلون، لا يستفيدون من هذا الاجتماع إسلاميا، ومثل هذا المركز السياسي جعلوه مركز غفلة عن كلّ مسائل المسلمين. ولو استثمر المسلمون عطاء الحج السياسي؛ لكان ذلك كفيلاً بتحقيق استقلالهم، لكننا أضعنا الإسلام مع الأسف، لقد أبعدوا الإسلام عن السياسة، فقطعوا رأسه وسلّموا لنا بقيته وجرّونا إلى الوضع الذي نعيشه اليوم، وما زال المسلمون على هذه الحالة فلن يستعيدوا مجدهم)[1].

وعلى هذا المنوال، يستعرض الإمام مظاهر الهجوم الشرس من قبل أعداء الإسلام على العالم الإسلامي، من قبيل ما كان يجري، يومئذ في أفغانستان، حيث الاجتياح السوفيتي، وما تشنه الدولة العبرية من هجوم واسع النطاق على المسلمين في فلسطين العزيزة ولبنان العزيز... ومع إعلان إسرائيل عن مشروعها الإجرامي بشأن نقل عاصمتها إلى القدس... وما يقدمه عملاء أمريكا من خدمات كبيرة لتنفيذ مخططها الإجرامي، مع ما يتزامن مع ذلك كلّه من حصار وتآمر ونشر دعايات سوء وأكاذيب وافتراءات ضد الثورة الإسلامية.

---

(١) من حديث الإمام الراحل إلى الطلبة الحجازيين المقيمين في إيران، ٢٤ ذي الحجة ١٤٠٠هـ.(نقلاً عن مقال الأستاذ محمد علي حسين المذكور).

وهنا يقول الإمام (رضى الله عنه) : (على المسلمين أن يكونوا يقظين أمام خيانات هؤلاء العملاء الأمريكيين بالإسلام والمسلمين).

ومتى ما توفر الوعي واليقظة فإنّ قدرا مهما من تفويت الفرصة على أعداء الإسلام، يكون قد تحقق على أرض الواقع، وبخلاف ذلك، فإنّ المخطط المناوئ للإسلام يشقّ طريقه دون أية عوائق تذكر، وهذا ما يدلّنا على سر العداء الشديد الذي تكنّه الدوائر الاستكبارية للحركات الإسلامية، والتي دأبت على وصفها بالحركات الأصولية أو الراديكالية أو الإرهابية...

القوميّة : البديل الخائب

على أنّ الأمر لم يقف عند هذا الحد، فقد عمدت الدوائر المعادية للإسلام إلى فتح جبهات عديدة ضد الإسلام وحركته المتصاعدة. وقد نبّه الإمام الخميني الراحل إلى خطورة هذه الأساليب ومغبّة الانسياق وراءها، إذ يقول: (من المسائل التي خطط لها المستعمرون، وعمل على تنفيذها المأجورون لإثارة الخلافات بين المسلمين... المسألة القومية، التي جندت حكومة العراق نفسها منذ سنين لترويجها.

بعض الفئات انتهجت هذا (الخط القومي) أيضا، فجعلت المسلمين مقابل بعضهم، بل وجرّتهم إلى المعاداة أيضا غافلة أنّ موضوع حبّ الوطن وأهل الوطن وصيانة حدوده وثغوره لا يقبل الشك والترديد، وهو غير مسألة النعرات القومية لمعاداة الشعوب الإسلامية الأخرى.

فهذه المسألة عارضها الإسلام والقرآن الكريم والنبيّ الأعظم. النعرات القومية التي تثير العداء بين المسلمين والشقاق بين صفوف المؤمنين تعارض الإسلام، وتهدّد مصالح المسلمين، وهي من مكائد الأجانب الذين يزعجهم الإسلام وانتشاره.

إنّ قوى الكيد الاستعماري وجّهت ضربات قويّة إلى كلّ مظاهر الإسلام ومعالمه وركائزه، كما أنّ الحركات القومية في العالم الإسلامي، وجّهت بدورها ضربات مهلكة إلى كيان القوى المجاهدة، التي كانت تخوض صداماً مريراً ضد أعداء الإسلام. وأن ظهور فكرة (القومية العربية) في العالم العربي، وفكرة (القومية التركية) في تركيا، وفكرة (القومية الفارسية) في إيران، وفكرة القوميات المشابهة في سائر الدول الإسلامية جاء بهدف التصدي للحركات الإسلامية، حيث لعبت تلك الأفكار دورا كبيرا في ضمان مصالح الاستعمار.

وعلى الصعيد الثقافي، كانت الأنظمة العميلة تسعى دائما لإحلال الثقافة الغربية محل الثقافة الإسلامية بذريعة إحياء الثقافة الفولكلورية والقومية. وإنّ المساعي الكبيرة التي بذلها نظام الشاه، ورؤوس الأموال التي قام بتوظيفها، في مجال إحياء التقاليد القديمة مثل؛ التقاليد (الزرادشتية، والمانوية وغيرها) بمساعدة ما يسمى بمتخصصي الشؤون الإيرانية من الأوروبيين والأمريكيين، واستبدال التاريخ الإسلامي بتاريخ ملكي.. جاءت كلّها للغرض المذكور[1].

وقد أدان الإمام الراحل، مرّات عديدة، النعرات القومية، سواء تلك التي في إيران أو في العالم الإسلامي، مؤكدا أنها من دسائس المستعمرين، وها هو يقول: (إنّ القوى الكبرى درست خلال سنوات طويلة كلّ أوضاع المسلمين.. أجرت مطالعات على الأفراد والجماعات وعلى أراضينا وغاباتنا، وخرجت بنتيجة هي: أنّ الإسلام وحده هو الذي يستطيع أن يقف بوجههم في جميع المجتمعات.. وراحت هذه القوى تخطط لمجابهة الإسلام عن طريق الحكومات الفاسدة، وأوعزت إلى هذه الحكومات أن تثير مسائل العصبيات العنصرية بين المسلمين، فجعلت العرب مقابل الفرس والأتراك، وجعلت الفرس مقابل

(١) بشيء يسير من التصرّف، يُراجع كتاب(الثورة الإسلامية: مسيرة ظافرة ومستقبل زاهر) للشيخ مسيح مهاجري، ترجمة سمير أرشدي، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، ١٤٠٤هـ : ٢٣.

الأتـراك والعـرب، وجعلـت الأتـراك مقابـل الآخـرين.. وهكـذا أوقعـت بـين القوميات المختلفة.

ولقد أكّدتُ مراراً أنّ هذه النعرات القومية هي أساس مصيبة المسلمين، إذ أنّ هذه النعرات تجعل الشعب الإيراني مقابل سائر الشعوب المسلمة، وتجعل الشعب العراقي مقابل بقية المسلمين، وهذه المخططات طرحها المستكبرون للتفريق بين المسلمين).

وراح الإمام يضرب أمثلة حيّة من واقعنا المعاصر، إذ يقول: (الحكومة السابقة في العراق ـ وهذه الموجودة ـ ليست بأفضل من سابقتها طبعا ـ طرحت مسألة أحياء أمجاد بني أمية؛ ليجعلوا منها مسألة مقابل المسألة الإسلامية)[1].

فالإسلام جاء ليذيب الأمجاد في مجد اللّه ، ولكن هؤلاء رفعوا شعار إحياء أمجاد بني أمية، وليس طرح هذه المسألة من تدبير تلك الحكومة، بل من تدبير القوى الكبرى التي تروم التفريق بين المسلمين...

وفي إيران، قرع بعض المغرضين والغافلين على طبل القومية، وأرادوا بذلك أن يواجهوا الإسلام... وقبل سنين ـ وأظن في زمن رضا خان ـ تأسس في إيران مجمع أعدّ الأفلام والقصائد والمقالات التي تندب الأمجاد الإيرانية (...) وتأسف على انتصار العرب على إيران، وتذرف دموع التماسيح على ضياع طاق كسرى...

وهؤلاء القوميون الخبثاء بكوا كثيرا على اندحار السلاطين الفرس على يد الإسلام! ومثل هذه الروح المعارضة للقرآن أوجدها المستعمرون في البلاد العربية وغير العربية[2].

---

(١) يشير الإمام قدس سره إلى ما بذله الرئيس العراقي السابق عبد السلام محمد عارف في هذا المضمار، وما تركه من تداعيات وإثارة للفتنة.

(٢) من حديث الإمام لأعضاء مؤتمر القدس، ٢٧ رمضان ١٤٠٠هـ.

السموم الطائفية

وليت الأمر يقتصر على الغفلة، وإثارة النعرات القومية، فهناك ما هو أخطر من هذه وتلك، وهو الأيدي التي تدس السم في العسل، خلال موسم الحج، وتعمل على تعميق تخلّف المسلمين وتشتتهم وتباعدهم.

هذه الأيدي الخفيّة التي انكشف عنها القناع، بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، تحاول أن تعقّد أوضاع المسلمين أكثر ممّا عليه الآن، بتوزيع الكتب السامّة المثيرة للعنعنات الطائفية والقومية، للإيغال في تمزيق صفوف المسلمين، وتوسيع الثغرة التي ينفذ منها أعداء الإسلام إلى ربوع العالم الإسلامي، يقول الإمام: (المسلمون ينبغي أن يشهدوا منافع لهم، في هذا الحشد الإسلامي الكبير، لكن ما يحدث ـ وللأسف الشديد ـ هو العكس من ذلك. فالأقلام المأجورة المسمومة المفرّقة بين صفوف المسلمين تتحرّك في هذا التجمّع لمصادرة أهداف الوحي الإلهي، فتنشر في مهبط الوحي أوراقاً مفرّقة للصفوف مثل (الخطوط العريضة)[1] مليئة بالأكاذيب والافتراءات)[2].

ورغم خطورة إثارة النزعة القومية، فإنّ الإمام (قدس سره) يحذّر من مغبّة الفتنة الطائفية: (هناك ما هو أخطر من النعرات القومية وأسوأ منها، وهو إيجاد الخلافات بين أهل السنة والشيعة، ونشر الأكاذيب المثيرة للفتن والعداء بين الأخوة المسلمين).

ثم يشير قدس سره إلى مسألة طالما أثارها المتصيدون في الماء العكر، وما يزالون يعزفون على أوتارها الصدئة: (في إطار الثورة الإسلامية في إيران لا يوجد ـ وللّه الحمد ـ أي اختلاف بين الطائفتين، فالجميع يعيشون معا متآخين متحابين.

---

(١) وهو كتاب سيء لكاتب تحوم حوله الشبهات، يبتغي الفتنة بين المسلمين.

(٢) من نداء الإمام إلى الحجاج عام ١٣٩٩هـ.

أهل السنّة المنتشرون بكثرة في إيران، والقاطنون مع العدد الكبير من علمائهم ومشايخهم في أطراف البلاد وأكنافها، متآخون معنا ونحن متآخون ومتساوون معهم، وهم يعارضون تلك النغمات المنافقة التي يعزفها بعض الجناة المرتبطين بالصهيونية وأمريكا.

ليعلم الأخوة أهل السنة في جميع البلدان الإسلامية أنّ المأجورين المرتبطين بالقوى الشيطانية الكبرى لا يستهدفون خير الإسلام والمسلمين. وعلى المسلمين أن يتبرأوا منهم، ويُعرضوا عن إشاعاتهم المنافقة).

وأنهى الإمام كلامه حول هذه النقطة بقوله: (إنني أمدّ يد الأخوّة إلى جميع المسلمين الملتزمين في العالم، وأطلب منهم أن ينظروا إلى الشيعة باعتبارهم إخوة أعزاء لهم، وبذلك نشترك جميعاً في إحباط هذه المخططات المشؤومة).

وفي بادرة واعية، تفوّت على المغرضين أغراضهم الدنيئة، وتسحب البساط من تحت أرجلهم، أوصى الإمام الراحل (قدس سره) الحجاج الإيرانيين وجميع الحجاج الشيعة بعدّة وصايا حكيمة تساهم في تمتين وشائج وحدة المسلمين وقطع الطريق على المراهنين على تفرّقهم. إذ يقول: (على الأخوة الإيرانيين وجميع الشيعة أن يتجنبوا الأعمال الجاهلة التي تؤدي إلى تفرّق صفوف المسلمين، وعليهم أن يشتركوا في جماعات أهل السنة، وأن يتجنبوا عقد صلاة الجماعة في البيوت، ونصب مكبرات الصوت بدون انتظام، وإلقاء النفس على القبور الطاهرة، والأعمال المخالفة للشرع).

□

ثم أنهى وصاياه بالقول: (يجزي ويلزم في الوقوفين العمل وفق أحكام قضاة أهل السنة، ما لم يُقطع بخلاف ذلك)[١].

وهنا يثبت الإمام الخميني أنه رجل المرحلة التاريخية، وأنه يتصرّف بمستوى ما تقتضيه المصلحة الإسلامية العليا، متجاوزا كلّ الحسابات الطائفية والمذهبية.

الإسلام هو المستهدف

من المعروف أنّ الإشاعة ظاهرة اجتماعية وُجدت منذ أن وُجد الإنسان على الأرض.. ومن أهدافها السياسية؛ بث الخوف والرعب والحقد والكراهية والعداوة، وزرع بذور الفتنة والشك واليأس في نفوس الجمهور المستهدف، وكذلك تشويه سمعة وصورة الأفراد والجماعات والمجتمعات والشعوب والدول والقادة ؛ لخلخلة وحدة الصف، والعمل على تكوين الرأي العام أو جسّه أو تعبئته أو تضليله، حول موضوع ما يلامس حياة الناس اليومية[٢].

وفي العقدين الأخيرين، لم تتعرض جهة ما إلى هجمة إشاعات مكثفة ومدروسة كالتي استهدفت الثورة الإسلامية، خاصة من قبل الأوساط الإعلامية والسياسية في الغرب، وبالذات الأمريكية منها. وقد تابع ذلك الهجوم المنظم بدقة البروفسور ادوارد سعيد، في كتابه القيّم (تغطية الإسلام)[٣]، حيث كشف فيه كيف تقوم وسائل الإعلام وصنّاع الرأي العام في أمريكا بعرض الإسلام والثقافة الإسلامية بصورة مشوهة مقصودة.

---

(١) من حكم الإمام إلى ممثليه في موسم الحج ٢٨ شوال ١٣٩٩هـ.(نقلاً عن مقال الأستاذ محمد علي حسين).

(٢) إبراهيم أحمد أبو عرقوب:(سيكولوجية الإشاعة)، دورية(قراءات سياسية(أمريكا)، العدد الثاني، السنة الخامسة، ربيع ١٤١٥هـ. - ١٩٩٥م : ١٠١ وما بعدها.

(٣) صدر بالانجليزية عام ١٩٨٠ وقامت بترجمته إلى العربية سميرة خوري، وطبع في بيروت ١٩٨١.

ولم تَغِبْ أهداف تلك الإشاعات عن وعي الإمام الراحل الذي راح يسلّط الضوء المكثّف عليها، ومن ثم فضح مآربها. إذ يقول: (من الإشاعات المثارة بشكل واسع ضد إيران على الظاهر، وضد الإسلام في الواقع، الزعم بأنّ ثورة إيران لا تستطيع إدارة البلاد، وأنّ الحكومة الإيرانية توشك على السقوط ؛ لافتقادها الاقتصاد السالم، والتعليم الصحيح، والجيش المنسجم، والقوات المسلحة المجهزة!!

وهذه الإشاعات تنشرها جميع وسائل الإعلام الأمريكية ووسائل الإعلام المرتبطة بها، لتثلج صدور أعداء إيران، بل أعداء الإسلام.

هذه الإشاعات موجهة في الواقع ضد الإسلام، وتستهدف التشكيك في قدرة الإسلام على إدارة البلدان في هذا العصر، وعلى المسلمين أن يدرسوا هذه المسائل جيّدا، ويقارنوا الثورات غير الإسلامية بالثورة الإسلامية في إيران.

وبعد أن يعدّد الإمام قدس سره مظاهر الخطل في حسابات أعداء الإسلام، وكيف أنّ الأمة أثبتت ولاءها واستعدادها للبذل والعطاء والتضحية، على كلّ الأصعدة.. ينتقل ليقول مذكّرا: (وليعلم أعداؤنا أنّ الثورة الإسلامية فريدة بين ثورات العالم في قلّة خسائرها وعظم مكتسباتها. وهذا ما لم يتحقق إلاّ ببركة الإسلام).

ثم راح يتساءل: (ماذا يقول هؤلاء الموتورون؟!

كيف يعجز الإسلام اليوم عن إدارة البلدان، وهو قد حكم نصف المعمورة، خلال قرون متطاولة، وأطاح بعروش الكفر والظلم خلال أقل من نصف قرن؟!

شعبنا اليوم على أتم الاستعداد والنشاط للمساهمة في إدارة البلاد واستتباب النظام فيها. أعداء الإسلام غافلون أو متغافلون عن قدرة الإسلام على هدم قواعد الظلم، وإقامة صرح إدارة البلاد على أسس العدالة.

أعداء الإسلام، بل كثير من أحبائه أيضا يجهلون قدرة الإسلام الإدارية ومبادئه السياسية والاجتماعية. كان الإسلام في الحقيقة مهجورا أو محجوبا، خلال العصور التي تلت عصور صدر الإسلام. واليوم ينبغي أن تتضافر جهود جميع المسلمين والعلماء والمفكرين والإسلاميين على طريق تعريف الإسلام، كي يسطع وجهه المشرق الوضاء كسطوع الشمس)[1].

أمريكا.. مصّاصة الدماء

لم تواجه السياسة الأمريكية، في عصرنا الحديث، مقاوما عنيدا وصلبا كالإمام الخميني (رضى الله عنه). لقد خلط هذا الشيخ الطاعن في السن كلّ الأوراق على الإدارة الأمريكية التي كانت تمنّي نفسها بالأماني، وهي تتحصن بأهم قلاعها في المنطقة، وإذا بأصحاب الأيادي المتوضئة يبرزون إليها من بين الآكام والأكواخ والمعاناة ويلقنونها درساً بليغا لن تنساه، فيطردونها من تلك القلعة، ويطاردونها في غير موقع.

والإمام الراحل لم يترك مناسبة دون أن يشير إلى الشيطان الأكبر باعتباره المسؤول الأول عن الكثير من المآسي والكوارث التي حلّت بالشعوب، وقد قارع الإمام الخميني الهيمنة الأمريكية، منذ وقت مبكر، بل إنه دشن ولوجَه عالم السياسة بمهاجمة السياسة الأمريكية حيال إيران وبقية الشعوب المستضعفة.

وظلّ على موقفه الثائر من أمريكا حتى اللحظة الأخيرة. ولأهمية فضح الزيف وكشف حقيقة الوجه البشع لأمريكا دأب الإمام (قدس سره) في كلّ المواطن على توعية الشعوب المسلمة وتحذيرها من الخطر الأمريكي.

---

(١) من نداء الإمام إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤٠٠هـ.

وقلّما يخلو خطاب له من هذه النبرة. وفي ندائه لحجاج بيت اللّه الحرام يشير إلى هذه النقطة بقوله: (أهم مسألة تعانيها الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية الخاضعة للسيطرة وأمضّها ألما هي مسألة أمريكا.

الحكومة الأمريكية باعتبارها أقوى حكومة في العالم، لا تدّخر وسعا في ابتلاع المزيد من ثروات البلدان الخاضعة لسيطرتها. أمريكا تحتل المرتبة الأولى بين أعداء الشعوب المحرومة والمستضعفة في العالم، وهي لا تتورّع عن ارتكاب أية جريمة على طريق فرض هيمنتها السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية على البلدان الخاضعة لسيطرتها. إنها تستغل الشعوب المظلومة في العالم، عن طريق دعايات واسعة تخطط لها أجهزة الصهيونية العالمية. إنها تعمل عن طريق عملائها المتسترين الخونة على امتصاص دم الشعوب الضعيفة، وكأنها هي وحلفاؤها وحدها تمتلك حق الحياة!

إيران إذاً أرادت أن تقطع علاقاتها مع هذا الشيطان الأكبر في جميع المجالات، تعاني اليوم من هذه الحروب المفتعلة. أمريكا تحث العراق على سفك دم شبابنا، ودفعت جميع البلدان الخاضعة لنفوذها إلى الإطاحة بنا، عن طريق المقاطعة الاقتصادية. ومن المؤسف أنّ كثيرا من البلدان الأوروبية والأسيوية ناصبتنا العداء أيضا.

على الشعوب الإسلامية أن تعلم أنّ إيران بلد يحارب أمريكا رسمياً، وأن شهداءنا هم من الشباب الأبطال العسكريين والحرس، الذين يقفون في وجه أمريكا دفاعا عن إيران وعن الإسلام العزيز.

فمن الضروري أن نذكر ـ إذن ـ أن الاشتباكات التي نواجهها يوميا في غرب الوطن العزيز، هي اشتباكات تفتعلها أمريكا عن طريق الفئات المنحرفة المرتبطة بالأجنبي. وهذه مسألة ترتبط بمحتوى ثورتنا الإسلامية القائمة على أساس الاستقلال الحقيقي. إذ لو كنّا قد تنازلنا لأمريكا أو لسائر القوى الكبرى لما عانينا

من هذه المصائب، لكن شعبنا ما عاد مستعدا لقبول الذل والخضوع، وأنه يفضل الموت الأحمر على حياة الذل والعار. إننا مستعدون للقتل، وعاهدنا اللّه أن نقتدي بإمامنا سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام).

ثم يوجه الإمام خطابه إلى الحجيج قائلاً:

(أيها المسلمون المتضرعون إلى اللّه قرب بيت اللّه.

ادعوا إلى الصامدين بوجه أمريكا وساير القوى الكبرى، واعلموا أننا لسنا في حرب مع العراق، بل إن شعب العراق يساند ثورتنا الإسلامية. نحن في صراع مع أمريكا، واليوم فإنّ يد أمريكا تجسّدت في حكومة العراق، وسيستمر هذا الصراع بإذن اللّه حتى نحقق استقلالنا الحقيقي.

ولقد قلت مرارا؛ إنّنا رجال حرب، وليس للاستسلام معنى في مفهوم الإنسان المسلم.

أيّها البلدان غير المنحازة. اشهدي أن أمريكا تستهدف إبادتنا، فكّري في الأمر قليلاً، وساعدينا على طريق تحقيق أهدافنا.

نحن أعرضنا عن الشرق والغرب، عن الاتحاد السوفيتي وأمريكا، لندير بلادنا بأنفسنا، فهل من الحق أن نتعرّض بهذا الشكل لهجوم الشرق والغرب؟!

إنه لاستثناء تاريخي في أوضاع العالم الحالية أن يكون هدفنا منتصراً حتماً بموتنا وشهادتنا وانهزامنا)[1].

هذا هو... الطريق!

وككل عظماء التاريخ وصنّاع أحداثه ومنعطفاته الكبرى، لم يكتفِ الإمام بتعداد مظاهر الخلل وتشخيص مواطن الداء.. بل سرعان ما ينتقل إلى طرح البديل. وها هو يرسم الخطوط العريضة لمشروع النهوض والوعي.

---

(١) المرجع نفسه.

أيها المسلمون المؤمنون بحقيقة الإسلام.

- انهضوا... ووحدوا صفوفكم تحت راية التوحيد، وفي ظل تعاليم الإسلام.
- واقطعوا أيدي القوى الكبرى الخائنة عن بلدانكم وثرواتكم الوفيرة.
- وأعيدوا مجد الإسلام.
- وتجنّبوا الاختلافات والأهواء النفسية.. فإنكم تملكون كلّ شيء.
- اعتمدوا على الفكر الإسلامي.
- وحاربوا الغرب والتغرّب.
- وقفوا على أقدامكم.
- واحملوا على المثقفين الموالين للغرب والشرق.
- اوجدوا هويتكم.. واعلموا أن المثقفين الذين باعوا أنفسهم للأجنبي أذاقوا شعبهم ووطنهم الأمرّين.

وما لم تتحدوا وتتمسكوا بدقة بالإسلام الصحيح، فسيحلّ بكم ما حلّ بكم حتى الآن.

إننا في عصر، ينبغي أن تضيء الشعوب الطريق فيه لمثقفيها، وأن تنقذهم من الانهيار والضعف أمام الشرق والغرب. فاليوم يوم حركة الشعوب، وهي التي ينبغي أن توجّه مَنْ كان يوجهها من قبل).

بعد ذلك، ينفخ الإمام في الحجيج روح الثورة والرفض: (اِعلموا أنّ قدرتكم الروحية ستتغلب على جميع الطواغيت، وتستطيعون بعددكم البالغ مليار إنسان وبثرواتكم الطائلة، غير المحدودة، أن تحطموا جميع القوى.. انصروا اللّه كي ينصركم.

أيها الجموع الغفيرة من المسلمين.. انتفضوا وحطموا أعداء الإنسانية، فإن اتجهتم إلى اللّه تعالى، والتزمتم بالتعاليم السماوية، فاللّه تعالى وجنده العظام معكم)[1].

وبعد.. كانت هذه نفحات من الروح الخمينية التي أرعبت الطغاة، وهددت العروش، وأربكت الحسابات السياسية، وخلطت على دهاقنة السياسة أوراقهم...

اليوم، ونحن نقف أمام مئوية ميلاده... فإنّ من الوفاء أن يُحتفى بهذه المناسبة، بل لعله أقل الوفاء أن تصدر الكتب، والأعداد الخاصة من المجلات، والبوسترات، وإقامة الندوات، والمهرجانات.. في هذه المناسبة.. ولكن الوفاء، كلّ الوفاء، أن يظل حَمَلة رايته سائرين في خطّه ومنهجه.. أوفياء أمناء على أفكاره ومشروعه.

لقد عاش الإمام قدس سره بكلّه للإسلام.. ولم يتفيّأ لحظة غير ظلال الإسلام.. لم ترَ فيه يوما نزعة وطنية أو قومية، أو إيران للإيرانيين!

لم يرضخ ذات مرّة.. ولم يهادن.. ولم يساوم على مبادئه مهما ادلهمّت الخطوب.. وتحت أية ذريعة كانت.

عاش هموم المسلمين والمستضعفين.. أينما كانوا.. فبادله هؤلاء حبّا بحب.. ووفاء بوفاء.

ولا أظنّ أنّ هناك من يسمح لنفسه أن يتنصّل عن المشروع الخميني، وإن وجد فإنّه قد طعن بفعله هذا الخميني في الصميم أيا كانت الذرائع التي يتذرع بها. فسلام عليك أبا المحرومين.. وناصر المظلومين في الخالدين.

(١) المرجع نفسه.

الحج في فكر الامام الخميني قدس سره

الحجر الأسود

في ذلك الوادي الذي وصفه الله ـ تعالى ـ بأنه (غير ذي زرع) يرفع إبراهيم وإسماعيل قواعدَ البيت الحرام، وعيونهما بين لحظة وأُخرى ترمقان السماء، ويدعوان الله ـ تعالى ـ أن يتقبل عملهما ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ﴿**وإذا يرفع إبراهيمُ القواعد من البيت وإسماعيلُ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾[1].

وما إن وصلا ببناء الكعبة إلى المكان الذي شاء الله ـ تعالى ـ أن يوضع فيه الحجر الأسود (الركن الشرقي من جدار الكعبة، بينه وبين الأرض ذرعان وثلثا ذراع، مقابل زمزم..)[2] حتى أمر إبراهيمُ إسماعيلَ قائلاً: ائتني بحجر ليكون علماً للناس، يبتدئون منه الطواف. فأتاه بحجر لم يرضه... وبعد هنيئة وإذا بحجر بين يدي إبراهيم. فيعجب إسماعيل لهذا، ويسأل: من أين جاء هذا الحجر؟ فيُجيبه إبراهيم: جاءني به جبريل من عند مَن لم يتكل على بنائي وبنائك، ولم يكلني على حجرك[3].

ويكتمل البناء، ويُرفع الأذان بالحج على لسان نبيِّ الله إبراهيم، ويلبي الناسُ دعوته من كلّ مكان، وتبدأ مسيرة الحج العظيمة لتستمر عَبر التأريخ وإلى ما شاء الله تعالى:

﴿**وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجٍّ عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسمَ الله في أيام معلوماتٍ على ما رزقهم من**

---

(١) البقرة: ١٢٧.

(٢) معجم البلدان: ٢٢٤ حرف الحاء، وورد خطأً أنه في الركن الشمالي؛ وانظر معجم معالم الحجاز ٢: ٢٣٥؛ موسوعة المورد ٢: ٧٤.

(٣) أخبار مكة، الأزرقي ١: ٦٢ و٦٥ طبعة الشريف الرضي، قم، إيران؛ تاريخ الطبري ١: ١٥٣ دار الكتب العلمية، بيروت.

بهيمة الأنعام فكُلوا منها وأطعِموا البائسَ الفقير ثم ليقضوا تفثَهُم وليوفوا نذورهم وليطوّفوا بالبيت العتيق﴾[١].

وبقيت الكعبة على هيئتها من عمارة إبراهيم عليه السلام حتى أتى عليها سيل عظيم انحدر من الجبال فصدع جدرانها بعد توهينها ثمّ بدأت تنهدم، فاجتمع كبراء قريش، وقرّروا إعادة بنائها.. وراحت قريش تنفذ ما قررته حتى ارتفع البناء إلى قامة الرجل، وآن لها أن تضع الحجر الأسود في مكانه من الركن، اختلفت حول مَن منها يضع الحجر في مكانه، وأخذت كلّ قبيلة تطالب بأن تكون هي التي لها ذلك الحقّ دون غيرها، وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدي أن يحولوا بين أية قبيلة وهذا الشرف العظيم، وأقسموا على ذلك جهد أيمانهم، حتى قرّب بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، وأدخلوا أيديهم فيها توكيداً لأيمانهم؛ ولذلك سُمُّوا (لَعَقَة الدم). وعظم النزاع حتى كادت الحرب أن تنشب بينهم لولا أن تدخل أبو أمية بن المغيرة المخزومي بعد أن رأى ما صار إليه أمر القوم، وهو أسنهم، وكان فيهم شريفاً مطاعاً، فقال لهم:

يا قوم؛ إنما أردنا البرَّ، ولم نرد الشرَّ فلا تحاسدوا، ولا تنافسوا فإنكم إذا اختلفتم تشتت أُموركم، وطمع فيكم غيركم، ولكن حكموا بينكم أول مَن يطلع عليكم من هذا الفج (أو اجعلوا الحكم بينكم أول مَن يدخل من باب الصَّفا) قالوا: رضينا وسلمنا[٢].

فلما قبلوا هذا الرأي، أخذوا ينظرون إلى باب الصفا منتظرين صاحب الحظّ العظيم، والشرف الرفيع الذي سيكون على يديه حقن دمائهم، وحفظ أنفسهم... فاذا بالطلعة البهية، والنور الساطع.. أُنظروا.. إنه محمّدٌ بن عبد الله.. إنه الصادق الأمين.. وبصوت واحد.. هذا الأمين قبلناه حكماً بيننا.. هذا

---

(١) الحج: ٢٧ - ٢٩.

(٢) أخبار مكة ١: ١٦٣؛ الكامل ٢: ٤٥؛ الطبري ١: ٥٢٦؛ سيرة ابن هشام ١: ١٩٧.

الصادق رضينا بحكمه.. ثمّ تقدم نحوه كبراؤهم وزعماؤهم.. يا محمد! أحكم بيننا فيما نحن فيه مختلفون! نظر إليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلم فرأى العداوة تبدو في عيونهم.. والغضب يعلو وجوههم.. والبغضاء تملأُ صدورهم.. أيُّ قبيلة سيكون لها هذا الشرف العظيم، والفخر الكبير، إن حكم لقبيلة دون أُخرى؟ وهل سيرضون بحكم كهذا، وقد ملئت قلوبهم بغضاً، ونفوسهم حقداً، ووضعوا أيديهم على مقابض سيوفهم، وعلت الرماح فوق رؤوسهم؟

في هذا الجو المرعب المخيف والمحاط بالشرّ، كلّ الشرّ، يقف الصادق الأمين ليعلن حكماً ينال رضاهم جميعاً، ويعيد السيوف إلى أغمادها.. الجميع سكوت ينتظر ما يقوله فتى قريش وأمينها، وهو في هذا العمر (٣٥ سنة) أمام شيوخ قريش وساداتها.. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: هَلُمّ (هلمّوا) إليّ ثوباً، الكلُّ ينظر إليه، ماذا يُريد بهذا محمد؟ فيقول آخرون: انتظروا لنرى. أُتي بالثوب، نشره بيديه المباركتين، رفع الحجر ووضعه وسط الثوب، ثمّ نظر إليهم وقال: ليأخذ كبيرُ كلِّ قبيلة بناحية من الثوب. فتقدّم كبراؤهم وأخذ كلّ واحد منهم بطرف من أطراف الثوب، ثم أمرهم جميعاً بحمله إلى ما يحاذي موضع الحجر من بناء الكعبة حيث محمد بانتظارهم عند الركن. تناول الحجر من الثوب ووضعه في موضعه، فانحسم الخلاف، وانفضّ النزاع بفضل حكمة الصادق الأمين[1]، التي منعت الفتن أن تقع، وحفظتِ النفوس أن تزهق، والدماءَ أن تُراق. حقاً إنّك يا رسول الله رحمةٌ للعالمين قبل بعثتك نبيّاً وبعدها، حياتك عطاءٌ كلّها وخيرٌ وبركة كلّها. رفعتَ الحجر بيدك المباركة من الأرض، ثمّ رفعته ثانية لتضعه في مكانه فنال بذلك بركات أيدٍ ثلاث لأنبياء عظام (إبراهيم وإسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم).

---

(١) أخبار مكة ١: ١٦٣؛ حياة محمد، هيكل: ١٢٤ ـ ١٢٦؛ الطبري ١: ٥٢٦، الكامل ٢: ٤٢ ـ ٤٥؛ سيرة ابن هشام ١: ١٩٧.

ولم يزل هذا الحجر في الجاهلية والإسلام محترماً معظّماً مكرّماً، ولم يعتدَ على حرمته ومكانته حتى جاء القرامطة يتزعمهم أبو طاهر القرمطي سنة ٣١٧ هـ ودخلوا مكّةَ عنوة (يوم التروية)، فنهبوها وقتلوا الحُجّاج، وسلبوا البيت، وقلعوا الحجر الأسود ثم حملوه معهم إلى بلادهم بالإحساء من أرض البحرين، ويقال: إنّه لما أخذ الحجر، قال: هذا مغناطيس بني آدم، وهو يجرّهم إلى مكّة، وأراد أن يحول الحجّ إلى الإحساء. وبقي عندهم اثنتين وعشرين سنة، وقد باءت كلّ محاولات ردّه بالفشل، حتى توسط الشريف أبو علي عمر بن يحيى العلوي بين الخليفة المطيع لله في سنة ٣٣٩ وبينهم حتى أجابوا إلى ردّه وجاءُوا به إلى الكوفة، وعلّقوه على الأسطوانة السابعة من أساطين الجامع، ثم حملوه وردّوه إلى موضعه في شهر ذي القعدة من سنة ٣٣٩ هـ، وصُنع له طوقان من فضة وأحكموا بناءَه[1].

وهناك بعض الاعتداءات والتجاوزات التي كان الحجر الأسود عرضةً وهدفاً لها، لكنها لم تصل في خطورتها إلى اعتداء القرامطة المذكور [2].

وظل هذا الحجر موضعاً يتبرك به الناس، يتزاحمون على استلامه، وعلى تقبيله بدءاً برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، فقد كان صلّى الله عليه وآله وسلم يقبّل الحجر الأسود عند دخوله إلى البيت، وقبل أن يبدأ طوافه سبعاً، ويعيد تقبيله بعد أن ينهي الطواف والصلاة.

ولما أراد أن ينطلق مهاجراً إلى المدينة، جاء إلى الكعبة واستلم الحجر الأسود، وقام وسط المسجد ملتفتاً إلى البيت قائلاً: إني لأعلم ما وضع الله ـ عزّ

(١) أخبار مكة ١: ٣٤٦؛ معجم البلدان: ٢٢٤ حرف ح؛ المختصر في أخبار البشر لابن الوردي ١: ٣٩٠.
(٢) أخبار مكة ١: ٣٤٦.

وجلّ ـ في الأرض بيتاً أحبّ إليه منكَ، وما في الأرض بلدٌ أحبّ إليّ منكِ (مكة)، وما خرجتُ عنكِ رغبةً، ولكن الذين كفروا هم أخرجوني... [١].

فكان تقبيل الحجر واستلامه أول عمل له صلّى الله عليه وآله وسلم في المسجد قبل الطواف، وقبل أن يقول أو يعمل شيئاً.

واقتدى المسلمون بسيرته صلّى الله عليه وآله وسلم، فأخذوا يقدسون الحجر الأسود ويعظمونه، وراحوا يتسابقون لاستلامه وتقبيله تبركاً به؛ لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان يستلمه ويقبله ويستقبله ويدعو عنده... وقد ورد في ذلك حشدٌ من الروايات التي تصرح وبضرس قاطع بجواز التبرك بهذا الحجر استلاماً وتقبيلاً... إضافةً إلى آراء فقهاء المسلمين وعلمائهم على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الفقهية وكلّها تؤكد استحباب التبرك به... كما تبين وجوب الابتداء بالطواف حول الكعبة وبأشواطه السبعة، من الحجر الأسود والانتهاء إليه. وعدم صحة الطواف بل بطلانه إذا لم يبدأ به وينتهي إليه. ولم أجد فيما تيسر لي من المراجع مخالفاً لذلك الاستحباب وهذا الوجوب.

قالوا في الحجر الأسود: كثرت الأقوال، واختلفت الآراء، والتساؤلات عن الحجر الأسود؛ من أين أُتي به؟ ومن أيّ شيء هو؟ وهل يضرُّ أو ينفع؟ وما هذهِ الهالة التي أُحيط بها في الروايات والأقوال وهو لا يعدو كونه حجراً عادياً؟..

وقد توفرتُ على كثير من هذهِ الأقوال والآراء، وقبل أن أذكر بعضاً منها، أقول: كلّ هذهِ الأقوال والآراء ـ التي دوّنت بعضها وتركتُ بعضها الآخر لا لشيءٍ إلاّ للاختصار ليست هي السبب في فضله، وقدسيته عندنا في تعظيمنا له؛ لأنّ ذلك الفضل وتلك القدسية وهذا التعظيم، وأيضاً وجوب البدء به في كلّ شوط من الطواف والانتهاء إليه، واستحباب التبرّك به تقبيلاً ولمساً أو استلاماً والدعاء عنده... كلّ هذهِ الأُمور ثبتت عندنا بالسنّة الصحيحة لرسول الله صلّى

---

(١) أخبار مكة ٢: ١٥٥.

الله عليه وآله وسلم فعلاً وقولاً وتقريراً، وسار عليها الصالحون وعموم المسلمين تعبداً، واقتداءً واتّباعاً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وتأسيّاً به، ولا يهمنا بعد هذا ما تحمله تلك الأقوال والآراء ككونه درّة بيضاء في الجنّة، أو أنزله جبريل من السماء، أو كان ياقوتاً أو جوهراً أو شيئاً آخر، أو أنه كما قرأت: مِن أن رجلاً من القرامطة، قال لرجل من أهل العلم بالكوفة، وقد رآه يتمسّح به وهو معلّق على الأُسطوانة السابعة: ما يؤمنكم أن نكون غيّبنا ذلك الحجر وجئنا بغيره؟ فقال له: إنّ لنا فيه علامة، وهو أننا إذا طرحناه في الماء لا يرسُب، ثمّ جاءَ بماء فألقوه فيه، فطفا على وجه الماء [1].

نعم، قد تزيدنا هذه الأقوال والآراء معرفةً به، واطلاعاً عليه، لو ثبتت أمام التحقيق العلمي لها. أما لو تركنا نحن وهذه الأقوال والآراء ـ وبعيداً عن السنّة المباركة ـ فإنّنا لا نستفيد تلك القدسية ولا ذلك الوجوب أو الاستحباب.

صحيح أن قراءة روايات الحجر الأسود التي سأذكر قسماً منها من السنّة والشيعة، وقراءة سيرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من الوقوف مستقبلاً هذا الحجر والدعاء عنده، ولمسه أو استلامه وتقبيله... هذه القراءة تبين لنا أنه حجر ذو شأن كبير وأثر عظيم، وأنه ليس كباقي الأحجار الأُخرى التي قد يحمل نفس مكوّناتها.

وعلى فرض صحة ما ذكرناه من أن إبراهيم عليه السلام قال لإسماعيل: ائتني بحجر ليكون علماً للناس، يبتدئون منه الطواف، لكن هذا لا يمنع من أن تكون له أغراض أُخرى، ـ غير كونه علماً يُبتدأُ منه الطواف ـ إن لم تكن في الدنيا ففي الآخرة كما تحدّثت عنها روايات الفريقين، وليس عجيباً وغريباً أن يدلي بشهادته في ساحة الحساب الأكبر ﴿**يومَ تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه...**﴾[2].

---

(١) معجم البلدان ٢: ٢٢٤ حرف الحاء.

(٢) آل عمران: ١٠٦.

قال تعالى: ﴿**الذي أنطق كلّ شيء...**﴾[1].

فينطق الحجر الأسود، ويشهد على كلِّ عهد، وكلِّ ميثاق تمّ في ساحته، حيث بداية مسيرة الطواف، فيستقبله كلُّ حاج ويدعو ويتعهّد عنده بالتخلي عن كلّ ما ارتكبه من انحراف ومن ذنوب ومخالفات. وأنه يجدّد البيعة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم والالتزام بما جاء به من عند الله ـ تعالى ـ ويتعهد أيضاً بالطاعة والانضمام إلى موكب التائبين، كما ستقرأ ذلك في الأدعية المأثورة عند الحجر وأول الطواف.

وعندئذ سيكون نطقه وستكون شهادته ضارةً أو نافعة لنا وبالتالي يمكن وصفه بأنه ضارٌ أو نافعٌ.

ولكنّا لو تركنا هذا كلّه وقلنا: إنه حجر كباقي الأحجار المبعثرة هنا وهناك، وإنه لا يستحق هذهِ الكثرة من الروايات والأقوال والآراء.. وبالتالي ليس هناك سببٌ لأن يحظى بالقدسية والاهتمام. ويبقى مجرد علامة يستدلّ بها الحجاج على بدء أشواط الطواف. إن قلنا هذا فسنواجه أسئلة كثيرة قد تثار، منها:

ما هذهِ الفضيلة والقدسيةُ اللتان أُعطيتا له من قبل المسلمين بكلّ مذاهبهم وعبر تأريخهم الطويل؟

وما هذا الاهتمام والاعتناء به والحرص عليه من قبل المسلمين؟ ناهيك عن أهل الجاهلية الذين كاد الأمر يصل بهم إلى سفك الدماء وقتل الأنفس من أجل نيل شرف وضعه في مكانه لولا رحمةُ الله ـ تعالى ـ وحكمة الصادق الأمين كما قرأنا.

ولماذا لم يوضع حجر آخر مكانه عند سرقته من قبل القرامطة، فقد ترك مكانه خالياً طيلة فترة غيابه عندهم؟ ولماذا لم يبدل بشيء آخر أو بحجر غيره كما بدلت أحجار الكعبة في كلّ عملية هدم وبناء تعرضت لها الكعبة في تأريخها، وقد

---

(١) فصلت: ٢١.

شمل التبديل حتى القواعد من البيت؟ فإن التاريخ لم يذكر لنا مثل ذلك. فقد بقي الحجر الأسود منذ أن وضعه إبراهيم عليه السلام في مكانه، يحمل الشكل نفسه والصفات ذاتها، إلاّ اللون الذي كان أبيضَ ناصعاً فاسودّ كما نقلت ذلك الروايات و....

وجوابنا هو: أنه حتى وإن قلنا: بأنه حجر كباقي الأحجار لا يفوقها بشيء، وتعرضنا لمثل هذهِ الأسئلة، جوابنا أن الله ـ تعالى ـ قد تعبدنا به كما تعبدنا بغيره، وليس لنا ـ كمسلمين ـ إلاّ الانقياد لذلك؛ لأن الانقياد إلى الله تعالى، وللذي تعبدنا به هو جوهر الدين وحقيقته، وإن لم نعرف العلة والحكمة من ذلك، ويجب علينا المحافظة على ما تعبدنا الله ـ تعالى ـ به، ورعايته بل وتقديسه.

ثم علينا بعد هذا أن نسكت عما يسكت الله تعالى ورسوله عنه. ولو توقفت المصلحة على التفاصيل لكان على الله تبيانها ولو من باب اللطف. ومن الحسن أن لا نخوض في أُمور لا يزيدنا الخوض فيها إلاّ جهلاً وإلاّ غموضاً وتعقيداً، وتكون بالتالي ميداناً لأن يُلقي بعضٌ بخرافاته وأوهامه، وبعض يهرف بما لا يعرف... بالتالي نفقد أشياء كثيرة في خضم هذه الأجواء.

بعد هذا نأتي إلى ذكر بعض ما قالوه في الحجر الأسود:

عن محمد بن علي بن الحسين قال: روي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام: (... وكان أشدّ بياضاً من اللبن فاسودّ من خطايا بني آدم، ولو لا ما مسّه من أرجاس الجاهليّة ما مسّه ذو عاهة إلاّ برئ) [١].

قال سلمان رحمه الله: (ليجيئن الحجر يوم القيامة مثل أبي قبيس له لسان وشفتان، ويشهد لمن وافاه بالموافاة) [٢].

---

(١) وسائل الشيعة ١٣: ٣٠٢، ٣١٩.

(٢) نفس المصدر.

وعن الإمام الرضا عليه السلام: (... إن الله لمّا أخذ مواثيق بني آدم التقمه الحجر، فمن ثمن كلّف الناس بتعاهد ذلك الميثاق.. ويقال عنده: أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة)[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: (إن للحجر لساناً ذلقاً يوم القيامة يشهد لمن وافاه بالموافاة.. ثمّ ذكر حديث خلق آدم وأخذ الميثاق على ذريّته، وأن الحجر التقم الميثاق من الخلق كلّهم، ـ إلى أن قال ـ: فمن أجل ذلك أُمرتم أن تقولوا إذا استلمتم الحجر: أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة)[٢].

وفي قول آخر لأبي عبد الله أيضاً: (والميثاق هو في هذا الحجر الأسود، أما والله، إنّ له لعينين وأذنين وفماً ولساناً ذلقاً...)[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (مرّ عمر بن الخطاب على الحجر الأسود فقال : والله يا حجر إنّا لنعلم أنّك لا تضرّ ولا تنفع، إلاّ أنّا رأينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يحبّك فنحن نحبّك، فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: كيف يا بن الخطاب؟! فو الله ليبعثنه الله يوم القيامة وله لسان وشفتان، فيشهد لمن وافاه، وهو يمين الله ـ عزّ وجلّ ـ في أرضه يبايع بها خلقه، فقال عمر: لا أبقانا الله في بلد لا يكون فيه علي بن أبي طالب)[٤].

وعن ابن عباس، إن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم قال لعائشة وهي تطوف معه بالكعبة حين استلما الركن: (يا عائشة، لولا ما طبع الله على هذا الحجر من أرجاس الجاهلية وأنجاسها إذن لاستشفي به من كلّ عاهة... وإنه لياقوتة بيضاء من ياقوت الجنّة، ولكن الله ـ عزّ وجلّ ـ غير حسنه بمعصية

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

العاصين.. وإن الركن يمين الله ـ عزّ وجلّ ـ في الأرض وليبعثه الله يوم القيامة وله لسان وشفتان وعينان ولينطقنه الله يوم القيامة بلسان طلق ذلق ليشهد لمن استلمه بحق استلامه اليوم، بيعة لمن لم يدرك بيعة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم)[١].

وذكر وهب أن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة أنزلا فوضعا على الصفا، فأضاء نورهما لأهل الأرض ما بين المشرق والمغرب كما يضيء المصباح في الليل المظلم يؤمن ويستأنس إليهما، وليبعثنّ الرّكن والمقام وهما في العِظم مثل أبي قبيس يشهد أن لمن وافاهما بالموافاة. فرفع النور عنهما وغير حسنهما ووضعا حيث هما [٢].

وقال عياض: الحجر الأسود يقال هو الذي أراده النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم، حين قال: إني لأعرف حجراً كان يسلّم عليّ، إنه ياقوتة بيضاء أشد بياضاً من اللبن فسوّده الله ـ تعالى ـ بخطايا بني آدم ولمس المشركين إياه [٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي قال: (نزل الحجرُ الأسود من الجنة وهو أشدّ بياضاً من اللبن فسوّدته خطايا بني آدم) [٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قال في الحجر: (والله ليبعثنهُ اللهُ يوم القيامة له عينان يُبصر بهما ولسانٌ ينطق به يشهدٌ على من استلمه بحقٍّ) [٥].

---

(١) البحار ٩٩: ٢٢١.

(٢) نفس المصدر.

(٣) معجم البلدان، باب الحاء ٢٢٤.

(٤) التاج الجامع(كتاب الحج) ٢: ١٢٩، ١٣٠؛ معجم البلدان ٢: ٢٢٤ ـ ٢٢٣.

(٥) نفس المصدر.

وقال عبد الله بن عباس: ليس في الأرض شيء من الجنة إلا الركن الأسود (الحجر) والمقام، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنّة، ولولا من مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلاّ شفاه الله.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنّة طمس الله نورهما، ولولا ذلك لأضاءا ما بين المشرق والمغرب، وقال محمد بن علي: ثلاث أحجار من الجنة: الحجر الأسود، والمقام، وحجر بني إسرائيل [١].

الحجر الأسود هو الحجر الموجود بمكة، وكان أبيض ناصعاً، وإنما اسودّ من كثرة لمس الناس له [٢].

هذا ويميل بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن الحجر الأسود في الكعبة المشرفة لا يعدو أن يكون رَجماً من الرُّجم. وهذهِ الرجم قد تكون مكونة من حديد حيناً، ومن حجارة حيناً، ومن مزيج من الحديد والحجارة في بعض الأحيان [٣].

وفي موضع آخر من موسوعته (المورد) يذكر أن الحجر الأسود حجرٌ بيضوي الشكل، أسود اللون، ضارب إلى الحمرة، يبلغ قطره نحواً من اثني عشر إنشاً (حوالي ٣٠ سنتيمتراً)... [٤].

ومما قاله صاحب كتاب (المساجد في الإسلام) حول الحجر الأسود:... وفي البيت الحرام يوجد الحجر الأسود، ويسميه المسلمون على سبيل التكريم بـ (الحجر الأسعد)، وقد اختلفت الآراء في حقيقة الحجر المذكور، وذهب الناس في الكلام عنه كلّ مذهب، والتقاليد المتداولة بين عامة المسلمين تقول: بأن هذا الحجر المقدس أصله من الجنة، وأنه كان أبيض اللون، واسودّ نتيجة ارتكاب أهل الدنيا للآثام والمعاصي. وهناك من يقول: بأن هذا الحجر قد يكون شهاباً

---

(١) نفس المصدر.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٣: ٣٥٥.

(٣) موسوعة المورد، منير البعلبكي ٧: ٢١ و٢: ٧٤.

(٤) نفس المصدر.

(نيزكاً) هوى من بعض الكواكب، أو أنه جزء من معبد مقدس رفعه النبيُّ إبراهيم عندما خطّط المعبد الذي يحيط به (البيت الحرام). وهذا الحجر كان مقدساً عند المسلمين وقبلهم لدى أهل الجاهلية [1].

الطواف والحجر الأسود:

الإمامية وصورة الطواف عندهم أن يقف الحاج إلى جانب الحجر الأسود، قريباً منه أو بعيداً عنه مراعياً في ذلك أن تكون الكعبة إلى جانبه الأيسر، ثم ينوي الطواف، ويطوف حول الكعبة سبعة أشواط مبتدئاً في كلّ شوط بالحجر الأسود ومنتهياً إليه.

قال الشيخ الطوسي:

فإذا أراد الطواف بالبيت، فليفتتحهُ من الحجر الأسود، فإذا دنا منه، رفع يديه، وحَمِدَ الله وأثنى، وصلّى على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم وسأله أن يتقبل منه، ويستلم الحجر الأسود ويُقبله، فإن لم يستطع استلمه بيده، فإن لم يقدر على ذلك أيضاً، أشار إليه بيده، وقال: (أمانتي أدّيتها، وميثاقي تعاهدتُه، لتشهد لي بالموافاة، اللّهمّ تصديقاً بكتابك...).

وينبغي أن يختم الطواف بالحجر الأسود كما بدأ به، ويستحب أن يستلم الأركان كلّها، وأشدها تأكيداً الركنُ الذي فيه الحجر الأسود.. ومن كان مقطوع اليد، استلم الحجر بموضع القطع، فإن كان مقطوعاً من المرفق استلمه بشماله[2].

وقد قال المحقّق الحلي في كيفية الطواف: (أنه يشتمل على: واجب وندب، فالواجب سبعة:... والبدء بالحجر والختم به..

والندب خمسة عشر: منها الوقوف عند الحجر، وحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبيّ وآله عليهم السلام. ورفع اليدين بالدعاء.. واستلام الحجر

---

(١) المساجد في الإسلام للشيخ طه الولي: ٦٠ ـ ٦١.

(٢) النهاية، الشيخ الطوسي: ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

على الأصحّ وتقبيله، فإن لم يقدر فبيده، ولو كانت مقطوعة استلم بموضع القطع، ولو لم يكن له يد اقتصر على الإشارة وأن يقول: (هذه أمانتي أدّيتُها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد لي بالموافاة. اللّهمّ تصديقاً بكتابك، إلى آخر الدعاء)[1].

أما الشهيدان الأول والثاني فقد قالا في واجبات الطواف: (والبداءة بالحجر الأسود) بأن يكون أول جزء من بدنه بإزاء أول جزء منه حتى يمرَّ على كلّه ولو ظناً. والأفضل استقباله حال النية بوجهه للتأسي...

وقالا (رضي الله عنهما) في سنن الطواف:

(الوقوف عند الحجر) الأسود، (والدعاء فيه) ـ في حالة الوقوف مستقبلاً، رافعاً يديه ـ بالمنقول.. (واستلام الحجر) بما أمكن من بدنه، والاستلام، بغير همز: المس من السلام بالكسر وهي الحجارة بمعنى مس السلام، أو من السلام وهو التحية، وقيل بالهمز من اللاّمة وهي الدرع (بفتح اللام والميم وسكون الهمزة، يقال: استلأم الرجل أي لبس الدرع)، كأنه اتخذه جنة وسلاحاً، (وتقبيله) مع الإمكان، وإلاّ استلمه بيده، ثم قبَّلَها، (أو الإشارة إليه) إن تعذر، وليكن ذلك في كلّ شوط، وأقله الفتح والختم [2]. أي افتتاح الشوط الأول، واختتام الشوط الأخير.

وقال العلاّمة الحلي في قواعد الأحكام، والمحقق الكركي في شرحها:

وفي الطواف مطالب:

الأول: في واجباته وهي أحد عشر:... منها البدء بالحجر الأسود، فلو بدأ بغيره لم يعتد بذلك الشوط، إلى أن ينتهي إلى أول الحجر، فمنه يبتدئ الاحتساب إن جدد النية عنده للإتمام مع احتمال البطلان، ولو حاذى آخر الحجر ببعض بدنه في ابتداء الطواف لم يصح.

---

(١) شرائع الإسلام، المحقّق الحلّي، كتاب الحجّ، كيفية الطواف: ١٩٩ ـ ٢٠١.

(٢) اللمعة الدمشقية، الشهيد الأول؛ الروضة البهية، الشهيد الثاني ٢: ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٥٥.

ومنها: الختم بالحجر، فلو أبقى من الشوط شيئاً وإن قلّ لم يصح، بل يجب أن ينتهي من حيث ابتدأ. انتهى كلام العلاّمة.

أما المحقّق الكركي فيقول في الهامش:

ويجب فيه أن يحاذي بأوّل مقاديم بدنه ـ حال كون البيت على يساره ـ أوّل الحجر الذي إلى جهة الركن اليماني، مقارناً بالنية أوّل حركات الطواف بحيث تمرّ عليه كلّه، ولا يجب أن يستقبله بوجهه ثم ينحرف، بل يجزئه أن يجعله على يساره ابتداءً، وإن كان الأفضل استقباله أولاً... ثم يستمر في شرح ما قاله العلاّمة.

وفي سنن الطواف يقول العلاّمة في قواعده:

والوقوف عند الحجر، والدعاء رافعاً يديه به، واستلامه ببدنه أجمع، وتقبيله، فإن تعذر فبعضه،فإن تعذر فبيده، ويستلم المقطوع بموضع القطع، وفاقد اليد يشير.

ويشرح الكركي (واستلامه ببدنه أجمع): بأن المراد معظمه مجازاً، والاستلام بغير همز معناه: المس، افتعال من السلام بالكسر: وهو الحجارة، أو من السلام بالفتح، (أعني) التحية، أي: يحيي نفسه عند الحجر، كما في قولهم: اختدم، أي خدم نفسه إذا لم يكن له خادم. وقيل: إنه بالكسر بهمز من اللاّمة: وهي الدرع، فيكون معناه: اتخذ جنة وسلاحاً [1].

بعد هذا ننتقل إلى ذكر روايات وجوب ابتداء الطواف من الحجر الأسود والانتهاء به:

وعن معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام: من اختصر في الحجر (في الطواف) فليعد طوافه من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود [2].

---

(١) جامع المقاصد، المحقق الكركي؛ شرح القواعد، العلاّمة الحلّي ج٣ كتاب الحج، الطواف: ١٩٠، ١٩٨.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت، باب الحج ـ الطواف.

ومعنى الاختصار فيه عدم إدخال الحجر في الطواف.

وعن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا كنتَ في الطواف السابع فائت المتعوذ، إلى أن قال: ثم ائت الحجرَ فاختم به.

للطواف واجبات غير الشروط المتقدمة، وعبر عنها إن شئت بالأجزاء، وهي:

١. الابتداء بالحجر الأسود، والاختتام، أي منه وإليه، قال الإمام الصادق عليه السلام: (الطواف من الحجر الأسود وإلى الحجر الأسود)[١].

من روايات استلام الحجر وتقبيله:... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دنوت من الحجر الأسود فارفع يديك وأحمد الله... ثم استلم الحجر وقبّله، فإن لم تستطع أن تقبّله فاستلمه بيدك، فإن لم تستطع أن تستلمه بيدك فأشر إليه... [٢].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يستلم الحجر في كلّ طواف فريضة ونافلة [٣].

عن معاوية بن عمار: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل حجّ ولم يستلم الحجر، فقال: هو من السنّة. فإن لم يقدر عليه فاللهُ أولى بالعذر [٤].

عن سيف التّمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أتيتُ الحجر الأسود فوجدتُ عليه زحاماً فلم ألق إلاّ رجلاً من أصحابنا فسألته، فقال: لا بدّ من استلامه، فقال: إن وجدته خالياً وإلاّ فسلّم من بعيد [٥].

---

(١) وسائل الشيعة: ٣٤٤ ـ ٣٢٥.

(٢) فقه الإمام الصادق، مغنية ٢: ٢٠٠.

(٣) فقه الإمام الصادق ٢: ٢٠٣.

(٤) وسائل الشيعة ١٣: ٣٢٥.

(٥) وسائل الشيعة ١٣: ٣٢٥ ح١.

عن محمد بن عبيد الله قال: سُئل الرضا عليه السلام عن الحجر الأسود، وهل يقاتل عليه الناس إذا كثروا؟ قال: إذا كان كذلك فأوم إليه ايماءً بيدك [١].

عن محمد الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحجر إذا لم استطع مسّه وكثر الزحام؟ قال: أما الشيخ الكبير والضعيف والمريض فمرخص وما أحبّ أن تدع مسّه إلاّ أن لا تجد بدّاً[٢].

عن السكوني، عن جعفر، عن آبائه عليهم السلام أن عليّاً عليه السلام سُئل كيف يستلم الأقطع الحجر؟ قال: يستلم الحجر من حيث القطع، فإن كانت مقطوعة من المرفق استلم الحجر بشماله[٣].

روايات في استحباب الدعاء بالمأثور عند الحجر الأسود:

عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا دنوت من الحجر الأسود فارفع يديك، واحمد الله وأثن عليه، وصل على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، واسأل الله أن يتقبّل منك،... وقل: (اللّهمّ أمانتي أدّيتها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد لي بالموافاة، اللّهمّ تصديقاً بكتابك، وعلى سنّة نبيك، أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، آمنتُ بالله، وكفرت بالجبت والطاغوت، وباللّات والعزّى وعبادة الشيطان، وعبادة كل ندّ يدعى من دون الله)...

(اللّهمّ إليك بسطتُ يدي، وفيما عندك عظُمت رغبتي،...، واغفر لي وارحمني. اللّهمّ إني أعوذ بك من الكفر والفقر ومواقف الخزي في الدنيا والآخرة)[٤].

---

(١) وسائل الشيعة ١٣: ٣١٥ ح٤.

(٢) الوسائل ١٣: ٣٢٦.

(٣) الوسائل ١٣: ٣٢٧.

(٤) الوسائل ١٣: ٣٤٣.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخلتَ المسجد فامش حتى تدنو من الحجر فتستلمه (فتستقبله) وتقول: (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كُنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله الله أكبر، أكبر من خلقه، وأكبر ممّن أخشى وأحذر، ولا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، لهُ الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت ويُميتُ ويُحيي، بيده الخير وهو على كلّ شيءٍ قدير)[1]...

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا دخلت المسجد الحرام وحاذيت الحجر الأسود فقل: (أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، آمنتُ بالله وكفرت بالطاغوت وباللاّت والعزّى، وبعبادة الشيطان، وبعبادة كلّ ندّ يدعى من دون الله) ثم ادنُ من الحجر واستلمه بيمينك، ثم قل: (بسم الله والله أكبر، اللّهمّ أمانتي أدّيتها، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة (ليشهد لي عندك))[2].

وهناك أحاديث أخرى تنصب على استحباب استلام الحجر وتقبيله والدعاء عنده تجدها في كتب الأحاديث عند الإمامية.

٢. الشافعية قالوا للطواف في ذاته ثمانية شروط... الثالث منها : بدؤه من جهة الشق الأيسر، بأن لا يقدم جزءاً من بدنه على جزء من الحجر، فإذا بدأ بغيره لم يحسب ما طافه قبل وصوله إليه، فإذا انتهى إليه ابتدأ منه؛ ويشترط أن يحاذيه على الوجه المذكور عند الانتهاء أيضاً.

وقالوا : للطواف ثماني سنن :

الأولى : أن يستقبل البيت أول طوافه، ويقف بجانب الحجر إلى جهة الركن اليماني بحيث يصير جميع الحجر عن يمينه، ومنكبه الأيمن عند طرفه، ثم ينوي

---

(١) الوسائل، الحج ـ الطواف: ٣١٤.

(٢) نفس المصدر.

الطواف، ثم يمشي مستقبلاً الحجر، ماراً إلى جهة الباب، فإذا جاوزه انفتل وجعل يساره إلى البيت وهذا خاص بالمرة الأُولى.

وأن يلمس الحجر الأسود بيده أول طوافه، ويقبله تقبيلاً خفيفاً، ولا يسن للمرأة ذلك إلاّ عند خلو المطاف ليلاً أو نهاراً، ويستحب للرجل أن يضع جبهته عليه، وأن يكون الاستلام والتقبيل ثلاثاً، فإن عجز عن الاستلام بيده استلمه بنحو عصا، ويقبل ما أصابه به، فإن عجز عن ذلك أيضاً أشار إليه بيده أو بما فيها؛ واليمين أفضل، يفعل ذلك في طوافه....

وبعد أن يصلّي ركعتين... يندب استلام الحجر عقبهما وأن يسعى عقب الاستلام... [1].

٣. المالكية قالوا تشترط لصحة الطواف شروط... منها :

ويلزم ابتداء الطواف من الحجر الأسود، فلو ابتدأه قبله وجب إتمام الشوط الأخير إليه، فإن لم يتمه وطال الفصل أو انتقض وضوئه فعليه إعادته...

وأمّا سننه، فهي: تقبيل الحجر الأسود في الشوط الأول، ويكبر عند ذلك، فإن لم يتمكن من تقبيله لمسه بيده، فإن لم يستطع لمسه بعود مثلاً، ثم يضع يده أو العود بعد اللمس بأحدهما على فيه ويكبر حينئذٍ، فإن لم يستطع شيئاً من ذلك كبر عند محاذاته... [2]

٤. الحنابلة قالوا: تشترط لصحة الطواف شروط:

منها كون الأشواط سبعاً، يبتديها من الحجر الأسود، فاذا ابتدأ من غيره لا يحسب هذا الشوط...

---

(١) كل هذه الآراء للمذاهب الأربعة نقلت من مصدر واحد وهو الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، كتاب الحج ١: ٦٥٣.

(٢) نفس المصدر.

وسنن الطواف هي: استلام الحجر الأسود وتقبيله في كلّ شوط أيضاً إن تيسر، والإشارة إليه بيده عند محاذاته إن تعسّر [١].

٥. الحنفية قالوا: واجبات الطواف وسننه أمور، فمن واجباته أن يبدأ من الحجر الأسود، فلو لم يفعل ذلك وجب عليه إعادة الطواف مادام بمكّةَ، فإن لم يعده ورجع وجب عليه دمٌ، والأفضل أن لا يترك شيئاً من الحجر الأسود، بل يقابله بجميع بدنه، بأن يجعله عن يمينه ويجعل منكبه الأيمن عند الحجر الأسود.

ومن سنن الطواف عندهم استلام الحجر، وتقبيله عند نهاية كل شوط فإن لم يستطع استلامه بيده استلمه بنحو عصا إن أمكن، ويقبل ما مسه به، فان لم يستطع ذلك استقبل الحجر ورفع يديه مستقبلاً بباطنها إياه، ويكبر، ويهلل ويحمد الله ـ تعالى ـ ويصلي على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وهذا الاستقبال مستحب، وكذا استلام الركن اليماني مستحب... [٢].

وقال ابن رشد القرطبي الأندلسي:

والجمهور مجمعون على أن صفة كلّ طواف واجباً كان أو غير واجب أن يبتدئ من الحجر الأسود، فإن استطاع أن يقبله قبله أو يلمسه بيده ويقبلها إن أمكنه... وكذلك أجمعوا على أن تقبيل الحجر الأسود خاصة من سنن الطواف إن قدر، وإن لم يقدر على الدخول إليه قبّل يده، وذلك لحديث عمر بن الخطاب الذي رواه مالك، أنه قال وهو يطوف بالبيت حين بلغ الحجر الأسود: (إنّما أنت حجر ولولا أني رأيتُ رسولَ الله قبّلك ما قبّلتك، ثمّ قبّله)[٣].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاضي ابن رشد القرطبي الأندلسي ١: ٢٤٨، القول في الطواف.

أما الدكتور وهبة الزُحيلي وبعد أن استعرض آراء المذاهب الأربعة (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) انتهى إلى هذا التلخيص في صورة الطواف وذكرها في ٩ نقاط، نأخذ النقطة الخامسة منها التي تخصّ بحثنا وهي: (الابتداء بالحجر الأسود: ليس بشرط وإنما هو واجب عند الحنفية، وعند المالكية، وشرط عند الشافعية والحنابلة، وترك الواجب يوجب الدم فيما لو ابتدأ من غير الحجر [١].

وقد لخص الدكتور الزُحيلي في كتابه (الفقه الإسلامي وأدلته) أيضاً سنن الطواف من تسع مصادر[٢] :

فقال : استلام الحجر الأسود (أي لمسه بيده اليمنى أو بكفيه) أول طوافه وفي بدء كل شوط وتقبيله بلا صوت، ووضع جبهته عليه عند الشافعي بلا إيذاء، إذا لم تكن زحمة، فإن لم يتمكن من الاستلام باليد استلم بعود ونحوه مع استقباله بجميع بدنه، فإن عجز أشار بيده، ثمّ وضع العود ويده على فيه بعد اللمس بأحدهما بلا صوت، فإذا أظهر الصوت جاز على الأرجح عند المالكية، وكره مالك السجود وتمريغ الوجه على الحجر، ويسن عند الشافعية، أن يكون التقبيل ووضع الجبهة ثلاثاً.

ويكبر ويهلل ويحمد الله تعالى، ويصلي على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم.

ودليل التقبيل فعل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم، كما رواه الشيخان، ودليل وضع جبهته عليه اتباع السنّة كما رواه البيهقي. ودليل الاستلام باليد دون إيذاء: (أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم قال: يا عمر، إنك رجل قوي، لا

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر ٣: ١٦١.

(٢) الدر المختار ٢: ٢٢٧، البدائع ٢: ١٣١، مراقي الفلاح: ١٢٤، القوانين الفقهية: ٣، الشرح الصغير ٢: ٤٨ - ٥٢، الإيضاح: ٣٤ - ٤٤، مغني المحتاج ١: ٤٨٧ - ٤٩٢، غاية المنتهى ١: ٤٠٢، المغني ٣: ٣٧٢ - ٣٧٦،٣٧٩، ٣٨٣.

تزاحم على الحجر، فتؤذي الضعيف، إن وجدتَ خلوةً، وإلاّ فهلل وكبر) (رواه الشافعي وأحمد عن عمر).

ولأن ترك الإيذاء واجب، وتقبيل ما استلمه به من يد أو نحو عصا، لخبر الصحيحين: (إذا آمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)، ولما روى مسلم عن نافع قال: (رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده، ويقول: ما تركته منذ رأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يفعله).

وتكرار الاستلام والتقبيل في كلّ طوفة من الطوفات السبع، لحديث (أنه صلّى الله عليه وآله وسلم كان لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر الأسود في كلّ طوفة) (رواه أبو داود والنسائي عن ابن عمر).

وراح الدكتور الزحيلي يتمّ تلخيصه هذا بقوله:

ولو استقبل الحجر مطلقاً، ونوى الطواف عند من اشترط النية وهم الحنفية والحنابلة، كفى في تحقيق المقصود الذي هو الابتداء من الحجر.

ولا يستلم بيده الركنين الشاميين (وهما اللذان عندهما الحِجْر) ولا يقبلهما، ويستلم الركن اليماني (وهو الذي يسبق ركن الحجر) في آخر كل شوط، ولا يقبله؛ لأنه لم ينقل، كما في الصحيحين عن ابن عمر: (أنه صلّى الله عليه وآله وسلم كان لا يستلم إلاّ الحَجَر والركن اليماني).

ويستحب للمرأة عند الحنابلة إذا قدمت مكة نهاراً تأخير الطواف إلى الليل ليكون أستر لها، ولا يستحب لها مزاحمة الرجال لاستلام الحجر، لكن تشير بيدها إليه كالذي لا يمكنه الوصول إليه [1].

وقال الشيخ منصور علي ناصف: فيسنّ تقبيل الحجر الأسود واستلامه بالكفين أو بأحدهما إذا لم يمكنه وتقبيلهما، وإلا استلمه بعصا في يده، وكذا يندب استلام الركن اليماني بالكفين أو بأحدهما أو بشيء في يده لحديث

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، الدكتور الزحيلي ٣: ١٦٤ - ١٦٥.

الترمذي: كان ابن عمر يزاحم على الركنين زحاماً شديداً فسئل عن ذلك، فقال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول: إن مسحهما كفارة للخطايا، وخُصّ هذان الركنان بالعناية لأنهما على أصل بناء الخليل عليه السلام، وركن الحجر الأسود أفضل الأركان باتفاق، ويليه اليماني. وينبغي للطائف الإكثار من ذكر الله تعالى كاستغفار وتسبيح وتهليل ودعاء فيكون عابداً بجسمه ولسانه...[1].

ورأيتُ أن أنقل ما كتبه الإمام محي الدين النووي الشارح لصحيح مسلم عن الحجر الأسود تتميماً للفائدة:

باب استحباب استلام الركنين اليمانيين في الطواف دون الركنين الآخرين

قوله (لم أر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يمسح من البيت إلاّ الركنين اليمانيين) وفي الرواية الأخرى لم يكن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يستلم من أركان البيت إلاّ الركن الأسود والذي يليه من نحو دور الجمحيين وفي الرواية الأُخرى لا يستلم إلاّ الحجر والركن اليماني. هذه الروايات متفقة فالركنان اليمانيان هما: الركن الأسود والركن اليماني، وإنما قيل لهما اليمانيان للتغليب، كما قيل في الأب والأم الأبوان، وفي الشمس والقمر القمران، وفي الماء والتمر الأسودان، ونظائره مشهورة..

واليمانيان بتخفيف الياء هذه اللغة الفصيحة المشهورة، وحكى سيبويه والجوهري وغيرهما فيها لغة أُخرى بالتشديد فمن خفف قال: هذه نسبة إلى اليمين، فالألف عوض من إحدى يائَي النسب فتبقى الياء الأخرى مخففة، ولو شدّدناها لكان جمعاً بين العوض والمعوض وذلك ممتنع. ومن شدّد قال الألف في اليماني زائدة وأصله اليمني فتبقى الياء مشدّدة وتكون الألف زائدة، كما زيدت النون في صنعاني ورقباني ونظائر ذلك والله أعلم.

---

(١) التاج الجامع ٢: الهامش ص١٣٠.

وأما قوله (يمسح) فمراده يستلم، وسبق بيان الاستلام.

واعلم أن للبيت أربعة أركان: الركن الأسود، والركن اليماني، ويقال لهما اليمانيان كما سبق، وأما الركنان الآخران فيقال لهما الشاميان. فالركن الأسود فيه فضيلتان، إحداهما: كونه على قواعد إبراهيم عليه السلام، والثانية: كونه فيه الحجر الأسود. وأما اليماني ففيه فضيلة واحدة وهي: كونه على قواعد إبراهيم. وأما الركنان الآخران فليس فيهما شيء من هاتين الفضيلتين، فلهذا خصّ الحجر الأسود بشيئين: الاستلام، والتقبيل للفضيلتين.

وأما اليماني فيستلمه ولا يقبله لأن فيه فضيلة واحدة. وأما الركنان الآخران فلا يقبلان ولا يستلمان والله أعلم.

وقد أجمع الفقهاء على استحباب استلام الركنين اليمانيين .

قال القاضي أبو الطيب:

أجمعت أئمة الأمصار والفقهاء على أنهما لا يستلمان قال: وانما كان فيه خلاف لبعض الصحابة والتابعين، وانقرض الخلاف، وأجمعوا على أنهما لا يستلمان والله أعلم.

قوله (ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان لا يستلم إلاّ الحجر الأسود والركن اليماني). يحتج به الجمهور في أنه يقتصر بالاستلام في الحجر الأسود عليه دون الركن الذي هو فيه، وقد سبق قريباً فيه خلاف القاضي أبي الطيب.

قوله (رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ثم قبل يده، وقال ما تركته منذ رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يفعله) فيه استحباب تقبيل اليد بعد استلام الحجر الأسود إذا عجز عن تقبيل الحجر وهذا الحديث محمول على من عجز عن تقبيل الحجر، وإلاّ فالقادر يقبل الحجر ولا يقتصر في اليد على الاستلام بها. وهذا الذي ذكرناه من استحباب تقبيل اليد بعد الاستلام للعاجز هو مذهبنا

ومذهب الجمهور، وقال القاسم بن محمد التابعي المشهور: لا يستحب التقبيل وبه قال مالك في أحد قوليه والله أعلم.

باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف

قوله (قَبَّلَ عمر بن الخطاب الحجر ثم قال: أم والله، لقد علمت أنك حجر، ولولا أني رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقبلك ما قبلتك)، وفي الرواية الأُخرى وإني لأعلم أنك حجر وأنك لا تضر ولا تنفع.

هذا الحديث فيه فوائد منها: استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف بعد استلامه، وكذا يستحب السجود على الحجر أيضاً بأن يضع جبهته عليه، فيستحب أن يستلمه ثم يقبله ثم يضع جبهته عليه، هذا مذهبنا ومذهب الجمهور وحكاه ابن المنذر عن عمر بن الخطاب وابن عباس وطاووس والشافعي وأحمد، قال: وبه أقول.. قال: وقد روينا فيه عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وانفرد مالك عن العلماء فقال: السجود عليه بدعة! واعترف القاضي عياض المالكي بشذوذ مالك في هذه المسألة عن العلماء.

وأما الركن اليماني فيستلمه ولا يقبله، بل يقبل اليد بعد استلامه، هذا مذهبنا وبه قال جابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة، وقال أبو حنيفة: لا يستلمه، وقال مالك وأحمد: يستلمه ولا يقبل اليد بعده، وعن مالك رواية أنه يقبله، وعن أحمد رواية أنه يقبله.. والله أعلم.

وأما قول عمر (لقد علمت أنك حجر واني لأعلم أنك حجر وأنك لا تضر ولا تنفع)، فأراد به بيان الحث على الاقتداء برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في تقبيله ونبه على أنه لولا الاقتداء به لما فعله.

قوله (رأيت عمر قبل الحجر والتزمه وقال: رأيت رسول الله (ص) بك حفياً) يعني معتنياً.

□

باب جواز الطواف على بعير وغيره واستلام الحجر بمحجن ونحوه للراكب

قوله (إن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم طاف في حجة الوداع على بغير يستلم الركن بمحجن)، المحجن: بكسر الميم وإسكان الحاء وفتح الجيم؛ وهو عصا معقفة، يتناول بها الراكب ما سقط له، ويحرك بطرفها بعيره للمشي. وفي هذا الحديث جواز الطواف راكباً واستحباب استلام الحجر، وأنه إذا عجز عن استلامه بيده استلمه بعود.

روايات استلام الحجر الأسود وتقبيله:

حدّثنا... عن عمر أنه جاء إلى الحجر فقبّله، فقال: إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقبلك ما قبلتك[1].

وعن سويد بن غَفَلَة، قال: رأيتُ عُمر قبَّل الحجرَ والتزمَهُ، وقال: رأيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلم بك حفيّاً.

وفي رواية أُخرى: رأيت أبا القاسم صلّى الله عليه وآله وسلم بك حفيّاً[2].

وعن ابن عمر قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر في كلّ طوفة، قال: وكان عبد الله بن عمر يفعله[3].

وعن أبي هريرة، قال: أقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فدخل مكة، فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إلى الحجر فاستلمه ثمّ طاف بالبيت...[4].

---

(١) صحيح سنن المصطفى، السجستاني، كتاب المناسك: ٢٩٤، باب تقبيل الحجر؛ أخبار مكة ١: ٣٣٠.

(٢) التاج الجامع للأصول، كتاب الحج ٢: ١٢١.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

وعن ابن عباس، قال النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم: (يلبي المعتمر حتى يستلم الحجر). حيث إن المعتمر يشتغل بالتلبية حتى يريد استلام الحجر الأسود للطواف وتنتهي التلبية، وعلى هذا الجمهور والشافعي وأحمد والثوري...

قال ابن عمر: لم أرَ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم يستلم من البيت إلاّ الرّكنين اليمانيين (وهما الركن الذي فيه الحجر والركن الذي قبله، وسميا بهذا لأنهما جهة اليمن كما سمي الآخران بالشامي والعراقي لاتجاههما لهما)[١].

وفي رواية: طاف النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع على بعير (لأنه كان مريضاً) يستلم الركن بمحجن (عصا محنية الرأس)[٢] رواه الخمسة.

وفي رواية: كلَّما أتى على الركن أشار إليه بشيء في يده وكبَّر.

قال منصور: سألت مجاهداً إذا أردتُ الوداع كيف أصنع؟ قال: تطوف بالبيت سبعاً،... ثمّ تستلم الحجر، وتنصرف[٣].

وقال جابر:... حتى إذا أتينا البيتَ معه استلم الركن (أي مع النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم استلم الحجر الأسود بمسحه وتقبيله)[٤].

وعن سالم عن أبيه قال : لم يكن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يستلم من أركان البيت إلاّ الركن الأسود....

وعن نافع عن عبد الله ذكر أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان لا يستلم إلاّ الحجر والركن اليماني.

وعن نافع عن ابن عمر قال: ما تركتُ استلامَ هذين الركنين (اليماني والحجر) مُذ رأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يستلمهما في شدّة ورخاء.

---

(١) صحيح سنن المصطفى، كتاب المناسك: ٢٩٤.

(٢) التاج الجامع ٢: ١٣٠.

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته ٣: ١٥١.

(٤) التاج الجامع ٢: ١٥٤.

وعن نافع، قال: رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ثم قبّل يدَه، وقال: ما تركتُهُ مُنذ رأيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلم يفعلُهُ.

وعن ابن عباس يقول: لم أرَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يستلم غير الركنين اليمانيين.. وفي رواية عنه أيضاً: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم طاف في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجنٍ.

وعن عطاء أنه سمع ابن عباس يقول: إذا وجدت على الركن زحاماً فلا تؤذ ولا تؤذى[1].

وفي فضل استلام الركنين (الركن الأسود واليماني) قال عبيد الله بن عمير لابن عمر: إني أراك تزاحم على هذين الركنين؟ فقال: إنّي سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول: إن استلامهما يحطّ الخطايا حطّاً[2].

الدعاء عند الحجر الأسود وفي بداية كل طوفة:

فيقول عند استلام الحجر الأسود عند ابتداء كل طوفة: بسم الله؛ والله أكبر. مع رفع يديه كرفع الصلاة: اللّهمّ إيماناً بك، وتصديقاً بكتابك، ووفاءً بعهدك، واتباعاً لسنة نبيك سيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلم. وهذا القول آكد في الطوفة الأولى من غيرها [3].

وفي الختام آمل أن أوفق مرةً أُخرى لأن أُقدم دراسة تحقيقية شاملةً لكلّ ما ورد عن الحجر الأسود من روايات وآراء وأقوال.. ولما تعرض له من حوادث.. فتكون وقتذاك دراسة مستوعبة قصته التاريخية والفقهية...

(١) أخبار مكة ١: ٣٣٤.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة، الطواف؛ الفقه الإسلامي وأدلته.

(٣) نفس المصدر.

المصادر

١. أخبار مكة، الأزرقي .
٢. الأربعون حديثاً .
٣. أسرار الحج، للشيخ عبد اللّه الجوادي الآملي .
٤. إشراقات الفلسفة السياسية في فكر الإمام الخميني للسيد كامل الهاشمي .
٥. أصول الكافي .
٦. الإمام الخميني خط عرفاني في دائرة الفقه ، السيد محمد حسين فضل اللّه .
٧. الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي ، د. سمير سليمان .
٨. انساب الأشراف ، البلاذري .
٩. الإيضاح .
١٠. البدائع .
١١. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاضي ابن رشد القرطبي الأندلسي.
١٢. برداشت هايي از سيره امام خميني .
١٣. بعض قضايا الفكر المعاصر، جلال فاروق الشريف.
١٤. التاج الجامع للأصول .
١٥. تاريخ الإسلام ، حسن إبراهيم حسن.
١٦. تاريخ الطبري .
١٧. تاريخ العرب .
١٨. الثورة الإسلامية: مسيرة ظافرة ومستقبل زاهر، للشيخ مسيح مهاجري، ترجمة سمير أرشدي، منظمة الإعلام الإسلامي.
١٩. ثورة الحسين ، محمد مهدي شمس الدين.
٢٠. جامع المقاصد، المحقق الكركي.
٢١. جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي.
٢٢. الحكومة الإسلامية (الإمام الخميني قدس سره) .
٢٣. الدر المختار .

٢٤. الدولة العربية وسقوطها .
٢٥. الروضة البهية، الشهيد الثاني .
٢٦. سيرة ابن هشام .
٢٧. شرائع الإسلام، المحقّق الحلّي.
٢٨. الشرح الصغير.
٢٩. شرح القواعد، العلاّمة الحلّي .
٣٠. شرح دعاء السحر.
٣١. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد.
٣٢. صحيح سنن المصطفى، السجستاني.
٣٣. الصلة بين التصوف والتشيع، والفكر الشيعي والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشيبي.
٣٤. العرب والفكر التاريخي .
٣٥. علم الاجتماع السياسي؛ وقضايا التخلّف والتنمية والتحديث ، د. قباري محمد إسماعيل.
٣٦. عيون الأخبار ، ابن قتيبة .
٣٧. غاية المنتهى.
٣٨. الفقه الإسلامي وأدلته، الدكتور وهبة الزحيلي.
٣٩. فقه الإمام الصادق.
٤٠. الفقه على المذاهب الأربعة.
٤١. القوانين الفقهية.
٤٢. الكامل .
٤٣. كتاب برداشتهاي از سيره أي امام خميني .
٤٤. كتاب صحيفة دل .
٤٥. الكلمات القصار.
٤٦. لسان العرب .

٤٧. اللمعة الدمشقية، الشهيد الأول.
٤٨. مجلة التوحيد .
٤٩. مجلة الحوزة .
٥٠. مجلة اميد انقلاب .
٥١. مجلة بقية الله.
٥٢. مجموعة مقالات في الحج .
٥٣. محنه العقل المبدع، مصطفى النهيري .
٥٤. المذكرات الخاصة .
٥٥. مراقي الفلاح.
٥٦. مروج الذهب ، المسعودي.
٥٧. المساجد في الإسلام .
٥٨. مشارق أنوار اليقين .
٥٩. مشكاة الأنوار.
٦٠. مصباح الهداية.
٦١. معجم البلدان .
٦٢. المغني.
٦٣. مغني المحتاج.
٦٤. مكانة المرأة في فكر الامام الخميني .
٦٥. منهجية الثورة.
٦٦. النهاية، الشيخ الطوسي.
٦٧. وسائل الشيعة، الحر العاملي.
٦٨. الوصية الخالدة للإمام قدس سره.

الفِهرِس

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الإمام روح الله الخميني قدس سره	٣٧
أضواء على شخصية الإمام الخميني قدس سره ومنهجه	٦٦
الامام الخميني والإصلاح الأكبر في عالمنا المعاصر	٨٣
الامام الخميني قدس سره ومعجزة الثورة الإسلامية	٨٨
الإمام الخميني وإحياء الفكر الديني	٩٤
الإمام الخميني قدس سره والقرآن الكريم	١٠٣
أهل البيت في فكر الامام الخميني (قدس سره)	١٠٨
مقام الزهراء عليها السلام في كلمات الامام الخميني	١١٨
الإمام الخميني قدس سره وزيارة عاشوراء	١٢٢
عاشوراء الحسين في فكر الإمام الخميني (قدس سره)	١٢٦
استعادة العزة في فكر الامام الحسين عليه السلام وحفيده السيد الخميني قدس سره	١٢٩
حركة الإمام الخميني قدس سره خطوة نوعية في التمهيد لصاحب الزمان (عج)	١٤٨
الخامس عشر من شعبان في فكر الإمام الخميني (قدس سره)	١٥٠
البعد السياسي للحج في منظار الإمام الخميني (قدس سره)	١٥٤
الحج في فكر الامام الخميني قدس سره	١٩٠
المصادر	٢١٧
الفهرس	٢٢١